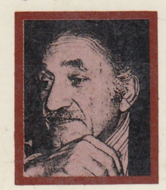



ديوان
الشعر
العربي
المعاصر

الأعمال الكاملة

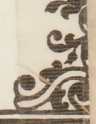
للشاعر



بلند الحيدري




دار سعاد الصباح






الأعمال الكاملة

للشاعر

بلند الحيدري

الطبعـــة الأولى ١٩٩٢

دار سعاد الصبـــاح
ص.ب : ٢٧٢٨٠
الصفاة ١٣١٣٣ – الكـويت
القاهرة – ص.ب : ١٣ المقطم
تليفون : ٣٤٩١٧٢٧
٣٤٩٧٧٧٩
فاكس : ٥٠٦١٠٣٠

رقم الإيداع : ١٩٩٢/٩٦٠٤
I.S.B.N. 977—5344—38— 7

الاشراف الفني : حلمى التونى

ديوان
الشعر
العربي
المعاصر

الأعمال الكاملة

للشاعر





الديوان
الأول

خفقة الطين

الطبعة الأولى دار الوقت الضائع – بغداد ١٩٤٦
تصدر هذه الطبعة عن دار سعاد الصباح – القاهرة ١٩٩٣



فهـــرس الأعمال الشّعرية الكاملة



فهرس الدّيوان الأول

خـفـقـة الطّـيـن

قالوا عنه :

هناك عدد من الشّعراء أكن لهم كلّ التقدير والإعجاب وعلى رأسهم بلند الحيدرى الذّى كان ديوانه «خفقة الطين» أول ديوان صدر من ثلاثة دواوين ، كانت فاتحة عهد جديد فى الشّعر العراقى هى : « عاشقة اللّيل» لنازك و «أزهار ذابلة» للسياب .

بدر السّياب – ١٩٥٣

ليس فينا من قدر الصّمت واستوحاه كما استوحاه هذا الشّاعر وقل فى الأدب العربى من أوحت إليه الطّريق ما أوحت إلى بلند الحيدرى . . .

أشهد أن ديوان بلند الحيدرى «خفقة الطّين» أحفل ما

رأيت من دواوين الشّباب بالشّعر ، ولعله الشّاعر الذّى تحلم به بغداد .

مارون عبود – ١٩٤٧

سميراميس

سكر اللّيلُ ،

باللّظى المخمورِ

واقشعرّت معالم الدّيجورِ

وسرت نسمةٌ ،

فهشّ ستارٌ

واستخفته ضِحكةُ التّغرير

فتنزّى عن غرفةٍ

وسريرٍ كان يجثو فى قلبها المخدورِ

ورأى اللّيل شمعةً

تتلاشى

فى دموع تآكلتْ بالنُّور ،

أطلقت ضوْءَها الكئيب فأغفى

فوق ظِليْن

هوّما فى السّرير

وتهاوَى لمسمع الصّمت همسٌ

شنّجَ النهار

فى الفراش الوثير

لملمت طفلة السّكون الأمانى

وتناهت فى كهفها المسحور ،

وغفت ضجّةُ النّهار ،

فماذا . . . ؟

حرّك الحسُّ فى الدُّجى المخمور

أغرامٌ . . ؟ !

عهد الغرام توارى

وانطوى

مضجع الهوى المسعور

وتمشّى فى قصة الأمس سِرٌ

أيقظ الموتَ

فى ذرى آشور .

فخلا القصرُ

غير طيف فراغ

عصفت فيه لوعةُ التدمير

وخلا القصرُ

غير حسناء كانت

تعبد الصَّمت فى الفراغ الكبير

عتَقت شهوة الدماء ،

فجنّت

دودة الطِّين فى الدَّم المأسور

أين نينوس ؟

زوجها المتشهى

أين لذات أمسه المأثور ؟

كلُّ عرْق فى جسمها

يتلَوَّى

بضجيج اختناقها المحرور

قد غفى أمسها الجميل وولّى

فى المتاهات

كومة من عبير

فإذا البهو غيبة «وذهول»

فيه ما فى فؤادها المستجير

كلُّ شىءٍ هنا

مجرد شىءٍ

وجمود مقيّد بعصورِ

كم رأى اللّيل أدْمعاً تتمطى ؟

كجراحٍ فى وجهها المقرور

كم تهاوى

فى مسمعيْه نشيجٌ

وانتفاضات قلبها المكسورِ

كم تمنت ؟

لو أنها بنت راعٍ

تسجر اللّيل فى لَذَلَى تنُّور

كم تمنَّت ؟

لو أَنَّها بعضُ حلم

لم يقيَّد بعالمٍ شريرِ

لم يدنس بغمرة الطين يوما

لم يعتق صداه بين القصور

كم تمنت ؟

لو أَنَّ تلك اللآلئ

وهى فى صدرها شهادة زور

زفرات

تبلورَت فهى دنيا

سلّها الحبُّ من دِما غرّير

أو أمانى عاشق مستهام

أو دموع

لشاعر مغرور

أىّ معنى لتاجها . . . أتغذى

نهم الجسم من سناه المنير . . ؟

أى معنى لعرشها المتعالى

وهو يشدو لعمره المنصور

ليس فى تاجها

جنون حياةٍ

ليس فى عرشها بريقُ شعورٍ

تتلوى على الفراش

عساها

تزرعُ الحسَّ فى الفراش الغدور

هكذا عفّر الخريف

جفونا

لم تزل بعدُ مرتمى للنُّور

هكذا صاحب الظّلام سناها

وهو ينسلُّ للفناء المرير ،

سميراميس ذيّاك الّذى أدريه عن قلبك

سميراميس من هذا الّذى يغفو إِلى جنبك ؟

ضجّر الصّمت ليلةً

فتمطى

فى غضون السُّكون همسُ رداءٍ

عبر البهوَ كالخيال

رقيقا

يتوقّى مطارف الضّوضاء

وعلى ضفّةِ الظّلام

تراءت

خفقتان من السّنا الوضّاءِ

عكس القلبُ فيهما

من دِماه

بعض أطيافِ منية هوْجاءُ

فوق نوريْهما

التفاتُ سنين وانتفاضٌ لفكرةٍ

حمراء

أيُّ سرٍّ

فى ناظريها يدوّى

أىُّ سرٍّ

فى هذه الأصداء . . . ؟

هيه . . .

مهلاً . .

لقد تحرك باب

وشعاع فى الكوةِ السّوداءِ

وعلى مبْسَمِ السُّكون

تنزت بعض آثار ثورة خرساء

أطلقتها

من مذبح الجسم

آثام فتاهت مع الرُّؤَى فى الفضاء

تخلق الحسّ فى الدُّجى

وتندى

ختلاتُ الظِّلالِ بالأغواءِ

إيه آشور

ذاك تاجك جاثٍ

يتفانى

على صديد اشتهاءِ

تلك . . . راميس

دودةٌ

تتشهى جيفة الأرض

. . . . . . ثورة الأنواءِ

شرقت بالسُّموم حتى تلاشت

صور الطّهْرِ فى الرُّؤَى الرِّعناءِ

صور أحرقت روحها

وذكرى ليالٍ

كم تعطّرن باختلاج الوفاءِ

فعلى خافق السرير

استبدت

عاصفات ،

بطينتى أهواء

طوقت ابنها

فسلّت دِماها

من صدى أمسِها القريب . . النّائى

طوّقته

فطوّقت ذكرياتٌ

يتخبطْن فى جنون الدّماء

ها . . هنا

ها . . هنا

ربيعٌ فتىٌّ

وخريفٌ مضمخٌ بشتاءٍ

عصف الشرُّ فيهما

فتوارت

خدعة الطُّهر والعفاف المُرائى

صاحَ :

نيناس . . تلك أمُّكِ

فاسكر

برحيق الخطيئة العمياء

دنَّس الماضى المسيىء

وحطَّم

تحت رجليْك عفة الأبناء

أنتَ . . ما أنتَ

غير كومةِ طينِ

فيك

ما فى التُّراب من أشياء

هيه . . .

ماذا . . . ؟

أرى بعينك روحى

وجنونى

وعاصفات ندائى

وجحيماً

يطلُّ من كوَّة العين ويحبو

فى الغرفة الصمّاءِ

هيه . . .

ماذا . . . ؟

أراك تخشى رياحا

أنا أيقظت شرّها

من دمائى

فيمَ تَخشى الحياة فى موكبِ النارِ

فترتدُّ

عن دمى أهوائى

إيه . . نيناس

تلك أُمُّك

فارفق بنداء الأمومة الشوهاء

لبِّ صوت الخنا

فلبّى نداه

واستوى الفصل فى ضمير الخفاء

ولوى اللَّيلُ جيده

واستفاقت

فى شفاهِ الحياةِ روحُ سناء

ثم أغفتْ

فى كوّة القصرِ كالحلُمْ

وظلت كهمسة بيضاء

ورأت . .

قصة

فثار سؤالٌ

فى عروقِ السُكينةِ الملساءِ

سميراميس من هذا الّذى يَغْفو إلى جنبك

يريق الإثم فى قلبك . . ؟

– هو ابنى أيها اللَّيْل الّذى يولد من رُعبك



أهْـــــــوَاكَ

أنا أهـواك ولكن

غيرَ ما تهوين أهـوى

أنا أهـواك جراحاً فى حياتى تَتلوَّى

كلَّما هـدهـدتها

أهدت إلى العالـم نجوى ،

أنا أهْـواك نشـيداً

أزليا

يتغنَّى

فيه ذوَّبت شبابى الرائع الألحان لحنا

ولنفن بعده

فالحبُّ عمرٌ ليس يفْنى

صَـــدَى خَــرِيـــف

قلبٌ توكّأَ على عكازة الذِّكرى

وراح يبحث فى أنقاض

ما مرًّا

عن صورةٍ أُهملت فى قبوِ أيامى

يا قلبُ . .

دعك من الماضى

وأشلائهْ

كفٌّ السنين أبادت كل لألائه

ولن ترى

غير أشباحى وأوهامى

ظلَلْت أرقصها بالكذب

أياما

حتى استحالت بمر الدّهر

أنغاما

أروى بتضليلها قلب الصّبا الظّامى

إنْ كنت تبحثُ

عن حبّى

وعن أملى

فالحبُّ أغْفَى

وماتت همسة القبل

من بعد ما ملأت

صاب الأسى . . . جامى

أو كنت تسأل عن آمالى الغُرِّ

فتلك كومةُ وهمٍ

أغرقت فجرى

يوماً

ولم تبقِ إلا يأسَكِ الدامى

كما نسيتُ الصبًا . . .

دعه لدنْياه

فلن ترجع لى شيئاً

بذكراه

إلا تفجّر أحزانى

وآلامى

يكفيك ما فى كئوسى اليوم

من ألمٍ

وصبوةٍ تتلوّى فى يد العدم

حيّرى

تقلّص فيها نبع أحلامى

أراك تمعن فى نسيانِ صورَتِها

ما صورتى غير أحلامى وشقوتها

تلك التى حملت أعباء أعوامى .

اليوم تغفو وراء الغيب فى كَلَلِ

كأنّها سئمت

وعداً بلا أمل

يهفو على وترٍ دامٍ وأنْغامِ

ومثلها فلتنم

أيام دنياكا

فالشؤم يرقص فى دربى ومسراكا

«وقد تميتك

ألفاً . .

دورة العام»

نَشِيج

نامت على أجفانى الغافيه

تذيع بين الصّمت أحْزانيه

ذوبتها

من مهجة ذوّبت فى لُجةٍ من نار آلاميه

عصرتها من أملٍ خائبٍ

كزهرةٍ ديست بأقداميه

. . . . . حتى التى سقيْتها

مُهجتى

نمّامة

باحَت بأسْراريه

يا دمعتى

اللَّيْل قد خيَّمت أشباحهُ

فى غرفتى الباليه

للهِ

خلينى إلى وحدتى

أبثُّ للشمعة أشجانيه

فشمعتى شاعرةٌ طالما

غنَّت لى النُّور بأجوائيه

تشكو لى النَّار

وأشكـو لها

ناراً

من الحبِّ بخفاقيه

تُصارع اللَّيلَ فما ينتهى

كأنما الظّلماءُ

أياميه

صفراءُ فى اللَّون كطيف التى

وهبْتُها العمرَ

واحلامِيَهْ

يا شمعتى . .

أمسكِ الضُرُّ . . أم . .

سَرَتْ بأحشائك أدوائيه . . ؟

أم هذه الصفرةُ

من وجهها

تذكرةٌ

تلهبُ أشواقيه . . . ؟

يا شمعتى . .

ماتت عهود الهوَى

دفنتها فى ليل أوهاميَهْ

لم يبقَ من حبى

إلاَّ صدًى

مشوشٌ

يرثى

لآماليه



الصّمتُ الحَالِمُ

كفى التّألم

واهـجعى

تعب الزمان فلن يعى

عبثاً ترومين الصّباح وصبح سعدك

قـد نعى

عيناك

باهتتان فى لُجَج الظّلام المفزِع

تتلمسان عواصفاً

سوداء لمّا تهجع

حلمان

قد هربا من الماضى البعيد المفجعِ

وتأرّضت نجواهما بتوجع

نامى . . .

على صدرى . اسندى مخمورَ جسمِك

واهجعى

ودعىِ جدائلَ شعَرْكِ الزّاهِى

تقبِّل أَدمعى

إنَّا انطلقنا من مدار الأرض

فابتسمى معى

ما لى أراك كشاعرٍ

جاثٍ

على حلُمِ الّطريقْ

أعمى تعكز بالهواجس والظُّنون بلا رفيقْ

يحبو على فجر الصّبا

متعثرا بخطى الشّرُوقْ

حسب السّنا إغفاءة بيضاء فى الوادى العميقْ

وستنتهى أحلامهُ الحيْرَى

إلى أبدٍ عتيقِ

لا شيءَ غيرَ الأرضِ ، خافقنا الصَّفيقْ

لا شيء غير رسومِنا تخبو بذاكرةِ الطَّريقْ



الزَهْـــرَةُ الحَـمْــــراءُ

زهرتُكِ الحمراء . . . لَمّا تزل ترقرق الأعطارَ

فى مخدعى

وترقص الأحلامَ فى غرفةٍ

أرقصت دنياها على أدمعى

كونى كما شئتِ

فإنى هنا

أقيم فى أوراقها مرتعى

وأرتمى . . .

فى طيبها

فراشة «محمومة» لا تعى

من بسمةٍ حالمةٍ . . .

منْ رُؤَى

تهفو على أجفانِيَ الساهمه

أطلقت أيامى تعبُ المنى

من شفتى زهرتكِ الحالمه

وكلّما همّت بتقبيلها

خفقة إنسانيتى الآثمه

ارتعشت . . .

بالله . . . لا

قد أودع الطّهر . . . هنا

عالمه

قيثـَـــارةُ الأمَــــلِ

كلٌّ له قيثارةٌ إلاّ . . .

أنا

قيثارتى فى القلب حطّمها الضّنا

كانت

وكنّا

والشّباب مرفرفٌ

تشدو فتنشر حولنا صور المنى

واليومَ

كفننا السُّكون ولم نزل

بربيع عمرِنْا

فمن يرْثى لنا . . ؟

فى صمتها الدّامى

تكرّرُ لحنة مسلولة

تشدو بلا أوْتار

هربت من الماضى البعيد وعهده

وأتت

لترثى

– خلسة . . . قيثارى

يا لحنة الذّكرى

فديتك . . . ارجعى

أخشى ضلالكِ فى دجى

. . . . أقدارى

فلترقـــد

ترجمة : عن أوسكار ويْلد

سر وئيداً

إنّها تغفو . . . هنا . . . تحت الجليدْ

وتكلّم هامساً

فهى تعى همس الورود

شعرها البرّاق

قد لوثه ليل الصّدا

طفلة حسناء

أمسى فوقها يغفو الرّدى

مثلما الزنبقة العذرا

وكالثلج نصوع

جهلت امرأة كانت

فشبّت فى خشوع

لوّحَ نعش

وصخور

فوق نهديْها ترامت

أحزنتنى

وهى فى أَرْجُوحة الرّاحة نامت

صه . . فما تسطيع أنْ تسمع للقيثار لحْنا

ها هنا . .

فجر حياتى تحت ثُـقْـل الأرض يضنى

لا شَـــىءَ هُـنَــــا

إيه يا فجر صباباتى . . . انته

لملم الآن صبابات المنى

كلُ شىُءٍ قد طوى تاريخه

وانطوى فى ظلّ عهد

موهنا

إتّكأ الماضى على أحلامه

يلعن الصّمت

ويشكو الزّمنا

وسيمضى اليوْم مـحْموم الخُطَى

يتمطّى

فوق رجليْهِ الضّنى

توغّل الظّلمة فى أيامه

وهو كالأمس يصلّى للسنا

كل ما فى حاضرى يصرخ بى

أَيها المجنون . . لا شىءَ هنا

ها هو الحبُّ يولّى

هرباً

بعدما أودى بدنياه السأمْ

لم يعد كالأمسِ

إن غارت بِهِ

مدْية الحزْنِ تغنّى بالألـمِ

ومضى ينسج من تلك الدّما

خفقة النُّورِ وأحلام الظُّلَـمِ

وإذا ما الدّهر أبلى أملا

كانت التَّوبةُ فى جرح

ودمِ

كيف أمسى طلَلَلاً كابى الرؤى

وصحارى ؟

من رمالٍ . . . وعدمِ

كلّما لذّت بدنياه أمحت

غير سطرٍ قال: لا شىء هنا

كلُّ آمالى تلاشت

مثْلما يتلاشى النُّور عند الغسقِ

وتساوى اللّيل عندى

والضُّحى

رُبَّ ليلٍ فجره لم يفقِ

أجرَع الحزن كئوساً

كلّما

أفرغت أترعتها من أرقى

صُوِّبت من كل صوبٍ أسهمٌ

لست أدرى

أى سهم أتقى

وإذا استنجدت بالوهم

هوت

مدية الأحزان تفرى مخفقى

أيها التائه فى ودياننا

ضلَّ مسراك فلا شىء هنا

أنا إنسانٌ كباقى النَّاس

لكن . . . ويْح نفسى أى إنسان

. . . . تراني

ليس لى ماضٍ

وما لى غير يومٍ

يرسم العمر على سود أغانى

وغدى

فوق يد الغيب دنى

لتهاويل رمادِ

ودخانٍ

تخفق الأيام فى راحته

بالأسى

بالذُّعر

بالصّمت المهان

وسيمضى مثل يومى بدداً

ذابل الأحلام مخنوق الأمانى

يتلوى فى دمائى صيحة

أيها السّادِرُ لا شىء هنا

وغداً للقبر تسعى قدمى

كى أريق العمر فى مظلمه

ويبيد القدر الغافى على

. . . . قلبى المحموم بقيا حلمه

فإذا العالم

حسٌ هامدٌ

ترقص الظُّلمةُ فى مأْتمه

وإذا مرسم إلهامى دُجَى

تنعبُ الديدان فى مرسمه

كلّما لجّ بها الجوعُ

مَضَتْ

تنحت الحكمة فى أعظمه :

يا أخا الروح الذى استحقرنا

كلٌّ دنياك

بأيدينا

. . . . . هنا

أيها الإنسان يا من دُسْتنى

دودة . . . دنياك فى كفى . . . هنا

صُـــــورَ فِــى كَــــأْسِ

لا تبسمى المصباح إن السّنا

يؤذى جفون الظُّلمة الحالمهْ

يكفى من البدر شعاعاته

تحوّمُ فى أرجوحةٍ

قاتمه

يأسرها اللّيل بظلماته

فتنثنى ساخره

باسمه

كأنها أشباح حلم غفت

فى ظل أجفان الدُّجى

الساهمه

وقرِّبى الكأس

ففى خمرها

رسومُ أيامِ الصِّبا جاثمه

فذا شبابى

مورق ظلُّه

يتيه فى أحلامه الناعمه

يحوم فى روضة أوهامه

جذلان من أشذائها الهائمه

وتلْك . . . فى تلْك . . ؟

أرى غادةً

فى الكأس مثل اللُّجة الواجمه

ذا ثغرُها .

وتلك . . . ماذا هنا . . ؟

بسمتها القاسية الغاشمه

ونور عينيها

على عهده

بحيرة مزبدة . . فاحمه

تموج فى أمواجها شهوةٌ

أعرف فيها اللّذة الآثمه

لا تجهدى المصباح إنّ السّنا

لن يعرف الدّرب لقلبى الحزين

لا تبْسَمِى شيئا

ففى مهجتى نورٌ غفت فى شاطئيه المنون

والكأس

ما زالت ثمالاتُها

تهيجُ الشّوقَ فيبكى الحنين

ويهتف اليأس بها

صارخاً :

ويْلك أذويت الشّباب الثّمين

هجرت دنياك

إلى غربةٍ

يصكّ أذنيك صراخ الأنين

أنظر إلى وجهك

ماذا ترى . . ؟

تلوّى الآلام فوق الجبين

أهرمك الشّوق لمأوى الصّبا

وأنت ما زلت بباب السّنين

تقطّع الأيام

فى غرفةٍ

جاثية فوق شفاه السُّكون

كأنها والصّمت ثاوٍ بها

جمجمة تخفق فيها الدُّجون

أين الهوى المراح

مستلقيا

تحت خميلات الشّباب الحنُون

لا شىء من حلم الصّبا . . .

. . . . ها هنا

إلا صدى الذكرى وهمس الشُّجون

نِهَايَـــةُ حُـلْـــمِ

عيناك

ماذا فيهما . . . ؟

يا للشقاوة . . . انطقى

إنى أحسُّ وراهما

صوتاً سيخنق ما بقى

وأرى

على ظليهما شبحُ التمرُّد يرتقى

أنويت قتْل غرامنا

فى المهدِ

دون ترفُّـقِ . . . ؟

ما زال طفلاً لم يذق طعْم الحنانِ

بمرفقى

ما زال حلماً باسماً

لم يغْف بعد بمخفقى

أنسيتِ . . ؟

يومَ طبعتُ فى عينيك ظلَّ تحرقى

فتبسمت

شفتاك فى أذنى بحلمٍ شيقِ

وغفتْ

على ثغرى كأفق بالسّعادة مغلق

أبنوره . . ؟

أبنوره النَّمل الذى غنَّى فأَرقص مغبقى

أطوى لحونَ شبابنا وأسمّ صبح

تعشقى . . . ؟

سَــــأمٌ

يا طيوف الفناء هذى حياتى

دمريها

فقد سئمت الوجودا

بدّلى النُّورَ

بالظّلامِ

ودوسى

تحت رجليك عمرىَ المكْدودا

قد سئمتُ الحياة أطلالَ صمتٍ

ودموعاً

ينسجن حَوْلى الشّقاء

وركاما من الهموم الجواثى

فوق قلبى

تهده أعياء

قد صحبنا الزّمان حتى . . .

مللّْنا

وجرعنا من السّنين الكفايه

فأسدل السترْ َ يا فناءُ

ومزق

قارئ الأمس والهوى

والروايةِ

كنتُ بالأمس إن بكيتُ

تمشّت

فوْق جفنى كفها بحنان

ولكَمْ بالشّفاه سلّت دموعى

لترْوِى جنانها

من جنانى

كم رتعنا على شواطئ حلمٍ

نتغنّى برائعات الأمانى

فرأيت الحياة أطْيافَ حُبٍّ

حالمات

سماؤها عينان

وإذا ما الزّمان لَملَمَ أفقى

أفسحت بين جفنيها

لى زمانا

وأراقت من ناظرين سماء

كم تنقلْت بينها نشوانا

أين ذاك الصّباح . . . ؟

لا شىء منه

غير ذكرى تزيد قلبى حزُنا

ونشيج

مغلف ببقايا من فؤادٍ يذوب يأساً

ويفْنى

يا طيوفَ الفناء

مُرّى سريعاً

قد خبرتُ الحياةَ فى كلٍّ دوْر

فعرفت الهدوء

فى الموت يحيا

ومهاوى الرّجاء

أرجاءُ قبر

لِهَـــاثُ الوِحْـــدَة

أُذناى

عمّهما من الماضى البعيد صدى شبحْ

وخيال أغنيةٍ من الذكرى

تفجّر من برح

لتعود بالحبِّ الطّعين

يكاد يزهقه . . . الترّح

لمّاً تزل تعوى على أطلاله

صور الخداع

وخيانة القَدَرِ البهيم

وعالم الوهم المضاع

لمّا يزل

كالأمسِ يحلم باللّقاء وبالوداع

يا حبُّ . . . قد ذبلت عروقى

والتظى فيها الهِرَمْ

ومضى الشبابُ عصافة لاذت

بزوبعة الألم

والدّهر أيقظ فى دمى المخمور مأساة العدم

يا حبُّ . .

قد مات الشّباب وكنت من خلاّنهِ

فاجرض حياتك

واندثر فى ذاهبات زمانه

أخشى عليه لهاث وحدتهِ

وصمت مكانِه

فهناك

لا حلم يهددهُ

ولا نجوى أملْ

وهو الذى قطع الحياة على عوالم من قبُل

ارجع إليه .. . وخلنى أحيا بماضيه الثَّمل



النَهْـــــرُ الأسْـــــوَدُ

زنبقةٌ سـوداء

فى ثغرها الذّاهل قد نام احتضار

السّماءْ

نهر تمشّى اللّيل

فى لجّـه

مسترسلاً

يسبح فيـه الصّفـاء

تقلّصتْ أمواجهُ

شهوةً

تكوّنت

نهداً يُناجى السماء

كأن احـلام الصبـا

جمُـدًت

فى قدحـى لِحـم

وكأسـى دِمـاء

وانتفض المغرب ...

فى حلَمَتىْ نهدين ... بل ..

أنشُودتى

اشْتِهـاء

حَـــدِّثِيـــنِى

« حدَّثينى

عن حياتى المـاضيه

فهى أنوار الشّباب المندثِر »

وأعيدى لى صدى أياميـه

يوم رفت فوق آمـــال

غـــرر ،

جدِّديهـا ..

وأبعثيهـا ... ثانيه

ذكريات

تتمطّى فى خـورْ

حطّمتْهَا كفٌ دهـرٍ عاتيه

لم تدعْ غيرَ شتاتٍ من صورٍ .

حدثينى عن ليالينا الطِّوالِ

والهوى ينشر دنياه عليْنا

نتغنى فوق شطآن خيال

يتهادى

باسماً فى ناظرينا

فإذا بالدهر أطياف جمالٍ

ووعودٍ

وأمانٍ فى يدينا

كيف أهديت سناها للزوال

والليالى لم تزل

ظمأى ... إلينا ... ؟ !

حدّثينى

فعسى أنسى همومى

بعض حين

بين همسِ الذِّكرياتْ

سئمتْ نفسى اكتئابى

ووجومى .

وذهولاً سل من عمـرى الحيـاة

لم أعـد غير أناشيـد سهـوم

تتلــــوى

فى جحــيمِ الشكويات

فابعثى النَّشـــــوة من تلك الرُّســوم

صـــــورة

تومِض فى عتمـــــة آت .

حدِّثينى

قــد أطـــال الصَّمت ... صمـتا

وارتمى فى لُجج الوحــدة مضنى

وابعثى

من جدث الغـــابر موتى

هى أجـــدى أن تعيش الآن منـــــا

فبعينيـــك

من الأطـلال شتى

اطلقيهـــا ملء أذنى تتغنـــى

ليتنـى أصبح فيهــا اليـــوم صوتا

يرقص الأيــــام

حبـا

وهـــو يفْنَى

حدِّثينى ... ،

ودعينى مسلما

رأسى المكدود ما بين يديْك

وأرسلى الذِّكــرى لحـــوناً حوَّمـا

كطيــــور أطلقت من شفتيك

ضــمَّ جنْحـاها

شباباً أهيمـا

كم تمشى حالماً فى ناظِريك

وَلَكَمْ ...

لامس دنيـاه ... الظّما

لغــرامٍ

فارْتــوى

من ناهديْكِ ،



وَدِدْتُ لَــوْ ...

وَدِدْتُ لَــوْ حطّمتُهــا

لــو دستُهــا

لــو أنني قتلتُهــا

وددتُ لو جبلت من عظامهــا

مرآتى المحـــدبهْ

أظـل فيهــا مبحـــراً . تحملنـــى أشرعتى

حكـــاية أجمـــل ما فيهــا .. أنا

ونقمتـى الملتهبــهْ

وددت لــو صيّرت كل جسمهــا

منافضــاً ،

أطفئ ما أحرق من سجــائرى فى عتمهــا

لــو أننى بصقت فى الوجــه الذى ..

لى فيـــه ما ليس لهـــا

لى فيـــه من نفسى التى حَببْتُهـا

نقـــاوة ليستْ لهـــا

وددتُ لــو عرفتَها ككلٍّ من يعرفهــا

ألعــوبة تغلق عينيهـــا

لأى عــابر إذا اشتهى

وددت لــو عرفتَــــها

ككلٍّ من يعــرفهـــا

فنــادقاً يغرق فيهــا موتهــا

وددت لــو حفظت ما كانـــوا يقولون لهــا :

- سيدتى شكـــراً لمــا قد انتهى ،

١٩٤٩

رَبِيـــعُ شَقِـيّـــــه

دخــل الرّبيـــــع لوِكْرِها متسلّلاً

وجئـــا

وعفّـــــــر ثغـره بجبِينـهـــــا

فتسلّلت من روحـه الشّهّــــاء أحــلام

غفت بين اختـــلاج جفـونهــــــا ،

قــالت لهـــــا :

قومـى ... استـفيقى ... وامرحى

إن الشّباب دنـا وقبّــــل ناهديك

وأراق دنيـــاه الجميلـــــة

زهـرتـى نـــــور

وأحـــلاماً ترف بوجنتيَك .

فتململتْ فوق الفراشِ كزهرةٍ

فى روضِــــها الفيْنانِ

والمعطـــار ... نَشوى

وتململت فى صدرهــا

دنيــا هـــوى

وتثاءبت فى العيْن أطياف ونجْـــوى ،

ضـمت وسادتهــا ،

وفى شغف هو[illegible]

تبلى الوِسـاد بلَثمهــا تجريحا

فكــأنها كانت تصب بجسمه

روحـــا

تبادل روحــــها التبريحا ،

وإذ استفاقت لم تجـد

غير التَّعاسة والأسى تستل روح

شبابها

قدرٌ يسطرهـا رواية أدمعٍ

تتجاوب الآلام طى كتابهـا

ضمَّت وسادتهـا

وسدَّت عينهـا

لتعـود ثانية إلى أحلامهـا ،

دنيـا الخيـال أرقّ من دنيـا صبـا

خنقت كوارثها سنى أيامهـا ،



الطَّبِيعَـــة الغَـاضِبَـــة

اللّيـل جـاثٍ

والظّـلام مكشّر عن نابه

والرّعـد يرعـد كلّمـا هتف السّنـاء ببابـه

فكأن خلف اللّيـــل

قلباً ملّ طول عذابـــه

سئم السُّـــــكون تعربد الأشبـاح فى مـحـــرابه

فهـــوى على الدنيـــا

يريق بهـــا التّمرد والسُّهومْ

ويصبُّ فى خلجاته نوح العواصف والغيـــومْ

لم يرحم القمرى وهو يئن بين يد الكلومْ

يستعطف الريحَ الغضـــوبَ

ويشتكى اللّيـــل الظّلـــومْ

وبنـــاظريْه تأمل دام تقطـــره الهمـــوم ،

وأطلٌ من قلب الظّـلام ختام أحـــلام عذابْ

يلـــهو بهـا قدر وراء السـّـر أضْحكــــه العذاب

فالزّهـــرةُ الحسناء لفت ساعدين

على اضطراب

ثم انحنت

وغفت على لغز ولم تأنس جواب

أترى تسائل نفَسها

عما ستلقى فى التراب . . ؟

وهناك يجتاح الدجى المصدور

إنسان غريبْ

هجر المدينة هازئاً

باللّيل

بالريح الغضوب

إن هوّما فى دَرْبه

فبقلبه انفرجت دروبٌ

أو حطما روضاً له

فخياله روضٌ قشيبٌ

لا اللّيل يأسره ولا تسمو لدنياه الخطوبْ

من أنت . . ؟

يا من ترهب الظّلماء خطوته الرّهيبهْ

يمشى كما شاءت عصاه

كأنها حفظت دروبهْ

تتنفّس الأشباحُ فى عينيه حالمةً

كئيبهْ

لا اللّيل أرعبها بما يملى ،

ولا خشيت قطوبهْ

من أنت . . . ؟

- إنى شاعرٌ عمرى أعاصيرٌ غريبهْ

فلتعصف الأحداث ما شاءت

وما شاءت غير

ولينقل القمرى آهات العرائش والشجر

ولتنفجر محمومةُ الخلجات في الدنيا سَقَرْ

لا . . لن تموت نشائدى ما دام فى قلبى وترْ

إنى انفجرت من السّحاب

وجئْتُ من قلبِ القدرْ

انـتَـظِـــــار

يمشى الشّتاء بغرفتى متعثرا بظلامها
والدّفء مشلول القوى
جاثٍ على أقدامها
قلقاً يمرغ ضوءه المخنوق فوق رَغامها

واللّيل داجٍ
والعواصف نائحات خلف بابى
ورياح كانون الكئيب
تبادل القلب اكتئابى
عبرى تسطر فوق نافذتى التفاتات اضطرابى

والسّاعة الحمقاء تطمر فى الدُّجى ساعاتها

فعلام لم ترجع . . !

ألم تسمع صدى دقاتها . . ؟

ولعلها نسيت حديث الأمس فى همساتها

رباه . . .

إن الشّك يقتلنى بدون ترحم

فبأى صدرٍ فاجرِ الشّهوات مشبوب الدّم

تقضى المساء الآن بيْنَ تهتك وتأثم

وأخالها نشوى يسيرها المجون ولا تعى

نشوى تدنّس جسمها فى مخدعٍ

وتهينه فى مخدعٍ

وتذل حباً طاهراً قدست فيه توجعى

هذا السّراج قد انتهت أحلامه

ودنا الصّباح

والفجر يولد مرة أخرى عل نزف الجراحْ

ومحت يد الصفو الجميل دجى العواصف

والرِّياحْ

لكن بقلبى لم تزل ريح تبثُّ أنينها

وعواصفٌ مجنونةٌ

تملى على جنونَها

شك يداهمها فتنثر فى الجفون

دفينها



اخْـتِـنَـــاق

كآبـــة خرســـاءْ
فتنـشـــر الأرزاء
وترقـص الأنـــواء
إن مسّت الأهواء

تزفـر في قلبي
شوكاً على دربي
سكرَى على هدبي
انهـدت إلى جنبي

وعافهـا الماضـــي
رعشات خذلان

يا خفقة المصباح
يا رعشة المفتاح
يا وهمي الملحاح
فأطلق بها الأشباح
قد غفى الإصباح

يا ضــوءه السّامي
في باب أحلامي
خنـقـت أنغـامي
تـنحـت أيـامـي
في جرحـي الدّامي

يرقص أنقاضي
في قبوه الفاني

من أين كم من أين — مــــرّت بآذانــى
فخلفــت ضِدّيــن — شكــى وإيمانــى
وتهت فى الصوتين — أبحـث عن جانى
خلّــد فى الداريــن — مُضغــة نيــران
وعافنــى عينــيــن — وخافــقــاً حانــى

تحمله الشكوى

صحراء حرمان

من أين يا أشبـــــاح — جــئت لدنيـــانا
جناحك الأتـــــراح — وهمس شكــوانــا
ولعنــة تجْتـــــاح — عتْمــة نجْوانــا
هــل أنت من أرواح — سئِمنَ مأْوانـــــا
فطفن فى الأقـــداح — يبْغين سلْوانـــــا

وانساقت البلوى

تمتصُّ الحانى

إن كنت كالإنسان — من طينـــة حمــرا
تخفـــق بالأدران — وتعبــد الطّهــرا

فاستغفـــرى الشّيطـــان   مـــن هـــذه البشـــرى
لا . . . أنت فى الأجفـان   مهـــــــازل أســــــرى
تخلقهـــــا الأشجــــان   فتخلـــق الذّكــــــرى
والوجد والآهات
فى روح سأمان
هـــاتى لى الذّكـــرى   وأمــــلى بهــــا كـــاسى
كـــم ساعـــة تَتْـــرَى   فى جـــوع أنفـــاسى
وتنصــــبُ الشَّــــرّا   فى قـــدسِ أقـــداسى
فأحــــرق العُمْـــــرا   نـــوراً إلى النَّـــاسِ
واللّيـــــل قـــد أبـرى   قلـــبى وإحســـــاسى
والجوع والعـــلاَّتِ
يمضغـــن إيمـانى

كَفَنٌ مِن دُخَان

عمـــرى رمـــاد وابتسام دخـــان
عصرتهمـــا من خافقى أشجانى
فدعى الرمـــاد يضم أنوار الصّبـــا
ودعى الدُّخـــان
يحوك لى أكفانى
قد كان خلفهما فؤادٌ خافقٌ
غنّى فما أصغت له أذنان
وبكى سنى للنّاس رفافاً ... فمـــا
رفّت على خلجاته عينانِ
فأحال ذاك النُّور
رغم بهائه ... دنيا رماد قاتم الألوان
وأحال زغردة اللّحون وعطرها

ظلمات وهمٍ

وانتقاض دخـــان

قلقاً أسير مع الوجود كأننى

أمشى بأيامى على بركـــانِ

وهجرت صبحى

وهو مُؤْتلق السَّنَى

أعمى يكفنه دجى الحرمانِ

كبدى استحالت قصة

.......لمدامعى

تُطْوى ... فتنشرها يد الأحزانِ

حتى تعوّدت الحياة

سحابة سوداء ألقت رحلها بجنانى

فكأننى والدّهر يعبث ساخراً بشبابى

............المتهدم الأركانِ

وترٌ بقيثار الحياة مقطعٌ ... ماتت

............على خلجاته الحانى

يا موجةَ الأيامِ هذا شاعرٌ

مضنى خذيه لشاطئ النِّسيان ،

شكاية مهمل

ليل يحوك الرُّعب حول سكينتى

ويطوف أحلاماً تجن بمسمعى

وخفوق أجنحة الظّلام يخيفنى

وتنفسُ الأشباح يقلق مضجعى

حتى حَسِبت اللّيل

ليثاً جائعاً ،

باتت مخالبه تمزق أضلعى

والموت يحبو فوق صدر صباى نشواناً

بلحن شقائى المتقطّع

يغتاله قبل الفناء كزهرة تذوى وعيناها

بحلمٍ ممتعِ

كقصيدة ماتت على شفتى ولمْ

تسمع صدرى إلهامها المتوجع

وكشمعة

سحق المساء سناءها ، فغفتْ

على كف الدُّجى بتفجعٍ

وكصورةٍ

سلب الغبار جمالَها

فى ظل صمت بالظّلام ملفعٍ

أنا مثلُها ،

عمرى شكاية مهملٍ وصراخ مهجورٍ

وبسمة أدمعٍ ،

ما زلت أشتاق الحياة

وإننى .. سأموت والنّسيان يقبر مطلعى

سأموت لا ماض يحن لرؤيتى .. يوماً

ولا خلٌ سيدرك ما أعى ،

وحدى أكفن بالظّلام تعاستى

وأرى سواد اللّيل يملأ أدمعى ،

حتى الدُّجى القاسى استجاب لشكوتى

لكنّ ...

خلاًّ ما بكى ساعاً معى .



مَـوْتُ شَـــاعِرِ

أسلم الرَّأس لكفيه خذولا

وتمطت بازدراء

شفتاهْ

خنقت بسمته دنيا أسى

كنهار شرب الغيم سناه

هزأ القرطاس من أطراقه

مذ رأى الحيرة تودى برجاه

مذ رأى أجفانه مخموره

بلحون

لم ترتِّلْها الشَّفاه

عصرتها مهجة خفاقة لتروّى

بدماها مبتغاه

رام أن يبصرها فى أحرف صدقت وعداً

وما خانت هواه

رامها طيراً حبيباً علقت

بجناحيه نشيداً كبرياه

خانه الحرف وها ٠٠٠أحلامه

قد ذوت مخذولة

فوق لِماه

ومضى يستعطف الكأس فما

أنقذته

من دياجير دجاه

جمدت أنظاره فى خمرها

وتلظى في الحواشى محجراه

بزغ الفجرُ وقد مد تليلاً

فرح النور

رقيقا من ضياه

فرأى شاعرنا مستلقياً

فوق دُنيا

من خيالات رؤاه

كان فى عينه سطر للمنى ··· فمشى

···········الموت عليه فمحاه

وإذا بالشّاعر الغريد جسم

متلاشٍ

لا حراك فى قواه

ورأى الكأس حطاما نثرت

بين كفيه وغاصت فى دماه ·

وسكوناً

مثقل الصدر جهوما

يتخطّى عالَماً جلّ أساه

ورأى فيما رأى

أحلامه

قد هوت تعبى وما حاذت ذراه

ورأى فيما رأى

أسفاره

كقبورٍ جثَّمت تحت كواه

طيها أبلى شباباً يافعاً

شرب الموت

وأسقاها الحياه

أيها الجرحُ الذى كان له

مدية لم تدر ما طعم دماه

كيف أصبحت نشيداً خالداً

ليست الدُّنيا سوى بعض صداه ٠

انتِفَاضَةُ كأْسٍ

يا أبا نواس

قم

حَىَّ الدُّجى

حانة الأرواح واجمع شملنا

إن تكُ الأيام حالت دوننا

فهى لمّاً تغتسل فى

كأسنا

شفة الكأس التى صاحبتها

لم تزل

تصرخ

فى أيامنا

كلّما رنت عليها قبلة

خلتها

تروى لياليك لنا

هَمْس الطَّريق

فى كل ذرة صمت

تنمو وتخفق فكره

وألف شىء وشىء . . . . هنا يقدس سرّه

حتى الطّريق المسجّى

فى ناظرى رغامه

قد استحال لحوناً . . . . . . عميقة فابتسامه

وكدت ألمح دنيا

وراء رعشةِ صوتى

مذ صحت : يا ليل إنى . . . . أخاف ظلمة صمتى

حتى التراب الحقير

أراه ليس حقيرا

فالخوف أودع فيه . . . . رُوحاً تفيض شعوراً

رُوحاً تفيض حَياة

وراء كومةِ حسى

ترى أبين ضلالى . . . . وجدت هوّة نفسى . . ؟

يا درب سر بى فإنى

آنست شيئا جديدا

وخلف هذا الوجود . . . . . لقد خلقت وجودا

فمثل سرِّك قلبى

ملفّع بالظّلام

لكن ألف طريق . . . . . فى ظله المترامى

هنا . . جراح عهود

وصبوة وأغانى

وملء تلك وعود . . . . تحوك حبل الأمانى

فعشت بين خطوط

يا درب مثلك عميا

العارُ مرّ عليها . . . . . فمات فيها لتحيا

أبغى سمواً ولكن ،

حواء فىَّ وآدمْ

ولست إلا ظلالاً . . . . . . لرقصة تتقادمْ

ولست إلا تراباً

قد نتنته السنونْ

قاذورة من أمانٍ . . . . أغفت عليها الدُّجونْ

يا درب سر بى

فإنى

فى الأرض صرخة ذاتك

بل دمعةٌ

سرقتها

حواء

من بسماتك



خَـفْـقَـةُ الطِّـيـن

نزت الأثام من عمرى

فثورِى

وارقصى نشوى على قلبى الكسيرِ

مضغ الحزن شبابى

يافعاً

فامضغى بالشّهوة القصوى مصيرى

لست أهوى جنّة اللّه . . . ولا

أتمناها رجاء فى شعورى

لا . . . ولا أخشى سعيراً

خالداً

فلَكَمْ أدخلنى الدّهر سعيرى

أنا من نار

وناری شهوة

أحرقت جسمی وماجت فی ضمیری

نحن من نحن .. ؟ أجل

عمرنا من خفقة الطِّين الحقير

أمُّنا حواء أثم صارخ

أمسها ما زال ماخور الشرور

رقصة الأفعی التی غنت بها

لم تزلْ

تصرخ فی کل الصُّدور

لم تزل درْباً [illegible] رَی

وصدی سخریه الحزن المرير

فدعی الظَّن الذی قدسته

نصباً

فی معبد الوهم الغرير

لا خلوق

لا دنيىء . . . كلّنا فى مسرح الدّهر

تماثيل عصور

إن ما نعبده اليوم طهوراً

سوف يهزا بهوى الأمس الطّهور

بين نهديك اللذين انطلقا

وعد بركان

بنيران ونُور

كلّ ما فى أرضنا من جنة

هى من غُربة ذا القلب الكسير

فاستبيحى حرمة السر الكبير

صور الإثم بعينيك تلوت

كأفاعٍ

تتلوى فى سعير

أطلقيها تتغذى من دمى

وأقيميها سدوماً فى سريرى

لم تزل فى حمأة الجسم بقايا

سكرات

مثل ديدان القبور

يتغنَّى الإثم فى أحلامها

باللَّظى

بالشر . . . باللَّيل المثير

جَحِيمْ

فى ليلة صور فيها القدرْ

ملاعب الرِّياح والمطر

واللَّيل قد لاذ بأردانه

وكللت دنياه شتَّى صور

سيرنى الشوق إلى عالمِ

منعزلِ

ينفث أثماً وشر

لمنزل غافٍ بكف الدُّجى

إلا سنى يخاف أن يستترْ

يكافح اللَّيل ليهدى إلى منابع الشَّر

ذئاب البشرْ

طرقت باب الدّار فى خشيةٍ

كأننى

أطرق خفاقيه

هذا جحيم مزبد بالخنى

فكيف يطفى شهوتى العاتيه .. ؟

وما جحيم النّاس إلا دجى

يغور بين ناهدى غانيه

فلتحرقى يا نفس فى ناره

ما صنت فى جنة أوهامية

وحطمى الكأس التى بينها

قطرت أيام الصّبا الغاليه

ما النّار . . ؟

ما الجنّة. . . إلا صدى لنظرةٍ

ماجت بعين امرأه

كم أطفأت عمراً

وكم أوقدت

بنورها من مهجٍ مطفأهْ

وكم فتى أضله دهرهْ

ثم لقى

فى عينها مخبأهْ

فلا طلّق العمر بدنيا اللَّظى

عسى وأن يرينهْ

...... ملجأهْ

قد سئم الأرض مرافى منى

كاذبهْ

ولم تكن مرفأهْ

فلم يكد يحضننى عالم الرِّجس

وتطوينى أيادى سقر

حتى سَرَتْ فى جسدى

رعشةٌ

رأيت أحلامى بها تحتضرْ

ولم أعد إلا صدى شهوةٍ

تحوم فى مستنقعٍ

مُسْتَعَرْ

. . . واستقبلتنى غادة بضّةً

ماج بنهديها شعاع السَّحَرْ

وأطرقت فى ثغرها

بسْمة

تخفى بظليها جراح القدرْ

فثار شيطانى على شهوتى

وقال لى :

رفقاً بأحلاميهْ

لا تنزل الإنسان من قدسه

الى حضيض اللذة الفانيه

دع لى نجوم اللّيل

كأسى

طلى

فيها ومنها جرعتى الصّافيهْ

وذلك . . .

الأفق بألوانه الزّرقاء مأوى

روحى السّاميهْ

. . . لكن حيّات جحيم الخنَى

أغريْن باللّذة شيطانيهْ

سألته :

أين كئوس الدجى ؟

أراك لا تصبو إلى كأسه

وأين أفق بالمنى زاخر ؟

وأين ما صورت

فى قدسه ؟

حطمت ما قد صنته حقبة

فى حمأة الآثم

وفى دنسه

وبعت دنياك لقا عاَلَمِ

يستنزف الآثام

من أمسه

- اسكت

- إذن . . نسكت يا خيبتى

فالسّهم قد حرر من قوسه

وضمنى وغادتى

مخدعٌ

كم ضم قبل اليوم أمثاليه

جثمت نشوان على نهدها

استلّ حلم الغفوة الواعيه

واستقى من منبع فاجر

سخرية

تهزأ بأحلاميهْ

فى غرفة تجثو على أمسها

تمتص روح العفةِ

الغاليهْ

محمومةٌ ترضع من . . من صفوة المصباح ،

بقيا نوره الواهيهْ

كم ساعةٍ ذابت على نارها

وهى

كما كانت لدى الغابر

مرثية ضمت صنوف الأسَى

تسخر من زماننا السّاخِرْ

تستقبل الدُّنيا وأيامها

بضحك نشوى

وثغا فاجرْ

يا غرفة أفنيت فى غمرها

أقدس ما يعبده خاطرى

طهرى

وأحلامى

ودنيا هوى

تموج

نشوى فى منى شاعر

وغادتى شيطانة أرسلت

على جناحى قدر مستعر

جنيَّةٌ

تحوم فى عينها

أنشودة الشرِّ ونجوى سقرْ

تجرجر الآثام أذيالها

ما بين جفنين ككفى صقرْ

كم من فمٍ أولغ فى حسنها

فعافها مستنقعاً للبشرْ

وكم فتى ما طاله دهره

هوى

يداً شلأء تشكو الخورْ

طوقتها حتى ارتخت أضلعى

وضج من صراعنا

المخدعُ

أسمم الجسم بآثامها

وإثمها

من دمنا يرضعُ

وبين ثغرَيْنا تمشى صدى

لقصةٍ تقصّها الأضلعُ

واشتكت الفرش لظى شهوةٍ

تمتص جسمينا

ولا تشبعُ

تقول فى تأوه لاهب :

رفقاً . . .

لقد تمزق المضجعُ

يا أخت حواءَ التى آدم

باع جِنان الخلد من أجلها

وجاء للأرض

صريع الأسى

وأسكن الدنيا على وحلها

ونقمة لمّا نزل

نحتسى كأس الأسى والمر من ظلّها

إن اشترى آدم هذى الدنيا

من أجل حوا

ومن دلّها

سأشترى النّار

وآلامها

لَعْنَةُ التُّرابِ

أى سر كروعة الخوْف

جاثٍ

بين جفنيك ، موغِلٍ فى شجونك

كلّما أدلف المساء تمطّى

أفعوان الذُّهول فوق جفونك

فكأن الظّلام جاء بدهر

من أمانٍ

تحطّمت فى يمينك

أو كأنَّ النّجُومَ تحفَظ سراً

قاتم اللّون

قاتلا كعيونك

. . . إيه يا لعنة التُّراب . . . رُوَيْداً

ضلّ مسراك فى دروب سكونك

فالحياة . . الحياة

قيثار آثم

دغدغيها برائعات لحونك

قطّرى العمر

لحظة

وسنيناً

لاهبات

على سعير مجونك

نحن طين

وأى طين حقير . . . ؟ !

فلِمَ الخوف من خوالج طينك

سيدبُّ الغضون

شيئاً . . . فشيئاً

كأفاعٍ تعلقت بجبينك

سوف يغفو هذا الشّباب وتدمى

قهقهات السِّنين سمع فتونك

حاملات من اللّيالى صحارى

ليس فيها سوى اصفرار ظُنونك

ودماء الشّباب تُمسى دمُوعاً

وشفاهاً

يلعن عهد جنُونك

اشربى

اشربى . . فعمرى كأسٌ

والخمور . . الخمور ملء دمائى

عتقتها يدى الضّنينة عمراً

فهى نيران شهوة

واشتهاء

يتلوى الوجود فيها غناء

أزلياً يمور بالأنواء

كلّ شيءٍ لديه خفقة نارِ

وانتفاضات لذة هوجاء

وجنوح

معربد تتلاشى

دون رجليه عزتي وإبائي

طوقيني . إني أحس بعمري

لم يعد غير

نطفةٍ حمراء

واشْرأبَّ الجحيم موعد بعث

حول نهديك

رائع الإيحاء

ما لجفنيك يرجفان . . . أهذي . .

دعوة الشَّر . . ؟

أم نذير حياء . . ؟

وكأني بشكك ينثر خوفاً

خلف رعشات جفنك الرَّعناء

أتخافين . ؟ !

يالجبنك . . خلّى . . . .

أنت أقوى الزّعازع النّكباء

لا تخافى . .

فليس ثمة شيءٌ مرعبٌ مثل

وهمك المستاء

إيه ما أكبر الخسارة إن لم

يك خلف الوجود غير الفناء



سَتَبْقَى

نفضت بقايا اللّيل فى عمرها

ذكرى

ستبقى بقاء الدّهر لعنتها الكُبرى

ستبقى الظّلال السُّود ترتاد مخدعاً

عصرت به الآثام والنّقمه الحمرا

ستلتفت الأقدار - يوماً - وتنتهى

على مذبح الآلام أحلامك السّكْرَى

وتلتف فى عينيك أفعى نكايتى

تسمّم ما أبقيت

فى الدّمعة الحرّى

سيرجع ذاك الأمس فى ظل عاصف

تحمّل نجوى الشّر

لا الزهر . . . لا العطرا

ستصفعك الأيام حتى أرى غدى

على هوّتى عينْيك يهزا مغترا

سيسألك التّاريخ عنى . . .

وأننى

بعيدٌ

أعيش الآن فى ضحكةٍ صُفرا

العَواصِفُ السُّود

يا جيفة

نتنت حبى وأحلامى

لم تتركى بشبابى غيرآثامى

لم تتركى بشبابى غير عاصفة

سوداء

تصرخ فى ظلْماء أيامى

هذى كئوس أمانينا . . سأسحقها

حتى تبعثر فى آثار أقدامى

يكفيك ما شربت دنياك من كبدى

فما تركت بعمرى ما ينير غدى

يا من سرقت شبابى دون ما عوضٍ

للّه رفقا بما أبقيت من بددى

يا من عبثت بقلبى دونما عوضٍ

ماذا ترومين

بعد القلب والكبد . . ؟ !

عشرون عاماً

مصصت الصفْوَ من دمها

حتى تثاءب فى أعماقها الضّجرُ

عشرون عاماً

ذوت بالشّك زهرتها

وملّ عمرى من طول الأسى الكدرُ

كأننى

مسرح شاهت مناظره

وما يجدد فى تمثيله القدرُ

آتيه فى ظلمة الأوهام

مختبلاً

حتى تجمَّد ليل الوهم فى حدقى

يا موجة الموتِ

ضجِّى

واكسحى زمنى

وما تحمل من طيشٍ

ومن نزقِ

إنَّ الصَّباح الذى قد كنت آمله

ولَّى . . وجاء . . ولم أبصر سوى الغسقِ



الإلـــه الغُـــول

ارقصى

يا زوابع النَّار حولى

واستحمى بقلبى المخمور

إنَّ هجس السُّكون أدمى لحوناً

كنّ سر الحياة فى ماخورى

وأطلت من كوة الصَّمت

دنيا

يتلظّى فى راحتيها مصيرى

إيه يا صمت

يا ذبالة عهدٍ

نفضتها السنون فى ديجورى

إيه يا بن الفراغ . . .

أى جحيمٍ

يتلوى فى وجهك المقرورِ

أنت يا خالق النبوغ . . إله

جلَّ عن عالم الحياة الغريرِ

غير أنِّى

ولست غير شظايا

من أمانٍ تحطَّمت فى سريرِ

أعبد الحسَّ والحياة

فدعنى

أتلهى بما تحوك شرورى

أيها الغول

حانة القلب أغفت

فوق ضفَّات روحك المغرور

مرَّ أمسى ببابها

ثم ولّى

دون شىء كأى شىء حقير

وتلاشى عبر السنين خطوطاً

مبهمات

مخنوقة التعبير

وكئوس الشّباب أدمت طلاها

فى شفاه

مسودة كضميرى

أيها الغول

يا ربيب المآسى

ضقتُ ذرعاً بأفقك المأسور

إن سجناً شيدته فى ضلوعى

سل ما كان فى دمى من نور

. . . أطلق القلب من قيودك

لحناً

ضاحكاً

هازئاً بكلٍّ مصير

يعبر الصُّبح فى جناحى فراش

ومع اللّيل

موعداً فى سريرى

هل تأملت دمعة فى جفون . . ؟

إنّها ضحكة الفناءِ

المرير

هل لمحت الشّقاء يعصر قلباً ؟

كى تروى الدمــاء

عطر الزُّهور

هل تبينت فى كآبة شيخٍ

بسمة غضة لطفلٍ غريرْ . . ؟

كل ما فى الحياة حتّى

شقاها

ولظاها

إيماءة لسرور

خلنى . . خلنى أذوب ائتلافاً

وابتساماً فى لج هذى الدّهُور



مهزلة الوجودِ

ولدت شقاء للحياة جديداً

ولكم ستجنى

من أساه شقاء

هى لذة حمراء تجتاح الورى

فتصب من سكراتها

البلواء

ماذا جنيت . . ؟

لتقذفى بى فى جحيم حياتكم

متمرداً

مستاء

وغداً

سأرجع للفناء كأننى

ما جـئت إلاَّ كى أكون فناء

ولأشترى كفناً

أضـمّ بجوْفه

أدوار عمرٍ قد مضين هباء

ماذا جنيت لأحمل النيْر الثقيل ؟

تيمناً

ورجاء

إيـمَــــاءَة وَداع

جاءت

تسائل عن قلبى وماضيه

خليه فى دعة النّسيان

خليه

لا توقظى الأمس

فى طياته دنس

أخاف أن تشتهى عيناك ما فيه

فلست إلاّ كباقى النّاس

من وحل

الشّر يرقُصه

والإثم يغُريه

إنى نفضت يدى من إثم تربته

وبعت للعالم المنسى

لياليه

ما كنَّ غير التفاتات مخبلة

كأنها

انطلقت من عين معتوه

لا تسألى القلب عن تاريخ أغنية

رعناء

جفت على قيثار ماضيه

لا تسألى القلب ما فيه سوى خشبٍ

تكاد تلمسه الذّكرى

فتُوريه

أطلقته طائراً فى قلب عاصفة

فما استقرت على شىءٍ

أغانيه

حتَّى استفاق على دنيا

مدنسة

ونبَّه العار

إحساس اللَّظى فيه

فراح يحرق بالتكفير ما رسمت

أنامل الإثم

فى رؤيا دياجيه

وجئتُ

أبحث فى عينيك عن حلمٍ

هادٍ . . أعيش على نجوى أمانيه



شِتَاءٌ مَحْمُومُ

ما لى

وما لك يا سنى صبابتى

كلٌ مضى فى دربه المرسوم

لا أنت راجعة

ولست بما كن

من أن أعود لعهدك المحتومْ

دنيا . . تناهبها الفناء وغيبت

بسماتها فى غيهب مسموم

وربيع أيام

غفت نزواتها

بشتاء عمرٍ ذاهلٍ . . . محموم

فعلام أنبشها

لأخرج طيفها

فأزيد من تلك الهموم

همومى

وأقيم أشباح الخطيئة

بعدما

واريت دنياها

وعفّت سدومى

عودى . لقد أنكرت عهدك

فانتهى

ونسيت ظلَّ شبابى

المرجومْ

ظـــــلالٌ

من أى وادٍ

بعيد الغور كالحلُم

أتيتَ تحمل فى عينيْك صوتَ دمى

إنى نسيتُ الهوى

والأمس

وانتفضت أنامل العمرِ تمحو

قصة النَّدم

يا طيفها

لم تدع دنياك من جسدى

شيئاً

فماذا سأعطى الدود من رممى ؟

أغريتنى باللّيالى الحمْر فانزلقت

على مباسمها السوداءِ

راياتى

وتاه أمسى عبْر الشّر منطلقاً

ولم يدع لغدى غيرَ الصدى العاتى

وغير أشباحٍ ماضٍ كالظّلال هَوَتْ

فى عتمة من أماسى وليْلاتى

ذَلِكَ الشّيءُ الصّغير

أنا لا أخاف من الحياة

وعسْفها

إلاّ عليك

فلقد تركت الأمسَ أشلاء وجئت

بناظريْك

هاكى يدى لنعبر الدُّنيا

ومدّى لى يديْك

وإذا تلفت غابر ورَنَتْ به ذكْرَى إليْك

قولى له : إنّى نسيت ماضيك

فاطوِ على جرح الأسى لياليك

قولى : الحياة سخافة يلهو بها قدر

غريرْ

جاثٍ وراء الغيب يعبث بالسنين

وبالعصورْ

ويطل أحياناً بقلبى ذلك ، الشىء الصَّغيرْ ،

يلهو فيرسم لهوه

حول ابتساماتى الشُّرورْ

قولى له هذا ثم اقلبى الصَّفحهْ

واختصرى الذكرى والأمِس فى لمحهْ

البَـــابُ المَـهْـجُــورُ

هذا الصريرُ العذبُ . . . أعرفهُ

وأذكر ما وراهْ

ما زلت ألمح فى فؤادى

بعض ما تركتْ خطاه

كم مرةٍ

أيقظتْ فى عينى ما نسجت رؤاه

كم مرةٍ

تاهت خيالاتى لتستجدى صداه

ولكَمْ تأوّه فى سكونى

قصةً خلقت حياهْ

هذا الصّريرُ العذْبُ . . . . أعرفه

ولكن ما وراه . . . ؟

يا قلب لا تحلمْ

أخال الريح قد سئمت عذابى

فتمرغت فى بابى المهجور

ذكرى من شبابى

أما التى خفقت على ماضيك بالصوُّر

العذابِ

فهى التى سدت عليك البابَ

مذ نهبت رغابى

ولعلَّ

لا أدرى

لعلَّ حياتها أمست كبابى

ليست سوى شفتيْن من خشب

وقلبٍ من ترابِ

مشنقةُ العمر

دقت الساًعة ترثى فترة

هربت منها

وراء الأبدِ

قلت : يا ساعة مهلا فأنا

منك أحرى برثاها . . . فاهتدِى

فلقد أفنيت فيها قطعاً

من شبابى ونضاً من جلدِى

وغداً

تبلى غدى . . . ولتبله

لن أبالى بغدِ لم يُولدِ

كلهُ عمري

غابر أَحيا به

حاضري ماض وماضي غدِي

إلـى سـمـــــراء

سمراءُ

يا حلمى المضمَّخ بالهواجس والظُّنونِ

يا غفوةً

قدَّست فى واحاتها حتَّى جنونى

ولكَمْ تفيَّأت السُّكون أعبُّ حبك

فى سكونى

ولكَمْ تمسَّح بالدُّجى وبقلبه الخالى حنينى

فتمدُّ عينى الظَّلال بخافق اللَّيل

الحزينِ

وتلفُّك الأَضْواء

والألوان حُلماً فى جفونى

فأحس . . بل إنى أرى

دقات قلبك فى عيونى

الكـــوخُ الــورْدِىُّ

غداً إِذْ يـخفق الإعـصـار

حتى بالرؤى الخضـرا

وينهب كوخنا الوردى من أحلامنا

السَّكْرى

وفوق جبينك التفت

دروب تفضح السِّرا

فماذا سـوف تـروين

لذاك الغد . . . يا سـمـرا . . . ؟

أجل ماذا سـتـروين ؟

وقد متنا

بلا ذكرى

غداً . . . إذْ تهمس المرآة فى عينيك

عن سرِّك

وتروى قصةَّ الموت التى تزحف فى

شعرك

وحلماً عافه الأمس فراغين

على صدرك

وسوف تقول :

يا سمراء . . .

أين الدفء فى عطرك

فهل قلبك مرآة . . كقلبى

لم يصن ذكرى . . ؟ !

غداً

تلتف أسرار حواليْك كنجوانا

شفاهاً تهن فى عينيْك أطيافاً

وألوانا

سجت فى الخافق النورى علّ هنُاك

تلقانا

ولكنْ . . .

لن ترى شيئاً فقد لاذت بمرعانا

رياحٌ عافت الكوخَ

حطاماً ما له ذِكرى

غداً

إذْ ترقصُ الأقدارُ فى مأتم أحلامك

ويغفو الأمس والآمال ظلّاً فى

لقى جامك

تناهب روحه الأسيانَ صمت خريف

أعوامك

فإن ضاقتْ بك الدّنُيا وضقْتَ بسودِ

أيامك

هنا . . . ما زال فى قلبى . . . لنا كوخ . . . لنا ذكرى

صَــــدَى عَـــذَاب

لا تطرقى بابى

فإن وراء قلبى ألفَ بابْ

أبداً يمرغ صمته

شكٌّ

ووهمٌ

واضطرابْ

وأنا . . . أنا

كالأمسِ فى هجس الوجود صدى عذاب

وسؤال وهمٌ

فى ضمير الكون ظَلَّ أسراراً عجابْ

هى أمسى الدامى

ويوم لم يزل رجْع انتهاب

ولعل إنْ مست غدى

ستحيل جنته يبابْ

أتعبد الأوهام فى أفق يظلله السّراب

تتنفس الآلام فى صمتى وينتحب اكتئاب

فأكادُ

أخنق فى دمى

تلك البقية من شبابْ

وأعود للماضى البعيد

وكلٌ أحلامى

ترابْ

شفاةٌ مطبَقةٌ

إيه كم من عالم

فى صمتى الدّامى . . . يموتُ

كم أمان

فى طريق الوهم أعياها السُّكوت

كم شفاه

فى دمى أطبقها اليأس المقيتُ

ثم ماذا . . . ؟

كلّها ولّت . . . وظلّ العنكبوتُ

ينسج الموت لصمتى

وهو مثلى . . . . سيموتُ

أيها القابع فى زاوية مثل حياتى

لفَّها ظل بليد اللَّون

يحكى أمنياتى

نفضت وحدة أيامى فيه

بعض ذاتى

أنا فى معبدك المهجور قدست انفلاتى

إنْ تكن تنسج لى الموتَ

فمثلى . . . ستموتُ

خَطواتٌ فى الظّلامِ

قدمان مرًّا يضربان اللّيل فى رفق
ولينْ
يتجاذبان مطارفَ الخفقات فى قلب
السكونْ
. . . . متعثران كأنما
شدت وثاقهما الدُّجونْ
يتهافت الأعياء فوقهما
ويوقظه الحنينْ
يا قصتى فى الصّفحةِ السّوداءِ
ماذا تحلمينْ . . ؟

قد كان لى

قلب كخطوتك الأنيقة لا يملّ

قد كان لى

عبر اللّيالى السُّود أنوارٌ وظلٌ

ولكَمْ لمست ربيعها

ولمست ما يرويه طَلّ

واليوم . . ها أنا أدفن الماضى

وأهجر ما أُجِلّ

حلمى

وأشواقى . . . وأمالى

وما تتأملين

نِقْمَةٌ

سأخدعها وانطلق

ويبقى ذلك القلق

يراود جفنها الغافى

بأحلامٍ وأطيافِ

فأضحك حيثُ أبكيها

وأهمس . . ! سوف نفترق

سأخدعها فأنتقمُ

لا مس شابه الألم

أرادت أن تبقيه

فأبقت روحها فيه

وأمسى اليوم يقصيها

فتصرخ حين أبتسم

ستذكرنى وتختنق

ويـنـهـش عيـنـهـا الأرق ستلقـى روحهـا شلـوا

تريـد وليس من يهوى

فتـلـتـف بماضيـهـا

فـألـعـنـهـا وأنـطـلـق

يَـا طِـفْـلَـتِـــى

نامى

وخلِّى الليل فى مقلتى

ينفض أشباح الظَّلام المريعْ

واستنشقى الأحلام

من شاطئٍ

لا يعرف الليل ولا ما يذيع

نامى . . .

ولمْ تعنين يا طفلتى

بما أحوك الآن خلف الدموع

غداً إذا استيقظ فيكِ النُّهى

ولملمت عيناك

هذى الرُبوع

وجاوزت خُطاكِ

باب الرؤى

فاصطدمت بألف روح صدوع

ستعرفين

الدّهر فى دمعتى

وسوف ترثين لهذا القطيع

يسير لا يبصر إلاّ خطَى

تطوى ربيعاً

ثم تطوى ربيع

والآن نامى فى انعتاق الحياه

من قبضة الشّرِّ ودنيا الألم

غداً

ستنهد ظلال الصّبا

فكل ما تلقينه

من ترابْ

تململت حيث ارتمى سرحه

همهمة الذّئب

وصوت العقابْ

فليس من يقبض ظلّ السّنا

وليس من يركض

خلف السّرابْ

كأنّما النّاس

ودنياهمُ

سخرية جفت . . . ويا للعذابْ

يا طفلتى

نامى بقلب الدُّجى

وانطلقى

أنّى يمرُّ السّحاب

وسرّحى دنياك فى

سجوة بيضاء لم يخفق عليها اكتئاب

ففى غد

تموت حتى الرُّؤَى

ويَمّحى النُّور

ويبقى الضّبابْ

وليس من أمسك واخيبتاهْ

شىء لكى يملأ هذا العدمْ

فـی الأرْضِ

قلت : فی الأرض

قلتُ : بیْتی فزوری

مصرع الوَهم فی الهوی المفخُور

قلت : هذا التُّراب . . .

قلتُ : سماء نحن فیها كواكب دون نور

وتساءلت : ما الحیاةُ . . . ؟

فدبتْ كلَماتٌ صفیقةٌ فی شعوری

إنَّها جیفةٌ وأنا علیها نتن غارقٌ بحلمٍ كبیرِ

فاقشعرت فی ناظریك الأمانی

واستشاطت هناك حُمَّی الغرور

وتلاشيت فى طريق ولكنْ . . .

كل هذى الدّروب تقفو مصيرى

مـدْفَـــنُ الظِّـــل

أتحداك . . لن تعودَ

فضجتْ

كبريائى وغمغمت :

مكسينهْ

وتحسست ملءَ ذاتى

عملاقاً تهاوت عواطف النَّاس دونه

مرَّ بالمجد

فاستهان ذراه

ورأى فجره فداس جبينهْ

وتسمرت فى سكينة نفسى

فإذا الأرض

كلُّها فى سكينهْ

وإذا الأفق مطرح لخيالى

أتبنى فيه رؤى مجنونهْ

إن تراءى الوجود ،

يوماً بدربى ، عقّ وجهى فلم أصافح يمينهْ

صرت كالموت عابثاً

أتنزى حيثما شئت ضحكة ملعونهْ

ينسجُ الصمتُ فى جوانب نفسى

من خطاه الطّويلةِ ،

المسكونه

عالماً ، شامخ الذُّرى

يتأبى أن يرى نفسه حكاية طينهْ

إيه سمراى ،

قد رجعت وهذا

مدفن الظّل يستعيد رسومهْ

هذه غرفتى ، يغصُّ بها الهدء وينحلْ

فى الظّلال المقيمهْ

كلّما مرّ هاجسٌ فى خيالى

مرّ فيها

فعاد ذكرى قديمهْ

ها هنا

ها هنا تلفّت وجه

حملته السُّنونُ روحاً لئيمهْ

وهنا ،

تبعث الظّلال خريفا

وبقايا من أمنيات عقيمهْ

وغداً ،

يسرق الجدار هوانا

صحوه النّابض السّنا . . . وغيومهْ

ثم أنتِ

سترجعين خطوطاً ، شاء حسى

أن لا تكون وسيمهْ

يرعش النُّور فى شفاهكِ ألواناً

وينهدّ لذّة محمومهْ

ثم تمضين . . . مثْلما أتمنى

تتلوين

صرخة

مكتومهْ

●

واستفاق الزَّمان

فى مدفن الظِّل ، فضاعت أحلامى المجنونهْ

كان صمتٌ

وكان ثمة حسٌ

واستحالات هدأة ملعونهْ

– ثم ماذا . . ؟

وكبرياء تايت

تتلهى بجثتى المسنونهْ

- ثم ماذا . . ؟

وصوتها

يتحدى كبريائى ومدفنى وسكونهْ

- ثم ماذا . . ؟

وكان ،

موت بقلبى

يتهزا ، مغمغماً :

مسكينهْ

سوف تمضين مثلما

جئت يوماً

نتناً حالماً

وخفقة طينهْ

●

وتلمست قبضة فى ضلوعى

شدّها اللّه فاستحالت سكينهْ



الديوان الثاني

أغاني المدينة الميتة

الطبعة الأولى - بغداد ١٩٥١
تصدر هذه الطبعة عن دار سعاد الصباح - القاهرة ١٩٩٣



فهرس الدّيوان الثانى

أغانى المَدِينة الميتة

قالوا فى «أغانى المدينة الميِّتة» :

بلند الحيدرى ، هذا الشّاعر الممتاز الذى أعتبر العديد من قصائده الرّائعة أكثر واقعية من كثير من القصائد التى يريد منا المفهوم السّطحى للواقعية أن نعتبرها واقعية .

بدر شاكر السّياب – ١٩٥٦

إن بلند شاعر مبدع فى أساليبه الجديدة التى حققها وفى طريقته التى لا يقف فيها معه إلا شعراء قلائل من العراق .

عبد الوهاب البياتى – ١٩٥٢

بلند الحيدرى شاعر شاب نظم الشّعر محرراً من قيوده القديمة ، متأثراً بالتّيارات نفسها التى يتأثر بها كتّاب الغرب ، على أن هذه التّيارات قد تسربت إلى نتاجه تسرباً

تلقائياً . . كان شعره كله تشاؤمياً ، شأنه فى ذلك شأن غيره من الشُّعراء المعاصرين . . غير أن الذى يميز شعر بلند الحيدرى عن شعر معاصريه هو أن قصائده تنفذ إلى صميم فكر القارئ حيث تبث جذورها لتثمر ثمراتها بعد حين . إنها قصائد صادقة ، بعيدة عن المبالغة وعن الشُّعور المصطنع ، جمالها الشِّعرى عميق وذو أثر بعيد .

إن شعره يعبر عن الشُّعور بالخيبة الذى يمتاز به العصر الحديث ، وهذا التعبير هو أصدق من قصائد الحماسة المتعمدة التى ينظمها الشُّعراء السياسيون حيث يهاجمون جميع النَّاس لجميع الأسباب .

دزموند ستيورت – ١٩٥٤

ومن مميزات شعر بلند الحيدرى أنه بعكس أكثر ما تنتج المطابع من كلام موزون وسخافات مقفاة ، شعر صُوَر ، فهو كالفنان الحاذق لا يلقى بالألوان على لوحته جزافاً ولا يرسل الخطوط عليها أنَّى اتَّجهت ، إنه يورد تفاصيله مرتبطة متماسكة فتنمو القصيدة بين يديه نمواً من الدَّاخل ككل الأعضاء الحية ، وإذا بها فى النهاية وحدة متكاملة لها أول ووسط ونهاية كما يقول أرسطو فى وصف العمل الفنى الصحيح ، لا سلسلة من الأبيات يتلو الواحد

الآخر رغم أنفه ، وهذه ميزة هامة لا توجد إلا فى القليل من الشّعر المعاصرِ .

فبينما نجد أن أكثر هذا الشّعر كالزّخارف السّطحية يمكن امتدادها إلى ما لا نهاية بالتكرار المستمر ، نجد أن شعر بلند كالصُّور ذات الأعماق ، فيها أضواء وظِلال فيها القريب والبعيد ، وكلها تستهدف وحدة الموضوع وقوته وبروز جماله . ولذلك لن تستطيع أن ترفع بيتاً واحداً من مكانه فى قصائده دون أن تترك فجوة ظاهرة فى المعنى والتركيب .

جبرا إبراهيم جبرا – ١٩٥١

يتلاعب بلند بعدد التفاعيل ويوزعها كيفما شاءت شاعريته الفذة ، ويحمل الكلمة ويضغطها فتشع وتوحى وتضع القارئ أو السّامع فى الجو الذى عاشه الشّاعر أو عاناه .

فؤاد الخشن – ١٩٥٢



طَاحُونَة

تلك هى الأرض

فلا تعجبى

إنْ مرّ بى الفجر ، وما مرّ بى

قد كان لى

دربٌ

وكانت رؤى

تواعدا والأمس فى مأربِ

ومات ما كان

سوى خطوة لما تزل تبحث عن مهرب

شدّت بساقى

وما راعها

من مشرقى الدّامى ومن مغربى

شىءٌ

سوى أصداء إيقاعها

تئز فى صمتٍ

عميقٍ

غبىٍّ

أحسها تصرخ فى مسمعى :

أفَاق . .

يا للعبث المتعبِ

أفاق . . . لا أدرى

لعلى كما . . .

ظلٌّ بلا لون ولا مسند

. . . لن أسأل الفجر إذا مرّ بى

واللّيل

إن نام على مرقدى

عمّا سبيقى النُّور من قصتى

وكم سيمحو اللّيل من مشهد

لن أرتمى كالنّاس

فى منية

ولن يقود الدّهر يوماً يدى

فالنّاس

ما اقبح آلامهم

هذا بلا أمسٍ

وذا فى غد

والأرض ما زالت على عهدها

تدور حول الأبد الأسودِ

طاحونة

أطْربها جهدهم

فلَمْ تسل

عن ثورها المجهدِ



عَبَثٌ

وستبتغين . . . وترفضين

وستضحكين . . . وتحزنين

ولكم سيحملك الخيال . . .

فتحلمين

لكن . . هناك

هناك فى العبث الذى لا تدركينْ

ستظلُّ ساعتك الأنيقهْ

تلهو بأغنية عتيقهْ

ولن ترى

ما تبصرينْ

ستتكتك اللّحظات فيها كل حين

ستتكتك اللّحظات

فى المفعى الصّغيرْ

ولا مصيرْ

وتمر عابثة بما تتأملين

لكنما

أنت التى لا تدركيْن

فستبغين . . . وترفضين

وستضحكينَ . . . وتحزنينْ

ولكَمْ سيحملك الخيال . . .

فتحلمين

مــــرّ الرّبــيــــع

مرّ الرّبيعْ

وهبيه مرّ . . . غداً يعودْ

بمسوح قديسٍ جديدِ

ليقول :

ويك أنا الشّتاء

إلاّ تخافْ . . ! ؟

ألاّ يواليك ارتجافْ

ويمرُّ بى

وأمر أحلم بالورود وبالربيعْ

وبالشموع

تضيئ دارى

وبالظِّلال على الجدار

يطفن فى صمت وديعْ

فهبيه قال : . . . أنا الشِّتاء

أَوَلَمْ يكن هو كالربيعْ

كِـبْـرِيَـــــاءُ

أنت التى لا تدركينْ

ماذا أريد

ولعل لو أدركت قلت لآخرينْ

وبضحكة رعناء مثل الآخرينْ

ماذا يريد . . ! ؟

ومحوت هاتيك السِّنينْ

وتصلب الوجه الحزينْ

ولعدت أزحف من جديد

فى مدفنى الرَّطب الوحيد

فى خافق كملاجئ المتشردينْ

كغدِ اللصوصِ الخائفين

ماذا أريد . . . ! ؟

لصرخت بالظّل الذى يهتز فى خجل مهينْ

لصرخت بالوجه الحزينْ

وبكلٍّ ما حمّلت هاتيك السّنينْ :

ماذا تريد . . ! ؟

ولعدت أضحك مثلهم . .

كالآخرينْ

أنت التى لا تدركينْ

ماذا أريد ؟

لِمَ تسألينْ

عما أريد

أنا لا أريد

أنا لست مثل الآخرينْ

لـــن أراهـــا

لن أراها

كان حلماً ذلك الوعد الذى شد خطاها

بخيالى

لن أراها

ربما ما شفتها يوماً

ولم أدرك رؤاها

وضلالى

هو ما وسوس فى قلبى . . . فتاهَ

بهواها

وابتنى لى موعداً طال مع الدّهر

ولكن

لنْ أراها

موعداً جئته ضمان فما كانت

ولا كانت سِواها

موعداً خلّد فى نفسى معنى لِبقاها

كان حلُماً

لم تكن أرضى

ولا كنت سماها

كان حلُماً

ذلك الوعد الذى شدّ خُطاها بخيالى

عَقْمٌ

نفس الطريقْ

نفس البيوتْ . . . يشدها جهدٌ عميقْ

نفس السُّكوت

كنَّا نقول :

غداً يموت وتستفيق

من كلِّ دارٍ

أصوات أطفال صغار

يتدحرجون مع النَّهار على الطَّريقْ

وسيسخرون بأمسِنا

بنسائنا المتأففات

بعيوننا المتجمِّدات بلا بريقْ

لن يعرفوا ما الذِّكريات

لن يفهموا الدَّرب العتيقْ

وسيضحكون لأنهم لا يسألون

لِمَ يضحكون

كنا نقول :

غدا سندرك ما نقولُ

ولسوف تجمعنا الفصول

هنا صديقْ

وهناك إنسان خجول

بالأمس كان هوى عميق

ولعلنا ،

لَمْ نَعْنِ ما كنا نقول

فاليوم تجمعنا الفصول

ذاك الصَّديق

. . . . . بلا صديقْ

ذاك الهوى

. . . . . . وجه صفيقْ

وعلى الطَّريق

ونفس الطَّريق

نفس البيوت يشدها جهد عميقْ

نفس السكوت

وهناك ،

خلْف النافذات المغلقاتْ

كانت عيون غائرات

جمدت

لتنتظر الصِّغار

وتخاف أنْ يمضى النَّهار

مع الطَّريقْ



اعتِرافات بَعْد مُنتَصَفِ اللّيل

السّاعةُ جازت منتصف اللّيل بساعاتْ
وأنا أسترجع صوتاً
يتململ ما بين الصّحو
وبين الضائع من زمن فاتْ
قد أدرك نفسى حيناً فى أملٍ ماتْ
قد أدركها
فى وعدٍ أصغر من حلم لفتاة
يا أنتِ
يا جرحاً فى الـذّات
يا أنت . . أنا
يا صمت الكلماتْ

مهزلة إنا . . متنا

لكنا . . ما زلنا

نتحرك أحياءً فى صحراء الأمواتْ

١٩٥٠

أعْـمَـــاقٌ

لا تهابى

هذه الريح التى تطرد من بابٍ

لبابِ

ذلك الأفق الذى ينمو برعب واضطرابِ

والدروب ،

إنَّها ملعب أحلام شبابى

هى بعضى

إنها تلتف كالأفعى . . . ولكنْ

لا تهابى

هى بعضى

هى أعماقى التى تجهل ما بى

هـى أفراحى التى تصفر فى وحشة غابى

هـا هنا

كَمْ شيّد الطِّفل أمانيه

رمالاً ،

وتِلالاً من ترابِ

هـا هنا

كم جئت والأمس فتى غضّ الرِّغابِ

فتغنيت بعينْيك

بحبى

بشبابى

لا تهابى

لست إلاَّ

ذلك الأفق الّذى ينمو برعب

واضطرابِ

لست إلاَّ

تِلكُمُ الرِّيح التى تطرد من باب لبابِ

ساعِــــى البَـرِيــــدِ

ساعى البريدْ

ماذا تريدْ . . ؟

أنا عن الدُّنيا بمنأى بعيدْ

أخطأتَ . . .

لا شكَّ ، فما من جديدْ

تحمله الأرض لهذا الطريدْ

ما كان

ما زال على عهده

يحلم

أو يدفن

أو يستعيد

ولم تزل للناس أعيادهم

ومأتم يربط عيداً بعيدْ

أعينهم تنبش فى ذهنهم

عن عظمة أخرى لجوع جديدْ

ولم تزل للصِّين من سورها

أسطورة تمحى

ودهر يعيدْ

ولم يزل للأرض سيزيفها

وصخرة

تجهل ماذا تريد ؟

ساعى البريدْ

أخطأت . . .

لا شك ، فما من جديدْ

وَعُدْ مع الدَّرب ويا طالما

جاء بك الدَّرب

وما نريدْ . . . ؟



وغـــــداً نَـعُـــــودُ

وبألف كانْ

ستظلُّ تمتلىء السِّنين

ونظلّ نُوغل فى الزّمانْ

وستذكرين

وككلً أمسية نعودْ

ستذكرين

تلك العهودْ

تلك الوعودْ

تلك السِّنين الضائعات من السِّنينْ

وستكذبين وتصدقينْ

وتظل كان

بالأمس كان

واليوم كان

وتظل تمتلئ السّنينْ

ونظل نُوغل فى الزّمان

وغداً نعودْ

لكى نعيدْ

ومن جديدْ

وبذلك السّأم العنيدْ

نفس الحديث عن العهودْ

وعن الوعودْ

وعن السّنين الضّائعات من السّنينْ

وتظلُ كان

بالأمس كان

واليوم كان

وتظلّ تمتلئ السّنينْ

ونظل نوغل فى الزّمانْ

وحدتي

هكذا أنت نموتى

عشبة صفراء فى ضفة موتى

وحديثاً مسْرفاً بالهمسِ

كالهجسِ

كصمتى

هكذا أنت نموتى

من سكوتى

من خطى تعبر ليلى فى خفوت

من رؤى تضخم ظلى

من بلى ينسج فى الوحل بيوت العنكبوت

هكذا أنت نموتى

قفرة جرداء لِم تحلم بنبت

قفرة جرداء كالخيبة أنتِ

فاتركينى

سئمت وجهك نفسى

اتركينى

صخباً أزحف فى الطِّين وأمسى

بعد حين

لى مثل النّاس صوتى

لى مثل الناس حسِّى وظنونى

لم مرمى

وممر فى دروب الشّمس أعمى

لى ضحكى

وجنونى

وببيتى

صحوتى تغرق فى السّكر وتمتص

سنينى

اتركينى

أنا للنّاس

وللنسر الذى ينهش صدرى

أنا موتى



صُــــورَةٌ

القصر

فى منعطف المدينهْ

تغل جنبيه رؤى حزينهْ

تكاد أن تصرخ فى السّكينهْ

وحشته القاتمة ، اللّعينهْ ،

تكاد أن تصرخ :

ما أقساهُ

هذا السّنا الغارق فى نجواهْ

غداً

إنا ما لملمت دنياه

يد سيبقى مثلما أراه

يمتد فى ابتسامة رهيبهْ

يمتد فى صفرته المريبهْ

ويحمل التَّاريخ

فى غيبوبهْ

قد قدَّس الجسم بها

ذنوبهْ

هذا السَّنا المنسل فى السُّكون

كأنه

هجس من الظُّنون

ما خلفه . . ؟

أى لظى مجنون

فى المخدع المعفر الجبين

يصيح بالإنسان :

ما الإنسان

ما الرُّوح

ما الإله

ما الإيمان

بوارق ليست لها ألوان

ستنطفى

وتخلد النيران

فى النّار

فى المنعتق الكبير

من قسوة الرُّوح ، من الضّمير

إذْ يصرخ الإنسان :

ما مصيرى

غير الهوى المسْعور فى جذورى

غير الهوى النابض فى عروقى

يسير بى كالعبث الطّليق

أعمى بلا حلم ،

بلا طريق

غير الهوى. . .

وانهتكت أجواءُ

غير الهوى . . .

وانخذلت حواء

حواء

ذات الأعين الشريرهْ

كأنها

مناجم مهجورهْ

كم مرّغ الدهر بها عصورهْ

ولم تزل

كامسـها

قاذورهْ

قاذورة ، ذات رؤًى أثيمهْ

الله مذ ألقى بها الديمومهْ

ألقى بها أمنية مسمومهْ

فخلدت

زلّته القديمهْ

ولم نزل نطوف فى جفنيها

وننشد الموت

على يديها

يا أبداً يغور فى عينيها

ما أخلد الموت. . هنا

لديها

ما أخلد الموت . .

وها آشور

محاجر غصّ بِها الشُّعور

يصلبها هذا السّنا المحجور

فى كوّة القصر الذى يغور

يغور فى منعطف المدينهْ

تغل جنبيه رؤى حزينهْ

تكاد أن تصرخ فى السّكينهْ

وحشته القاتمة اللّعينهْ

صِـــراعٌ

وتشبثت بالموت . . . .

عينان

وتشبثت بالأرض . . . .

رجلان

تكْ . . . تكْ

وأظلُّ أزحف فى الصراعْ

يهوى شراعْ

وتموت فى جنبى ذراعْ

وأكاد أومئ بالوداعْ

يا للجبان

يا للجبانْ

وخجلت من ضعفى المهانْ

ضعفى المهانْ

ما زال يضحك فى ارتياع

وهناك

فى البهو المغبر كالزَّمانْ

كانت تعدُّ لى الثَّوانى

تلك العجوز بلا حنانْ

تك . . تك . .

ويدور فيها العقربان

يا للجبان

يا للجبان ، متى سيومئ بالوداعْ

؟

وأظل أزحف فى الصِّراعْ

ثَـــلاثُ عَـلاَمَـــات

والتقينا

كان ود بارد بين يدينا

كان شيءٌ مضحكٌ فى ناظرينا

قلت فى همس :

– تغيرت

– وأنت

وتلفت لنفسى

وتألمت لأمسى

أترى جار علينا . . ؟

أترانا ؟

قد أضلتنا خطانا . . . . فانتهينا

بعض أفكار حزينهْ

بعض حقد وضغينهْ

ورموزاً لمدينهْ

لم تشيدها قرانا

أترانا ؟

قد أضلتنا خطانا . . . فالتقينا

فى دروبٍ لم يسرْ فيها صبانا

وافترقنا

وافترقنا

والتقينا

كان حسٌ ليس منا فى يدينا

كان شىء مؤلم فى ناظرينا

كان صمت

وحديث خلف صمتينا بعيد

كان للعالم عمرٌ

وحدودٌ

قلت فى همس

لنفسى :

– هذه ليست قرانا

هذه ليست دنانا ،

إنَّها تجهل أمسى

. . . .

وتلمَّست بصوتى

وحشتى

موتى المهانا

أترانا ؟

قد أضلَّتنا خطانا . . .

فالتقينا

وافترقنا

!

وافترقنا

ثم عدنا فالتقينا

كان صمت بيننا يسخر منا

كان ود ميّت بين يدينا

لم نقل أنا . . .

ولكنّا . . .

انتهينا . . .

وافترقنا . . .

أنا لا إذْ . . .

نحن لا نذكر إنْ كنّا التقينا

وافترقنا

الجـــرْحُ المَـرائـــى

لا تمسِّى كبريائى

لا تمسى ذلك الجرح المرائى

أنا أدرى

أنا أدرى أين من نفسى دائى

أنا أدرى

فاتركينا

لاتقولى :

لِمَ لمْ تأت إلينا

لا تقولى :

قد تكبَّرت علينا

أنت تدرين

وأدرى

هكذا نحن انتهينا

بإباء

فاتركينا

أنا لا أملك إلاّ كبريائى

ذلك الجرح المرائى

ذلك الموت الذى يهزأ حتى . . .

بانتهائى

فاتركينا

لا تقولى :

قد تكبّرت علينا

أنت تدرين

وأدرى

هكذا نحن انتهينا . .. بإباء

وغداً

وغـداً ألقاك فى دربى

كأنا ما التقينا

هكذا نحن انتهينا

بإباء

فاتركينا



فـى اللّيْـــــلِ

فى الـلّيل إذْ تدفن الموتى

لياليها

وتتكى الأنفس التعْبَى على أبدٍ

لم يدر أن يدى حاكت مآسيها

من كلّ ما فيها

وأننى فى سكون اللّيل

أسيان

يصيح بى هاجسٌ كالعقل مشدوها

يا رب . . .

لِمَ كانوا . . ؟

لِمَ كان للأرض تاريخٌ

وأزمان

ولمْ يؤبد هذا القيد ماضيها

فتحلم النَّاس

لو يهديك شيطان

وتبصر الأرض فى شتَّى مناعيها

تلهو بأعينها البيضاء ديدان

فلا تحسُّ

ولا ترثى لما فيها

ألَيس فى قلبك الرُّبى إنسان

؟ !

وسوّد الجبهة الشّماء

خذلان

كأن عاصفةً لَمّت مراميها

وزمجرت

وقست

وأنهدسلطان

لكنما النّاس

عادوا مثلما كانوا

يشد أرجلهم بالأرض ثعبانُ

والأرض تنسج فى صمت مآسيها

من كلّ ما فيها



وَهَــــا . . أنْــــتِ

بالأمس اذْ كنا صِغارْ

كم كانت الدُّنيا صغيرهْ

ما زلت أذكر كل هاتيك السِّنين

تلك الدُّروب المعتماتْ

ضحك السكارى العائدين من الحياة

بلا حياه

لون المساء

كالدَّاء يزحف فى أزقتنا الضَّريرهْ

ما زلت أذكر كل هاتيك السِّنين

تلك الوجوه المستديرهْ

تموت خلف كوى صغيرهْ

عمياءَ

من قشٍ وطين

ما أصغر الدُّنيا بحارتنا الفقيرهْ

هل تذكرين . . ؟

تلك الحكايات الطّويلة عن أميره

كانت تُصِرّ

تصر أن تبقى كدنيانا صغيرهْ

ما زلتُ أذكر كل هاتيك السِّنين

لونَ المساءْ

دارى المخيفة كالوباء

غور العيون الباسمات بلا رجاء

وهناك فى الظّل الكئيب . . . . المرّ

امرأة مريرهْ

ألمْ نحاول أن نثيرهْ

فتعود ثانية تقول :

- لا لست امرأة مريرهْ

وتعود ثانية تعيد حكايةً ظلّت تطول ،

تنمو ولا تنمو الأميره

تلك الأميرة . . أينها . . ؟

هل تذكرين . . ؟

كم كانت الدُّنْيا صغيره

واليوم كم كبّرت . . وها . . . .

- لا . . . لست امرأة مريرهْ



دُرُوبٌ

ملء الطَّريقْ

صمتٌ عميقْ

ينهدُّ عن قلقٍ وضيقْ

وهناك فى الأفق السَّحيقْ

سبلٌ تنام

وتستفيقْ

أمَّا أنا

فلقد تعبت وها هنا

سأنام

لا أهفو ولا تهفو منًى

ويلا وعود

وبلا عهود

ولتبق فى الأفق البعيد

تلك الدُّروب كما تريد

فغداً ستعبث من جديد

أمَّا أنا

أمَّا أنا

فلقد تعبت وها هنا

سأنام

لا أهفو ولا تهفو منًى

شَيْخُوخَةٌ

شتوية أخرى

وهذا أنا

هنا

بجنب المدفأهْ

أحلم أن تحلم بى . . . امرأهْ

أحلم أن أُدفن فى صدرها

سراً

فلا تسخر من سرّها

أحلم أنْ أطلق فى منْحنى

عمرى سنى

تقول :

. . . . . هذا السّنا ملكى فلا تقرب إليه

امرأه

هنا

بجنب المدفأهْ

شتوية أخرى

وهذا أنا

أنسج أحلامى وأخشاها

أخاف أن تسخر عيناها

من صلعة حمقاء فى رأسى

من شيبة بيضاء فى نفسى

أخاف أن تركل رجلاها

حبًى

فأمسِى أنا

هناك

جنب المدفأه

ألعوبة تلهو بها . . . امرأهْ

شتوية أخرى وهذا أنا

وحدى

لا حب

لا أحلام لا

ولا امرأهْ

عندى

وفى غد أموت من بردى

هنا

بجنب المدفأهْ



بـرمـثـيـوس

وكالذّرى

تلك التى لا تُرى

فى صمتها القارس غير الرّعودْ

أعيش فى موتى

وأقتات من سرى الّذى كان فكان

الوجودْ .

لا هاجس

يبحث بى عن صدى

ولا غد

يحلم لى بالخلودْ .

واللّيل إن مرّ ولم ينته

لن يسأل الشكّ :

ترى .. هل تعودْ . . ؟

تعودْ

أو لا تعودْ

؟

فليس فى مطرحى ساعة

يحصى بها الوقت خداع الوعودْ

هذى يدى

نفضت عنها غدى

وألف وعدٍ راسفٍ فى القيودْ

فليحلم النسر بأمواته

ولتحلم الموتى بسر الخلودْ .

أود لــو كنــــتُ

سنلتقى

حيث يموت الظِّل والضّوء

وحيث

لا يدركنا شىء

وحيث

لا يجمعنا نوء

بل عابر أراد أن نلتقى

فنلتقى

حتى إذا ما انتبه الملتقى

وانسل عن غرقى مداه الدُّجى

سخرت من نفسى لتلك الرؤى

تلك التى تريد أن نلتقى

فنلتقى

وأنت

أفق فوق ما أنت

بعيدة الأغوار كالموتِ

عميقة

صفراء كالصّمتِ

أود لو كنت كما نلتقى

فنلتقى

حـلـــمٌ

أنت يا من تحلمين الآن

ماذا تحلمين . . . ؟

بالدُّروب الزرق ؟

بالغابة ؟

بالموت مع الكون الذى لا تفهمين ؟

ولعلّى الآن شىء

غابة

أو ذلك الدَّرب

أو الموت الذى لا تفهمينْ

ولعلّى

قبضة تخنقك الآن

وعين لا تلينْ

أو شتاء قارس يندس فى قلبك من حينٍ

لحينْ

ثم ماذا . . ؟

أنت يا من تحلمين الآن

ماذا تحلمين. . . ؟

وغداً إذْ تدركين الفجر

ماذا تدركين . . ؟

كنتُ حلماً مرّ والليل بلا معنى كأيام سجينْ

وتلاشيت مع الدّرب

مع الغابة

والموت الذى لا تفهمينْ

حبٌ قَدِيمٌ

هل تذكرينْ . . ؟

وخجلت مما تذكرينْ

أمَّا أنا

فلقد ضحكت ، ضحكت ممَّا تذكرينْ

كنا صغارْ

ولعلنا لم ندرِ كم كنا صغارْ

هل تذكرينْ ؟

كل النَّهار يموت فى الأفق الحزينْ

وكما تعوّد من سنينْ

كان انتظارْ

وأتى القطارْ

وتصافحت أيدٍ كثارْ

أيد كثارْ

إلاّ . . . يدى

هل تذكرين . . . إلا . . يدى

كانت مهيأة لأجمل موعد

لكن عبرت

عبرت لم تتلفتى

لم تنشدى سرى الدّفينْ

وضحكت مثل الآخرينْ

أمّا أنا

فلقد خجلتُ

خجلت من حبى المهينْ

هل تذكرينْ

وخجلت مما تذكرينْ

أمَّا أنا

فلقد ضحكتُ

ضحكت ممَّا تذكرينْ



عُبُوديَّة

عبدٌ . . . !

أكاد أثور . . . . لكنّى

أحس الغلّ فى أذنى

يولول هازئاً

منّى

ويصرخ ضاحكا : . . . . عبدٌ

عبدُ . . .

أنا الخالق إنسانى

أنا الهادم

والبانى

أنا ربى وشيطانى

أتحسب أيها القيد . . ؟

فتمتم ساخراً . . . . عبدٌ

عبدٌ

أكاد أجن يا نفسى

أأنت ؟

أأنت يا حسى ؟

أهذا العالم المنسى الذى ألقى به

المهدُ

ويطوى شعثه اللّحد

هو الصّارخ . . . . يا عبدُ

عبدٌ

أنا العائش فى ظلّى

أنا الموت بلا شكلِ

ترى من أنت يا غلّى . . . ؟

فعاد الصّوت يشتدّ

كأن عواصفاً تعدو

بأذنى

وتربدُ !

أنا

أنت

أنا العبدُ



يـــا صــديــقـــى

يا صديقى

لِمَ لا تحمل ماضيك وتمضى عن طريقى

قد فرغنا وانتهينا

وتذكرنا كثيراً ونسينا ما تذكرنا

سنيناً وسنينا

ورمينا

بيدينا

كلٌ ما صنَّاه من حب عميق

كلٌ ما صناه فى الماضى السَّحيق

ورؤى كانت لدينا

كل ما كانت لدينا

قد طويناها وعدنا وانطوينا

ياصديقى

لِمَ لا تحمل ماضيك وتمضى عن طريقى

لِمَ لا تبحث عن دنيا جديدهْ

لم تزل فى الأرض أحلامٌ سعيدهْ

ثم ماذا .. ! ؟

أى جدوى لك من ذكرى بعيدهْ

قد فرغنا

وانتهينا

وتذكرنا كثيراً ونسينا

ما تذكرنا

سنيناً

وسنينا

ثم ضيعت عدوى من صديقى

يا صديقى

لِمَ لا تحملْ ماضيك وتمضى عن طريقى



العِطْرُ الضائِعُ

يا أنتِ

. . . إنى لن أعود

لن اتبع الزّمن الحقود يمر بى

دون اعتذارِ

يا أنت

إنى قد عبثت ولم أزل طرباً بعارى

سيضيع عطرك فى الفراغ

وما اغتوى

غير احتقارى

وإذا بعينيك اللّتين عبدت ملأهما

انتصارى

تستجديان هواجساً تومى لفكرك

باصطبارِ

فتطول وقفتك السّخية – ويلها –

ويطول ثارى

ويظلّ يحملك الخيال ولن يقر على قرارِ

فإذا بدنياك الطليقة تستفيق

على أسارِ

ويكاد يربط كلُّ شيءٍ فى وجودك

بانتظارى

يا أنت

إنى قد عبثت ولم أزل طرباً بعارى

وغداً أمرُّ عليك معتذراً فيخدعك

اعتذارى

خِـــداَعٌ

ومن خلالْ

عطش الرِّمال إلى المياهْ

كانت تلوح لنا الحياه

أطياف آل

فنظلُّ نغرق فى الضّلال

والدُّرب

يبدو كما نراه

عطشى مميت

والدّرب يبدو كما نراه

تعبى مقيتْ

والدَّرب يبدو كما نراهْ

ماذا وراهْ . . ؟

هذا التلفت للحياه . . . ماذا

وراهْ . . ؟

ها أنت أنتِ

ولست أنتِ

دنياك بعض دجى وصمت

هذا الدُّجى . . ماذا وراه . . ؟

ماذا وراه . . ؟

أنظلُّ نغرق فى الضّلال

ومن خلال

عطش الرمال إلى المياهْ

أتظلُّ تخدعنا الحياهْ . . ! ؟

الخَطْوَةُ الضّائِعَةُ

كان الشّتاء يحزّ أرصفة المحطه

وتموء عاصفة كقطه

وعلى الطّريق

يهتز فانوس عتِيق

فيهز قريتنا الضّنينه

ماذا سأفعل فى المدينه . . ؟

وسألتنى

ماذا ستفعل فى المدينه . . ! ؟

ستضيع خطوتك الغبية فى شوارعها

الكبيرهْ

ولسوف تسحقك الأزقات الضّريرهْ

ولسوف

ينمو اللّيل فى أعماقك الصماء أمالا حزينه

ماذا ستفعل فى الـ . . . .

وبلا صديق

لا . . .

ليس فى تلك المدينة من صديق

وضحكت منى

وهزئت منى

وظللت أنتظر القطار إلى المدينه

ومضيت عنكِ

ومن خلال نافذة القطار

مرت قرى

تطفو

وترسب فى الرّمال وكنت أنتظر النّهار

مع المدينـــه

مرت سنون

كبرت بعينى اللّيالى السود والتهبت

غيومك يا دجون

فلمن أعود . ؟ !

لقريتى

أوْ للشتاء يحز أرصفة المحطه

أو للفوانيس الصغار تهز قريتنا الضنينه

أو للنساء المائتات من الحياء

لا . . .

لن أعود . . . .

لمن أعود وقريتى أمست مدينه ؟

فى كل منعطف ضياء

فى كل زاوية ضياء

فى كل مرمى خطوة ضوء لمصباح جديدْ

سيصيح بى :

– ماذا تريد . . ؟ ماذا تريدْ ؟

يا أيها الظلّ الشّريدْ

ماذا تريدْ . . ؟

لا شىء يعرفنى هنا

لا شىء أعرفه هنا

لا شىء أذكره ولا أشياء تذكرنى . .

هنا

سأجرّ خطوتى الصغيرة فى شوارعها

الكبيرهْ

ولسوف تسحقنى الأزقات الضّريره

لا . . .

لن أعود

فقريتى أمست . . . مدينهْ

أمست مدينهْ

قَــــرَف

وعدت إلىّ

وبين يدىّ

رجفت

. . . . واحسستُ أن لدىّ

حديثاً طويلاً يُمل

وقلت بهمس :

– وعن أى شىّ . . ؟

أتقسو علىّ . . !

وينسد غلّ

لماذا . . ؟

لماذا رجعت إلى ؟

لماذا رجفت ؟

وخفت

لماذا . . ؟

أأسكت ؟

إنّ بقلبى قى

وإنْ هوانا مملّ

وإنْ هنا

رغم هذا السرير

هنا

رغم هذا السرير الصّغير

سيرقد بينى وبينك ظِلّ

رجعت إلى

وجوعك حيّ

وقلت بجسمك شوق إليّ

وقلت

وقلت

وفى أذنىّ

يولول همسك عن ألف شىّ

وأحسست أن لدىّ

حديثاً

طويلاً . . يملّ

وأنك كتلة لحم عتيقْ

عروق تغل هوى لا يفيقْ

. . . أشمُّ

. . . أحس بقلبى قىّ

وأنى

دعينى . . . دعينى

اذهبى

ففى مغربى

أريد من الأرض شيئاً إلى

أريد من الأرض شيئاً

كموتى شيئاً إلى

ضِيَـــاعٌ

وركضت خلف رؤاه . . . لكنْ

ما اضعت سوى رؤاه

وبحثت فى عينيه لم تلقَىْ

سواه

هو نفسه

ما زال يسخر من هواك

ومن هواه

ويظل يسخر . . . ما الحياهْ

ما زالت الدُّنيا تراه

ولا تراه

يمشى كما شاءت خُطاهْ

فلا تحس به خطاه

- لا . . .

لن أراهْ

هذا الهوى الملعون . . . لا

أنا لن أراه

يا موته العريان . ها هى مثلهم

جهلت مداهْ

جهلت هواهْ

هى مثلهم . . كالنَّاس . كالدُّنيا تراهْ

ولا تراهْ

وتظلُّ أنت تقول . . ما أقسى الحياهْ

ويظلّ يسخر . . . . ما الحياهْ . ؟ ! ؟

إلـى أيـــــن . . ؟

إلى أين . . . ؟
ويحك . . . لا تسألى
فرجلاى مثلك تستفهمانْ
أغيب مع اللّيل فى مأملى
وأصحو ولا شىء غير الزّمان
يلفُّ اللّيالى على مغزلى
خيوطاً رقاقاً بلون الدّخان
غداً سوف تنشرها أنملى
ستاراً يحجب ضعفى المهان

إلى أين . . . ؟

يا للصدى

اسكتى

فليس وراء انفلاتى

مكان

تقلصت الأرض فى خطوتى

وضاعت بعينين

تستجديان

وما زلت

أمشى على جبهتى

وينسلُّ خلف خطاى الهوان

كأنى

على شفتى ميّت

أدبُّ

وأمتصُّ ما توحيان

وأطوى حياتى

على ضحكةٍ

تمتع فى خلقها يائسان

الديوان الثالث

خطوات في الغربة

الطبعة الأولى «الدار العصرية» – بيروت ١٩٦٥
تصدر هذه الطبعة عن دار سعاد الصباح – القاهرة ١٩٩٣



فهرس الدّيوان الثّالث

خَطَواتٌ فِى الغُرْبَة

قالوا عنه :

. . الجديد فى هذا البناء الشّعرى الأسطورى ليس هو التماسك المحكم فى البناء ، وليس هو التّصوير البارع لدقائق الخلجات الإنسانية عند ذروات التّوتر العاطفى ، إنما الجديد - رغم القيمة الفنية الفائقة لهذين الأمرين هو قدرة الشّاعر على إدارة الصراع الدّاخلى ، بحيث استغنى الشّاعر عن أسلوب السّرد كلياً . . وهذا يكشف عن طاقة إيحائية زاخرة .

حسين مروة - ١٩٦٥

. . وإذا ما كان بلند رائداً من روّاد الشّعر الجديد وفى طليعة من فتح آفاقاً على تجارب شعرية لم يكن قد ألفها بعد شعرنا الحديث ، فإنه بقى فى مجموعته الأخيرة عند حدود

هذه التّجارب ، وإن حاول أن يتخطاها فى بعض القصائد ، غير أنّ هذا لا ينكر أنه فى قصائده ما بين ١٩٥٧ ، ١٩٦٤ ، حاول أن يعطى أبعاداً جديدة لمضامين قضايا معاصرة ضمن الأشكال الشّعرية التى كان أول من جدد فيها فى الأربعينات .

رياض الريس – ١٩٦٥

. . وتخليص من الخطابة والتقرير وبناؤها بناء عضوياً يعتمد فيها الشّاعر على الهمس والإيحاء ويعبر بالصّور ويهتم بالحداثة الدّاخلية وخلق التّوتر النفسى حولها والتّعبير عنها بشكل هندسى وتوزيعها على أزمان مختلفة لخلق العمق فى الصورة ، مستعملاً الصّمت لتكميل التّفعيلة أحياناً ومستنداً على القوافى المتداخلة مع بقاء القافية الأصلية مسيطرة على القصيدة .

د . نذير العظمة

عِشْـــرُونَ ألْـــف قَـتِـيــــل . .

خبر عتيق

صوتُ المذيعْ

متخشب

شاءوا له ألاّ يحس بما يذيع

«لندن»

«عشرون ألفاً»

– لا . . كفى خبر عتيق كالمذيعْ

وتقول أنت :

من الحفاة

وتقول أنت :

من القطيعْ

وعلى شفاه أخريات

صوت يتمتم فى صلاة

رباه . .

احفظ لى حياتى

أنا لا أُريد سوى حياتى

أماه

يا أمى

رصاصة فى جنبى المدمى

. . . لا تبعدى

. . . لا تبعدى عنًى

كالكلب ها أنًى

أموت من أجلك يا أمًى

لا تبعدى عنًى

وحدى أنا

وغداً أموت مع القطيع

وحدى

وأَجرُّ ليلى المنطفى

وحدى . . . رأسى هنا

رجلى هناك

ويدى تشد على يدى

. . . ألمٌ فظيع

وأحس بى شوق الربيع

يموت بى

يا للْهلاك

ومن هناك

ومن هناك

يا للّهلاك

صوت المذيع

متخشب

شاءوا له ألاّ يُحِسَّ بما يذيعْ

«لندن»

وتدق بيك بن

دن . . . دن

«عشرون ألفاً»

– لا . . . كفى خبر عتيق كالمذيع

«قتلوا ليحيا الآخرون»

وأنا أُتمتمْ :

يكذبون . . . ويكذبون

وتقول أنت :

من الحفاه

«قتلوا لتزدهر السُّنون»

وأنا أتمتم :

يكدبون . . . ويكْذبون

وتقول أنت :

من القطيع

وعلى شفاه أخريات

صوت يهمهم كالصّلاة

أمى تتمتم فى صّلاة :

ربّاه . .

احفظ لى حياتى

أنا لا أريد سوى حياتى

أماه

يا أمّى

هنا . . . بلا حبى ولا بسمتى

أغور فى الطّين

أغور فى الجرح

أغور لا أنت معى

أغور لا شمس معى

ولا الهوى العالق فى صبحى

وسوف تنسينى

رغم السّنا المطفأ فى غرفتى

رغم الغد الفارغ يا أمى

فسوف تنسينى

وحدى أنا

ويدى تشدُّ على يدى

. . . ألمٌ فظيع

وأكاد أسمع من هناك

ومن هنا

صوت المذيعْ

متخشباً

شاءوا له ألاَّ يحسَّ بما يذيع

سِـــرٌ

أدرى

ستعود لتحرق لى شَعْرِى

ستعود

لتقلع لى ظفرى

لن تقتلنى

ستشد الحبل ، ولن تقتلنى

ستدوس على صدرى

أدرى

وفمى لن يفرج عن سرى

يا للسرّ

اقطع جفنى

اغمس إبهامك فى عينى

ففمى لن يفرج عن سرى

يا للسرّ

والسوط سينبح فى لحمى

كالسُم

سيوغل فى جسمى

يا للسرّ

وستنبش فى لوعة صوتى

فى موتى

فى صمتى المر

ستصيح : أريد . . أريد

أريدْ

والسوط يعيد

وتقول : ستخنقه

وستحرقه

يا للجبن

أأذيع السّر ؟

أأفشى الأمر ؟

يا للّجبن

أأخزى ابنى ؟

لا . . لا

والصّرخة تشهق فى عينى

لا . .

لا . .

وتعود لتحرق لى شَعْرِى

ولتقلع ظُفرى

لكنْ سرّى

سيظلُّ كنصلك فى صدرى

رمزين لإنسانٍ حرٍّ .

يا أحمق

فى سرّى عذرى

كى أصرخ

كى أبصق

كى أسخر من عبدٍ . . .

حُرّ

صُـــورَةٌ قَـدِيـمـــةٌ

كأس

وأغنية

وامرأة مريبةْ

ماذا تحاول أن تكون ؟

. . . ماذا تحا . . . ؟

يا للّصدى

فعلى مدى عينى تغرق فى السكونْ

خطوات أجيال كئيبةْ

وعلى يدى

فى كل عرق أسود

تغفو سنونْ

مرت سُدَى

حلماً تجسَّد فى شتائى موقدا

أحرقت أمسى كلَّه

فيه

ولم يدفأ غدى

ماذا أحاول أن أكون ؟

. . . .

وتغور دقاتى الرتيبهْ

. . . ماذا تحا . . . ؟

لا . . .

لن أجيبهْ

يا أنت

يا امرأة مريبهْ

غنى

ارقصى

قصى جناح ذبابة كى لا تطيرْ

ولتزحفن على التُّراب إلى المصيرْ

وليهزأ الكون الكبير ، كما يشاء

ليهزأ الكون

الكبيرْ ،

بذبابة

بجناحها المقصوص

بالقلب الصَّغيرْ

فأنا

كأنت

بالأمس كم دارت بنا الأيام من بيتٍ

لبيتِ

بعنا هوى

بعنا رؤى

وكما انتهيتُ أنا . . . . . انتهيتِ

ظلَّيْن من ليلِ

وصمت

يا أنت

يا امرأة مريبهْ

غنى

ارقصى

قصى حكايا الضائعينْ

لضائعينْ

ضمًى خطايا الآخرينْ

لآخرينْ

فأنا . . .

كأنتِ

ملقى هنا . . . وبكلٍّ موتى

كأساً

وأغنية

وبعض لفائف وغوى سنين

مطروحة . . . لعباً كئيبةْ

تلهو بها امرأة مريبةْ

ماذا أحاول أنْ أكون . . ؟

ماذا . . أحا . .

وتغور دقاتي الرتيبةْ

لا . . .

لن أجيبهْ



تـوْبَــــة يَـهُــــوذا

يا صـغارى

أنا أدرى أنّ عارى

قصـة تنساب من دارٍ لدارِ

أنا أدرى

كلما التف شتاء حول نار

وإذا ما شفة مرت باسم

مثل اسمى

ذكروا إثمى

وإثمى خنجر يوغل فى قلب صـغارى

أنا أدرى

أنّ ما لصته كفاى

وما شادت يدى

من قصور لغدى

لم تعدْ غير شهودٍ لدمارى

أنا أدرى

أنّ ما كنزت فى اللّيل

ومن ويل برىء

وفقير

من دم أهرق مرضاة شرورى

يستحيل اليوم

فى النّور

شهوداً لانهيارى

أنا أدرى

أن شعبى يأكل الحقد عروقهْ

كلّما أبصر بى الوحش الّذى داس حقوقهْ

كلّما أبصر بى اللّيل الّذى سد طريقهْ

أنا أدرى

أى وحش

أى ليل

كنت يا شعبى عليْك

أنا أدرى

كيف ألقيتك فى الدّرب

ولم أترك لديْك

غير جوعٍ

ودمار

يا صغارى

أى جدوى لاعتذارى

بعد أن أحرقت حتى بيت جارى

يا صغارى

إن حكم الموت لن يمسح عارى

عن جبينى

فهنا . . .

ألف قتيلٍ

وهنا . .

ألف صغير لم ينَلْ غير سجونى

أنا أدرى

أن حكم الموت لن يمسح عارى

فأنكرونى يا صغارى

واتركونى

اتركونى لعنةً تزحف فى التَّاريخ

من نّارٍ لنَارٍ

علّها

تغسل

عارى

جئتم مع الفجْر

جئتم مع الفجْر

. . . وكانت هنا

مجزرة تنمو بلا عُذر

وخلف باب السِّجن

كانت مُنَى

تعيش فى وهنِ

وكان للغدر

ألف يد تسرق من ذهنى

ومن دمى الحرّ

شوق اللّيالى السُّود للفجرِ

جئتم مع الفجرِ

وكنا هنا

نقتل فى صمت ولا ندرى

أيصلب الإنسان ؟

أتحرق النّيران ،

بيوتنا ؟

صغارنا

لأننا نحلم بالفجر . . . . ؟

لكنكم جئتم

وكنا هنا

نسأل من أين ستأتى المنى

من أين . . . ؟

لن تأتى

لن تشرق الشّمس

وفى بيتى

تغور فى الموت

أقدام أطفالى بلا صوت

من أين ؟ . .

لن تأتى

فسجننا أعمى بلا كُوَّهْ

ودربنا يوغل فى الهوّهْ

ونحن لا حول ولا قوهْ

لكنّكم جئتم وكنّا هنا

حكاية عن أمسنا المرّ

وموكباً من السّنا

فى فجرنا الحرّ

أولـــئــــكَ الرِّجَـــالُ

قالوا لنا

لله . . . ما أكثر ما قالوا

لله . . . ما أكثر ما يكذبون

أولئك الرِّجال

قالوا لنا :

غداً إذا صرنا كما شاءوا لنا أن نكونْ

نزحف فى اللّيل كما يزحفونْ

نهيئ الخنجر خلف الظّنُونْ

ونقتل الصّدق الّذى فى العيونْ

فما بها ظلال

كأنها بعض زجاجات

وليست عيون

غداً إذا صِرنا كما شاءوا لنا . . .

أن نكونْ

ستشمخُ التِّلالْ

ستنحنى الجبالْ

لأنّنا رجالْ

صرنا كما شاءوا لنا أن نكونْ

ضحكتنا ملساء كالأفعوانْ

أحلامنا سود بلون الدُّخانْ

لأننا رجالْ

أعصابنا حبالْ

تعانق الأطفال حتى تموت

وينعب السُّكون

وتمحى الألوان

والظِّلالْ

والأزمان

فليس فى الإنسان

شىء من الإنسان

لأنّنا رجالْ

صرنا كما شاءوا لنا أن نكونْ

لله : . . ما أكثر ما يكذبون

أولئك الرِّجالْ



الرَّحلة الثَّامنة

أطفئ مصابيحك . . . . ولنغرق

يا حارس المنارْ

فالحلم فى متاهك الأزرق

قد أتعب البحَّارْ

فودّ لو تنتهى

حكاية البحارْ

حكاية الطّواف فى البحارْ

حكاية اللؤلؤ

والمرجان

والمحارْ

وَوَدَّ لو يغرق

أطفئ له الأنوار

أطفئ ولا تقلق

واتركه للتيار

يحمل للأغوار ما فى الحلم من أغوار

يحمل للؤلؤ والمرجان

والمحارْ

كلٌ الحكايات عن الجدب ،

عن عالم يحيا بلا قلب ،

عن مذنب ،

يبحث فى التَّوبة عن ذنب ،

يا حارس المنار

اتركه للتيار

يحمل للأغوار ما يحمل فى يديه

فى عينيه

من أغوار

يحمل للبحار

لتيههَا المغلق

مرارة الضياع فى البحارْ

مرارة الصَّبارْ . . .

فاتركه

لن تقلق

أرضٌ مُـــرَةٌ

من يدرى . . ؟

قد نرحل عند الفجر

لا تلق

مرساة

لاتبذر

بذرةْ

فالأرض هنا صمّاء كالصّخرهْ

عمياء كالصّخرهْ

ومياه الجرف مياه مرهْ

لا تلق

مرساة

لا تنصب

خيمهْ

سنموت ولن تعبر غيمهْ

لتصير حياة فى زهرهْ

لا تلقِ

مرساةً

لاتبذر

بذرهْ

من يدرى ؟

قد نرحل قبل الفجرِ

عن أرض صماء كالصّخرهْ

أَرِيـــــدُ أن

أريد أن أغور فى شـوارع مـزدحمه

حكاية

أوْ غنوة

أوْ مـلـحمه

أريد أن

أمدّ أذنى لكل ضِـحكة

وتمتمةْ

أريد أن أفـهـم ما يبتل ملء دمعة

مبتـسـمةْ

أفهم ما

فى شـهقه تنشج كالرِّيح خلال

أضلع مهدّمه

أريد أن

أسأل مَنْ ؟

يحلم عن . . . أحلامه

أريد أن أسأل مَنْ

يألم عن . . . آلامه

عن قطرةٍ مسمومةٍ فى جامه

المحطّمهْ

أريد أن أزحزح اللّيل فلا تختل تحت ظلّه

أفعى

ولا تسعى

وراء رجله

تنفث ألف فكرة محرّمه

أريد أن أوقظ دنيا مظلمه

أهتزّ مصباحاً

هنا

هناك

ملء نوره

مُنَى

تنير ربوة ومنحنى

أريد أن

أكون مثل النَّاس لى

متّهمٌ

ومدعٍ

ومحكمهْ

لى فجرهم

لى ليلهم يبذر فى أنجمه

لى دربهم . . . أحلامهم

أمرّ فيها قصة

أوْ غنوة

أوْ ملحمه



غـــداً هــنـــا

غداً

هنا

فى هذه اللفتة من أرضنا

سيسأل التاريخ عنى . .

أنا

عن ذلك المقطع من عصرنا

عن غرف ما مرّ فيها السنا

لكننا

كنا

وكان السنا

فينا

ينبعُ من صمت ليالينا

من رنةِ القيد بأيدينا

من حد جدران توارينا

تشدنى

تبعدنى

عن قصة يسردها . . ابنى ،

عن زهرة تذبل فى بيتى ،

وأعين يرعبها موتى ،

وعن يد ،

مثل يدى ،

معروقة ترسم فى الصمت

مـدّ ذراعين

لفجر الغد

غداً

هنا

سيسأل التاريخ عنى

أنا

عن بيتنا الغارق فى الظلمهْ

ودربنا الموحش كالنقمهْ

عن آهةٍ

تغور فى بسمهْ

عن أرجل تركض . . .

عن أمهْ

تذوبْ . . .

تلتحف الدروبْ

حافية الرِّجلينْ

مبتورة الكفَّينْ

لا شىء فى عيونها إلا الغد المنطفئ

العينينْ

وأنت يا حكاية الذّنوب

غداً

هنا

يلعنك العصر وفى القمهْ

سيكتب التّاريخ عنى . . .

أنا

عن خضرة جاءت بها

غيمهْ

واليــــوْم أعـــودُ

فى أرضى

الصّمت مرير كالبغض

والفجر يجيىء بلا ومض

واللّيل يمرّ

ولا يمضى

والنّاس تتمتم فى أرضى

كنا

اثنين

عينان تغوران بعيْنيْن

منتظريْن

الفجر الفضى

والفجر يجيىء بلا ومضٍ

فى أرضى

وسئمنا الرّكض مع الأحلام

كرهنا النّاس

فقدنا الإحساس

مللنا

متنا

وإذا عشنا

فلقطرة سكر فى جام

تنسينا

سود ليالينا

تنسينا

سجاناً

وسجيناً

وأنيناً فى أرض الصّبار حزينا

كنا

اثنين

عينان تمران بعينين

وبلا حب

وبلا بغض

وكبعض النّاس نمر ببعض

والنّاس

تتمتم فى أرضى

فى بيتى

كنّا اثنين

وبصمت

التفت كفان بكفين

– أستمضى . . ؟

– لن أبقى . . . لن أبقى

وهمست بصوت مبلول

– سأظل لأشقى . . . لن أمضى

وبحبى

وببغضى سأحيل حقولى

فجراً ينساب على أرضى

واليومَ

أعود

أرضى تمتدُّ بدون حدود

بيتى رابية

كتفاه ورود

دنياه خلود

دربى

كحديث اثنين عن الحبِّ

عن لهفة قلبٍ

عن لفتة جودٍ

تخضرّ وتزهر فى جنبيه وعود

وبصمت

التفت كفان بكفين

غرقت عينان بعينين

وهمست بصوت مبلول

أطبق جفنيك

لنغرق فى الفجر الفضى

ما أعمقَ

ما أطيبَ

ما أوسعها . . . أرضى

تلك الأكبر من حبى

تلك الأكبر من كل سنى الغربة

والظلمة

والرعب

والأكبر من عفوك يا بغضى

يهوذا

وأشرت . . . أنت

- أأنا . . ؟ !

- أجل

وبلا خجل

كانت تصر يداك . . . أنت

أجل

وأنت

فكأننا لم نبن فى أحلامنا بالأمس بيتا

ليضمنا

درباً

وإيماناً

وصمتاً

وكأننا بالأمس لم نُقْسم

وما شدت يداك على يدى

لتنير من أمسى

غدى

يا من وقفت تشير . . . أنت

يا من

يا من وقفت مع العيون القاتمات

تشير . . . أنت

يا من وقفت وراء أصبعك الخؤون

تصر . . . أنت . . . أجل

وأنت

هلاً ذكرت بأننا

رغم العذاب يهدنا

رغم القيود تشدُّنا

رغم اللّيالى الحالكات تدور فى دارى

ضنى

رغم الخطى المتنصتات

تلص من بيتى السّنا

هــلّا ذكرت بأننا

لا . . لم نقل أبداً :

هنا

بيت عرفتك فيه . . أنتَ

لا . . . لم نقل

ليظلَّ ذاك البيت فى أحلامنا

درباً

وإيماناً

وصمتاً

لا . . . لم نقل أبداً :

هنا

بيت عرفتك فيه . . . أنت

لنظل فى المصباح زيتا

هلاّ ذكرت ؟

وقد رأيت القيد ينهش من يدى

لينير من أمسى

غدى ؟

هلا خجلت ؟

وقد وقفت مع العيون القاتمات

مع الأيادى الآثمات

تشير . . . أنت

وتصر . . . أنت . . . أجل

وأنت

لتبيعنى . . حياً وميْتا

لتهدنى

درباً

وإيمانا

وبيتا

لكننى

– وافرحتاه –

ما كنتُ . . . أنتَ

قال لنا شيئاً

بالأمس

مر من هنا

قال لنا شيئاً ومرّ من هنا

فانساب فى قريتنا

فجر

وأينعت مُنَى

واستيقظت كرومنا

لتنحنى

حباً

وظلاً

وجنَى

بالأمس

مرّ من هنا

قال لنا شيئاً ومرّ من هنا

وكان فى نظرته

وعد

وفى بسمته

رعد

وفى قبضته

جرح وآلام تفجر السَّنا

للأرض

للتاريخ

للدنيا . . . لنا

بالأمس

مرّ من هنا

قال لنا شيئاً ومرّ من هنا

فى رجله

أغلاله

فى عينه

نضاله

فى قلبه آماله

وماله ، للناس ، للدنيا جنى

وفى غد

إذ يمرح الصّغار فى قريتنا

وفى غد

إذ تشرق الأنوار من بيوتنا

ألف يد

ألف فم

يرفع من حياتنا

تحيةً لعابر

بالأمسِ

مرّ من هنا

أبقى لنا شيئاً ومرّ من هنا

بعدَ ساعاتٍ

وأذاعوا

بعد ساعات سينهدُّ شراع

سيجفُّ النُّور فى عين وتنشلُّ ذراع

وأشاعوا

جائعا كان

فآوت صوته المرَّ الجياع

ضائعا كان

فلمّت تيه رجليه الضّياع

مجرماً كان وفى نظرته

يلتقى درب

وفجر

ورعاع

ليتهم كانوا كما كنا رعاعا

وذراعا

وشِراعا

يعبر التأريخ كالحبِّ نداء

وعطاء

وشعاعا

بعد ساعات ستنشل ذراعى

ويد من خلف باب السِّجن تومى

بالوداع

ويد صفراء كالبهتان تسعى لانتزاعى

غير أنِّى

سوف أبقى

صرخةَ الإنسان فى كلِّ مكان

وسأبقَى

صورة فى كلِّ عيْنينْ

وفى كلِّ جنان

وسأبقى

ثورة تزحف فى الصّمت

ومن موتى

سيبقى

للغد الطالع

للفجر

ذراعٌ وذراعٌ وذراعْ

وسينساب شراعٌ

وشراعْ

وشراعْ



إلـــى ولـِـــدى

سأعود ثانية إليكْ

لأقبِّلَ النُّور الذى فى ناظريك

لتنام بين يدى صحوة

راحتيك

ستصيح :

عاد أبى إلىَّ

حياً

برغم الموت عاد أبى إلىَّ

فى ناظريه

حكاية

عن ألف إيمان وشك

عن ألف جرح غائر

كالموت يصمت حين يحكى

أنا إن رجعت غداً إليْك

إن عدتُ ثانيةً إليك . . . فلا تسلْ

عمّا لدىّ

عن غيمة تجتاز هدأة مقلتىّ

لا . .

لا تسل عما وراء الصّمت من زهر وشوك

أنا إن سألت

فسوف أبكى

حـــديـــثُ للســبْـــت القَــــادِمِ

فى الغرفة ، ذات الغرفه

سيمر السَّبت

وبلهفه

قد تذكرنى

قد تسأل عنى

– لم يأت . . . ؟

– لن يأتى

ويغور الصَّمت . . . فى الغرفه

– أوتبكين . . ؟

– كلاَّ . . . كلاَّ . . . لكنِّى

لا أدرى

لِمَ أشعر أن السَّبت حزين ؟

لم أشعر أنّ البيت حزين ؟

أشعر أنى

أدفن شيئاً منى

فى صمتى

وبلهفه

قد تسمع صوتى

قد ترجع نبرة حزن فى صوتى

من يدرى . . ؟

قد لا تسمع شيئاً غير خُطَى الموت

تجتاز الغرفه

وتضيع بلا حب أو لهفه

من يدرى . . . ؟

قد تسخر من صوتى

منى . . .

من كلِّ السَّاعات الثُّكلى فى سرى

- لم يأتِ ؟

- أتمنى ألَّا يأتى

وسيضحك فى الغرفة غيرى

فى الغرفة ، ذات الغرفه

سيمر السَّبت

قد تذكرنى . . قد تسأل عنى

قد . . لا

ما قيمة ذلك . . إنى ميت

ميت فى الغرفة ، ذات الغرفه

فـــى الأرْبَـــعِـــيـــــــن

فى الأربعين

وعلى يدى

أكداس أحلام تموت بلا غــدِ

لا . . .

ابعدى

لا تبحثى فى ناظرى عن موعدِ

أنا من سنين

لو تعلمين

ما عدت غير صدى خطاى الشّردِ

تنساب بى

فى ألف منطلق حزينْ

لا . . .

ابعدى

يا أنت . . . يا من تحلمين

بالفجر يولد فى رؤى زهر ندى

بالياسمينْ

أنا من سنينْ

لو تعلمين

أيقظتُ فى الأشواك من عطشى المهينْ

حقد الكمين

حقد الأمانى المائتات على طريقٍ

أسود

لا . . .

ابعدى

يا أنت ، يا من تحلمين

بالفجر

بالزهر النّدى

بالياسمين

أنا من سنين

لو تعلمين

غاباتُ أحقادٍ تنام لموعدٍ

قد لا يجيئ مع الغدِ

إنّـهـا تـنْـتَـظِـرنـى

واهتزَّ ظلّ من بعيد

لا . . . ليس ظلّى

ويلوح ظلّ من جديد

لا . . .

ليس ظلّى

فأنا

هنا

فى السّجن يا أمّى أجر براءتى

فى ألف غلّ

ويدقُّ نصف اللّيل . . نصف اللّيل

مثل الويْل

ينبش فى قلوب الأمّهات

أمى كباقى الأمّهات

عينان

تنتظران من آتٍ لآتْ

ويلوح ظلٌ من جديد

لا . . .

ليس ظلّى

فأنا

هنا . . فى السّجن يا أمّى

هنا . . . رقم

يُشد يدى بِغلّى

وتمرّ أقدامُ سكارى

ويمرّ عطرٌ من حديث عن عذارى

وتمر قهقهة تجرجر مومسات

وتظل أمى

قلقاً يهمهم فى السّكون وحفنة

من ذكريات

ورؤى تهوّم حول اسمى

ويلوح ظلّ من جديد

لا . . .

ليس ظلّى

فأنا . . هنا

فى السّجن يا أمّى

هنا . . . وحدى أعيش بدون ظلٍّ



بين هاجسَيْن

إلى رجل قتلناه وقتلنا

فى ليلةٍ مثل ليالى النّاس

مألوفةٍ بغيمها

بنجمها

بكلِّ ما فى رحمها

من هاجس يسأل عن ولادة

وهاجس

ينطر فى الأجراس

وُلدتُ مثل النّاس

كبرتُ مثل النّاس

ومثل كل النّاس

سمعت وقْع خطوك المهيب فى دروبهم

ركضت خلف وقعه

وعبر ما فى وقعه المهيب

أدركت أن دربهم حكاية فى لحظة ،

وضحكة فى لحظة ،

وألف ألف مرة كان الطريق ملتقى

كئيب

عرفتَهم

حببتهم

أرخيت فى قلوبهم . . . كفيك

أدرت عن عيونهم . . . عينيك

وكنت فى غيوبهم

الموعد الحبيب

واليومَ

إذ تْرحلُ عن دروبهم

لا ترحلُ

إذْ لا يزال أمسك . . . الغد

الّذى لا يمحلُ

يغور فى قلوبهم

يظلّ فى غيوبهم

الدّرب

والضحكه

والحكاية

والبدء . . . لا النّهايه

بلا نهاية

ولدت مثل النّاس

ولم تكن كالنّاس

لا . .

لم تكن

مذ جاوزت رؤاك فى هاجس

يسأل عن ولادة

وهاجس ينطر فى الأجراس

وجـــهُ أخـتِـــى وَجْــــهُ أُمـتِـــى

القيت فى مهرجان سميرة عزام التأبينى

وهـوت يد

فإذا الطّريق مفازة والموعـدُ

وجه يغيب ويبعدُ

وإذا الغدُ

ذاك الّذى حلمت بمرآه السّنون الشّرد

هـذا الرماد الأسـود

يذروه هنًا عاصف

ويلمه

أمل علَى فجر هناك سيعقد

ويطول ليلْ

ويغور حتى العظم ويل

ونقول :

سوف نرى الصَّباح

نصير في لألائه

شرعاً

رياحا

ولسوف نحمل شمسه بيتاً أبَى أن

يستباح

ونقول :

سوف يرى الشُّروقَ عمٍ

ويفصح أعقدُ

والرَّقد

سيرون في عيني السَّماء تَوردُ

لا بد أن يأتي الصَّباح

لا بد أن يأتي فقد جفت من النَّزف

الجراح

لا بد أن . .

وأتى الغدُ

فإذا الصّباح تلفّت يستنجد

وهوت يدُ

يدك التى كانت تقيت وترفدُ

لا كنت يا هذا الصّباحْ

لا كنت يا هذا الصّباح الأسود

لا كنت يا هذا الغد

أختاهِ

لو علقت شفاهى

لسكت مثلك ما نطقت بغير آه

أذكى بها ألم الرّجال العائشين بلا جباه

أختاه

أضنتك الطّريق

أضنتك عين لا تنام وألف عين لا تفيق

وتعبت

إذا أيقنتُ أن الدّرب يوغل فى

المتاه

يلتف حول دخينة

ويضيع فى صخب المقاهى

تطويه أنة يائس

وتمجُّه ضحكات لاهى

وسكتُّ

يا أختاه

مثل الموت . . . لكن

لم تموتى

فغدى سيبعث منك يا أختاه

من دمك الصّموتِ

من نبض قلبك وهو يصرخ حيث يمعن

فى السّكوتِ

لا . . . لم تموتى

ولن تموتى

ما دام حرف أخضر يؤمئ وشمس تولد

ما دام فى الدُّنيا غــدُ



خطـــوات فِـــى الغُـرْبَـــة

هذا

أنا

- ملقى - هناك حقيبتان

وخطى تجوس على رصيف لا يعود إلى مكان

من ألف ميناء أتيت

ولألف ميناء أصارْ .

وبناظرى ألف انتظارْ

لا . . .

ما انتهيت

لا . . . ما انتهيتُ فلَمْ تزلْ

حبلى كرومك يا طريق ولم تزل

عطشى الدنانْ

وأنا أخاف

أخاف أن تصحو ليالى الصّموتات

الحزان .

فإذا الحياةُ

كما تقول لنا الحياة :

يدٌ تلوّح فى رصيف لا يعود إلى مكان .

لا . . .

ما انتهيت

فوراء كلِّ ليالى هذى الأرض لى حُبٌّ

وبيت

ويظلّ لى حُبٌّ وبيت

وبرغم كل سكونها القلق الممض

وبرغم ما فى الجرح من حقد

ويغض

سيظل لى حب وبيت

وقد يعود بى الزّمان

لو عاد بى

لو ضم صحو سمائى الزّرقاء هدبى

أترى سيخفق لى بذاك البيت

قلب ؟

أترى سيذكر ابن ذاك الأمس

حب ؟

أترى ستبسم مقلتانْ ؟

أم تسخرانْ

وتسألان

– أوما انتهت . . ؟ !

ماذا تريد ولِم أتيت . . . ؟

إنى أرى فى ناظريْك حكاية عن ألف ميت

وستصرخانْ :

لا تقربوه ففى يديه . . . غداً

سينتحر الصّباح فلا طريق ولا سنى

لا . . .

اطردوه فما بخطوته لنا

غيْم لتخضر المنى

وستعبرانْ

هذا . . أنا

– ملقى – هناك . . . حقيبتان

وإذا الحياة

كما تقول لنا الحياة :

يدٌ تلوح فى رصيف لا يعود إلى مكانْ

الديوان الرابع

رحلة الحروف الصفر

الطبعة الأولى دار «الآداب» - بيروت ١٩٦٨
تصدر هذه الطبعة عن دار سعاد الصباح - القاهرة ١٩٩٣



فهرس الدّيوان الرابع



رِحْلَــــةُ الحُـــــرُوفِ الصّـفـــــر

قالوا عنه :

. . ويصبح شاعرنا أكثر التزاماً فى ديوانه «رحلة الحروف الصّفر» ويكشف عن نضج فنى وفكرى متميز من خلال رؤياه المتطلعة الواعية الملتزمة بقضايا الإنسان وذلك بأسلوب لا يخلو من الرومانسية .

نازنين على محمد

. . أظهر مميزات شعر الحيدرى : التصميم المتقن ، والتركيز وتصفية القصيدة من الشوائب ، وتخليصها من الخطابة والتقرير وبناؤها بناء عفوياً ، يعتمد فيه الشّاعر على الهجس والإيحاء ويعبر بالصّور ويهتم بالحادثة الدّاخلية وخلق التّوتر النّفسى حولها ، والتعبير عنها

بشكل حدسى ، وتوزيعها على أزمان مختلفة لخلق العمق فى الصّورة ، مستعملاً الصّمت كمكمل للتفعيلة أحياناً ، ومستنداً على القوافى المتداخلة مع بقاء القافية الرئيسية مسيطرة على القصيدة .

أحمد أبو سعد

خيبة الإنسان القديم

صليت يا أختاهْ

صليتُ حتى صارت الذّنوب فى مجاهلى

صلاهْ

وصمت حتى جفت الشّفاه

وقلتُ

فى الشّفاه

فى الخشب المعدّ للشتاء لى

إلهْ .

وإننى سحابة جادتْ بها يداهْ

وإننى حلم الرمال السّمر بالمياهْ

وإننى من يبسى أُفَجِّر الحياه

وكانت الحياهْ

تسمّر الصّليبَ فى الجباهْ

وتصلّب المسيح كلَ ساعةٍ

تصلب هذا الميتَ كلّ لحظةٍ

فينتشى من ألمى مداهْ

وفى عيونى اليابسات ترتمى سماهْ

حكايةً عن تائه تخنقه خطاهْ

وكنتُ يا أختاهْ

أحمل فى أعماقى المتاهْ

صلّيتُ

صمتُ

صِرتُ فى متاهتى إلهْ

وصارت الذّنوبُ فى مجاهلى صلاهْ

وجفت الشّفاهْ

وها أنا أموت يا أختاهْ

كما يموت الرَّبُّ فى منفاه

ولستُ غير خطوةٍ

غرستها

فى الرَّمل

كى تحلم بالمياهْ



وحشة

١

. . يرنُّ . . . يرنْ . . .

- من أنتَ . . ؟

- أما أنت

- لقد أخطأتَ

. . . وتموت على كفى السّماعهْ

٢

. . . ويرن الصّوتُ

. . يرن . . . يرن . . . يرنْ

– منْ أنتَ . . . ؟

– أنا أنتَ

– لقد أخطأتَ ، فنحن اثنانِ

ومن أرضين بلا ألوان

وأنا لا أعرف من أنتَ

لقد أخطأتَ

. . . ويجف الصَّمتُ

والموتُ المتململُ فى السَّماعه

يئن . . يئن

من نحنُ . . من نحنُ . . . من نحْـ . . . ؟

٣

. . . ويرن الصَّوتُ

. . . يرنُّ . . . يرنُّ . . . يرنُّ . . . يرنُّ

– من أنتَ . . ؟

– أنا أنتَ

– لقد أخطأت . . وأخطأت . .

واخطأت .

– لا أنت أنا

– وأنا لا أعرف من نحْـ . . .

هل نحن اثنان

أم جيلٌ . . . أم جيلانِ

يتمدد بينهما الزّمنُ

– لا أدرك ما تعنى

– لكنى . . . سأظل أنازع فى السّماعةْ

سأظل لأنّى

أبحثُ عن صوتٍ منى

محبوس فى صمت السّماعةْ

فى موتِ السماعةْ

٤

– اخطأتَ . . . لقد اخطأتْ واخْـ

. . . ويموتُ الصّوتان مع السّماعةْ

٥

ويرن الصّوتُ

. . . يرن . . . يرن . . . يرن . . . يرن . . . يرنْ

أجيال تتهدم فى أذنى

. . . .

لا شىءَ منك ولا منّى

من نحنُ . . من نحنُ . . .

صوتان يموتان على ثلج مخفى فى السّماعهْ

غُصن وَصَحْراء ومَظفَر

«وبقى فى العين من أضواء الشّمع الذّوب . . . الذوّب

– من رسالة لمظفر النّواب فى سجن النقره»

أصحيحٌ يا مظفرْ

أن غصناً طمرته الرّيح فى الصّحراء

رغم الرّيح والصّحراء

اخضرّ . . . ؟ !

أصحيحٌ

ما روته الرّيحُ :

أنّ البردَ فى صحراكَ ملعونُ

فلن تحيا غصونُ

فى صحارى كل ما فيها منونُ

كيف يحيا غصنُ زيتون صغيرْ

كيف يحيا ويصيرْ

لربيع موعداً

كيف يكونُ . . . ؟ !

أصحيحٌ . . . يا مظفرْ

أن ذاك الغصن رغم البرد

رغم الريح

اخضرّ . . . ؟ !

أصحيحٌ . . . ؟

ما تقص الرّيحُ .. قالت :

أنا الملمتُ دروبى فالرّبيعْ

مثلما ضاع ربيعٌ

وربيعٌ

سيضيعْ

أنا جوع اليبس الملتاع فى الغصن

الصّغيرْ

لن يصيرْ

لربيع موعداً

كيف يكون

والصّحارى كل ما فيها منونْ

لا شتاءً يرتجيها

لا ربيع مرَّ فيها

ومراميها

التماعات سراب وسكونُ

لن يصيرْ

لربيع موعداً غصن صغيرْ

أصحيحٌ . . . يا مظفرْ

ظلّ ذاك الغصن رغم الموت . .

أخضرْ

أصحيحٌ

أن شمساً تجمع الصّحراء فى عينى

مظفـرْ

نبعُ ماء يتفجر

آه لو تدرى عطاشانا على الدرب

المعفّرْ

أنّ فى أعماق صحرائك نبعاً يتفجّر

آه لو تدرى عطاشانا على الدّرب

المعفّرْ

أنّ فى صحراك حيث الموتُ تاريخاً مسمرْ

ظلّ غصن سرقته الرّيح منها

رغم كلّ الرّيح

رغم الموت . . . أخضرْ

لن يصيرْ

لربيع موعداً غصن صغيرْ

اسكتى يا ريحُ . . . يا ريحُ اسكتى

اسكتى يا ريح ، فالإنسان أَنّى كان

نبعٌ يتفجرْ

وسيبقى الغصن أخضرْ



رِسَالــــة الرَّجُـــل الصَّــغِـيـــر

. . . . واختبأت قرب دارنا التى طالما تحدثت من خلال دموعك عنها .

. . في هذه الغرفـة ولـدت . . . . وعند هذا الباب ذى المصراعين قتل

والدى ذات . . . وقد . . . من يدرى .

يافا «من رسالة فدائى»

وأمس يا أماهْ

مررتُ قرب دارنا

ولم أخفْ

وما ارتجف

صغيرك الصَّغير يا أمَّاهْ

لأننى عرفت أنَّ الموت قرب دارنا

حياهْ

لا تضحكى

كونى ولو لمرة

أمى كما أريدها ان تكونْ

تبصر فى عينى ظلّ والدى الكبيرْ

وقلبه الحنونْ

وصوته الجهيرْ

فلم أعد - واللهِ - مذ مررت قرب دارِنا

صغيرك الصّغير

لأننى عرفت أنّ الموت قرب دارنا

حياهْ

لا تبكى يا أمّاه

كونى ولو مرّة

أمى كما أريدها أن تكونْ

أكبرَ من حالمة

تخاف أن يُقتل قرب دارها

صغيرها الصغيرْ

تخاف أن يُصلب فى السّجونْ

صغيرها الصّغيرْ

تخاف أن أحمل فى عينى ظلّ والدى الكبيرْ

تخاف أن أصيرْ

أكبرَ من صغيرها الصّغيرْ

لا تضحكى

لا تبكى . . . يا أماهْ

فأمس قرب دارنا عرفت أن الموت

لا يخيف كالحياهْ

ولم أخفْ

وما ارتجفْ

صغيرك الصّغيرْ

لأننى حملت فى عينى ظلّ والدى الكبيرْ

المِلْحُ المُصْفَرُّ

اللّيلُ

قد يمرُّ يا صديقتى

ولا يجيئ الصُّبحْ

والأرضُ

قد تخضر يا صديقتى

وليس غير الملحْ

ونحن إذْ نضحك يا صديقتى

نطفئ كلّ ساعة

سيجارة فى جرحْ

لكنّنا

لن نقلب الفنجانْ

نبحث فى خطوطه القاتمة الألوانْ

عن دربنا

بين صحارى الملحْ

عن موعد للصبحْ

ولن نرى فى الجرحْ

منفضة الرماد والدّخانْ

غير الدَّم المحترق المهانْ

فالمارد الجبار يا صديقتى

إنسانْ

بكلِّ ما توقد فى عينيه من نيرانْ

بكل ما فى اللّيل من توْق إلى الصُّبحْ

بكل ما ينبض خلف الجرحْ

بكل ما فى الملح

من دعوة

لغيْمةٍ

تَعْبر فى نيسانْ

لكنّنا

لن نقلبَ الفنجان يا صديقتى

لأنّنا

نؤمن أن الأرض للإنسان

بليلها وصبحها

بملحها المصفر كالبهتانْ

بجرحها المطروح للذباب والدّيدان

وإننا

نؤمن أن جرحنا

أعمق يا صديقتى

من قطرة سوداء فى فنجانْ



اخْتِنَــــاق

ساعة أن تتمكــن اللّحظة من اختراق أعوام تتخطى حدود إنساننا الّذى الْفَنَاه فستقلقنا كثافة الأشياء فى ارضنا ولا بد من أن نبحث فى فسحة الغـد عـن زاويـة لنا .

«من هامش فى دفتر عتيق»

رغم الغد المفتوح فى الأفقْ

أحسّ بى

سأختنق

كأننى ابتلعتُ كلّ أرضنا

هواءها

وماءها

فليس فى عروقها إلا عروقى

تحترق

أُحسُّ بالقــئ الذى جمَّعتهُ

ألفى سنهْ

من وجه عاهرة . . . هناك

ووجه قديسٍ . . . هنا

منهم

ومن جوعى أنا

يلفُّنى وينطلقْ

ليغمر البيوتَ والوجوهَ

والطُّرقْ

والنَّاسُ إما سائل

عن القلقْ

بلا قلقْ

أو قلق يبحث فى سكوته عن مُنعتقْ

والقىءُ

ما جمعته ألفى سنهْ

منهم

ومن جوعى أنا

يُغرق كل الأسئلهْ

فالمسألهْ

فى أن نكونْ

أو لا نكونْ

ليست حدودَ المسألهْ

بل الغد المفتوح فى الأفقْ

يسأل فى انفتاحه

عن فجوة لينعتقْ



نِـــداءُ أُمـــةٍ

امضِ

متْ فى السّاحة يا ولدى

ما قيمة أنْ نحيا

والدّنيا

لا تبنى بيتاً فى عينى

لا تحمل لى شيئا

لا درباً للوطنِ

لا خضرة أرضٍ من بلدى

من يدرى ؟

إن ظلتْ فى أرضى خضرهْ

أو زهرهْ

تتساءل فى خجل عنى

عن فجر فى عينى ابنى

فالريح المرّهْ

ما زالت تجتاح الدّنيا

من يدرى . . . ؟

إن كانت قد تركت بقُيا

مما غرسته يدىْ

يحيا

فى بلدى

متْ يا ولدى

مُتْ فى السّاحة يا ولدى

كن دربى للوطن

فلعلك ميتا

يمتد دهوراً فى عينى

وستحيا

رغم الموت مع الخضرهْ

فى تلك الزّهرهْ

فى فجر غد

مت يا ولدى

ما دمت تموت لكى تحيا



حلم بالثلج

قالت : ما شعرت مرة بعين رجل تحيلنى قطعة

لحم إلاّ وتصلبت خشبة قاسية كالموت .

«عتاب فى ساعة كئيبة»

كونى ولو للحظة

دماً

فماً

جهنماً

تقذف فى عينيك ألف شهوة

مخبأهْ

كونى امرأه

يا خيبة تموت خلف النّافذات

المطفأهْ

كونى امرأه

وليحلم الثّلج الّذى فى ناظريك مرة بمدفأه

فــــى المـفـتـــــرق

أعرف كم أصبحت تافهة فى نظرك . . . قلها

هامساً ولن نـتـطـرق إلى الموضوع ثانيـة .

من «رسالة صفراء»

لا تقلقى

سنمرُّ . . . لن نلتقى

وينتهى دربان فى المفرقِ

وكلُّ ما نسيتُ فى هدأتى

من حلم شيِّقِ

وأحرف شاخت ولم تورقِ

ومن رؤى ؟

أعيدها إليك . . . لا تقلقى

لا تفزعى من مُزقٍ تجفُ

لا تفرقى

علّـكِ إن مرّ شتاء غداً

ببابك المهجور فى صمت كئيب

شقى

تلقين ما تحرقينْ

تلقين ما يدفئ صمتاً حزينْ

تلقين فى ما بَقِى

من أحرف شاخت ولمْ تورق

دفءً لهذا العالم المغلق

لقلبك المرهقِ

– وأنتَ . . ؟

– أمّا أنا . . . ما زال مجدافىَ فى زورقى

والبحرُ ما زال مدى حالما

يدعو

وقد أسألُ عن مطلقِ

- وأنتَ . . ؟

- لم تفهمى . . . سدًى إذن بابى

ولا تقلقى

عصر الأختام المَطاطِية

ارجعْ لنا

يا عصرنا

يا عصر أختام من المطاطْ

يا بحّة السيّاط ،

فى جلودنا

يا أيها القيْد بلا جريمهْ

ارجع لنا

عيوننا القديمهْ

أبوابَنا الكئيبة السوداءْ

مفتوحة لليل والأنواءْ

ارجع لنا

ما هزت الشّموعُ من ظلالنا

في عتمة المساء ،

ارجع لنا

أطفالنا العراةَ تحت غضبة الشّتاءْ

أيديهم الصغيرة التودُّ لو

تمزق السَّماءْ

يا عصرنا

يا عصر أختام من المطاطْ

يا أيها القيد بلا جريمهْ

يا بحة السِّياطْ

ارجع لنا

عيوننا القديمهْ

لنعرف النَّصر الّذى يلوح فى الهزيمهْ

وانصبْ لنا

من أرجل الجراد فى صحرائنا

من يبس الصّبار فى بلادنا

من أذرع الأموات من أبنائنا

مشانقاً

تسألنا

عن غضب . . . يحملنا

فى غنوة عظيمهْ

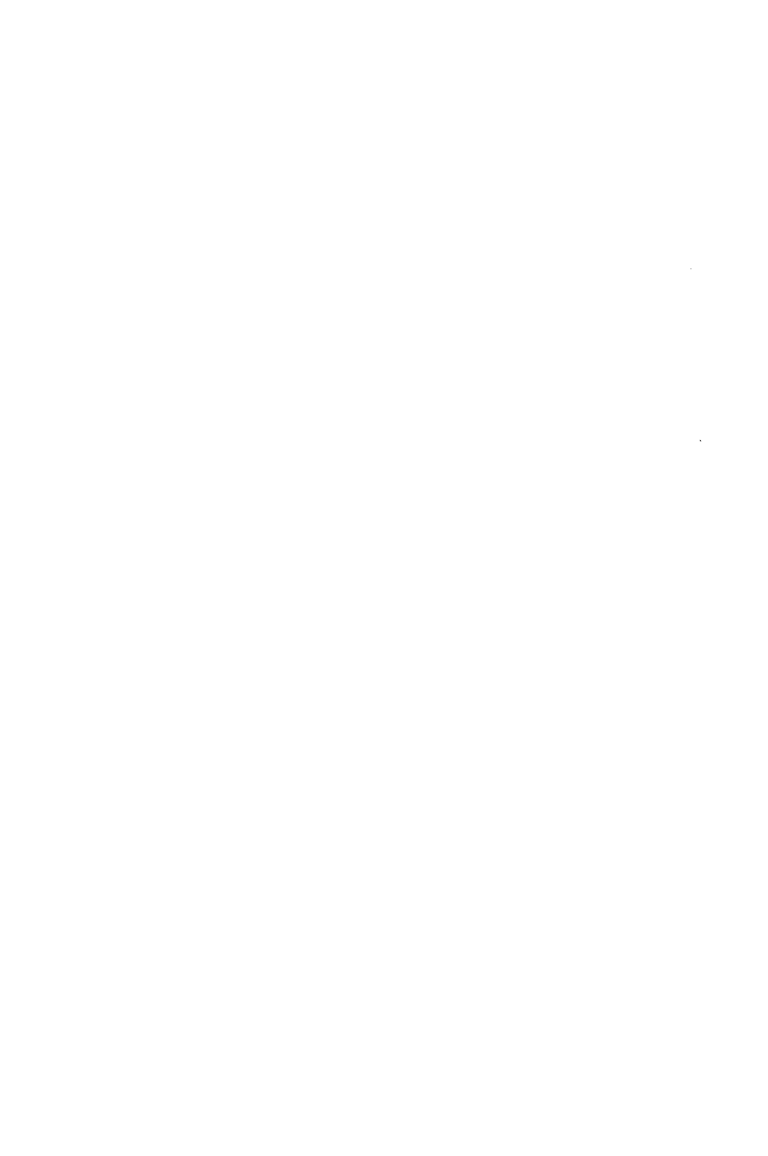
فقدسئمنا

وجهك المغروز

فى المطاط

فى التُّراب

فى الجريمهْ



وَدَدت لَـــــوْ

وددتُ لو

قُتلتَ يا صديقى

وددتُ لو

شُنقتَ . . . لو

علَّقْتَ فى أعمدة الطَّريقِ

إذن لقلتُ :

ذلك الشّامخُ ألف راية

. . . . صديقى

وددتُ لو

لوْ لمْ تكن موتك فى أصبعك الخؤونْ

تحمله فى عتمة السّجون

وشايةً

بكل ما نكن من تلفت عميقْ

لأذرع تصرخُ فى الطَّريقْ ،

وددتُ لو

صمتَ حتى الموت يا صديقى

إذن . . لمَّا . .

كلاً . . . فما

هذا الّذى يبيعنا . . . صديقى

ضِحْكَة قَصيرة

« في عصر الزّيف لا يقول الشّاعر ما في نفسه ولا يقرأ القارئ إلا

ما في نفسه هو ، ويستمر الحوار خلال ضحكات قصيرة جادة»

حديث في رسالة

لو قلنا ما لم نفهمْ

لفهمنا ممن لم يفهم

ما قلنا

ولصرنا

في عتمة أحلام

رؤيا

دنيا تمتد وتُستلهمْ

لو قلنا :

الموتُ شراعْ

والصّمتُ القاعْ

والنّاس ضفاف عرى تتمرأى فى عرى ضفاف

لتلألأ فى عين العرّافْ

بيّاع الأصدافْ

معنى أبعد من همس الصمتِ

ورعب الموتِ

لرأى فى «القَافْ»

لرأى فى «اللام» وفى «التّاء»

معنى

ما كان له معنى

لو لم يأت لنا العرّافْ

لو لم يأت بنا العرّافْ

يا أرض الزّيف

يا عصر الزَّيف

سنصلى للبحر الغارق فى الأصدافْ

لحصى العرّاف

وسنسمل عينَ الشّمسِ لكى نحيا

فى رؤيا

فى دنيا تمتد وتُستلهمْ

سنصلى يا عصر الزّيف

لزيف العصرِ

لزيف العرافْ

فالموتُ شـــراعْ

والصّمتُ القاعْ

والنّاس ضفاف عرى تتمرأى فى عرى

ضفافْ

والضّحكة . . . ألا نفهم

ما نفهم



التّكـــوين

يغرق فى عيونها الكبيرهْ

يبسط فى ظلالها السّوداء مثل

موته سريرهْ

ويرقد الأمير ألف فكرة

وترقد الأميره

طلين مهجورين فى جزيرهْ

الشّمسُ لا تشرق فى جزيرتى

والشّمسُ لا تغيبْ

والظّل لا يعرف غير لونه الغريبْ

فى هذه الجزيرهْ

لا تولد النَّاسُ ، فلن يكون فى المرآة

غير موته سريرهْ

ويرقد الأمير ألفَ فكرة

وترقد الأميرهْ

ظِلَّين مهجورين فى جزيرهْ

الشَّمسُ لا تشرق فى جزيرتى

الشَّمسُ لا تغيب

والظِّل لا يعرف أن يطولَ

أوْ يقصر

أوْ يصيرَ غير لونه الغريبْ

فى هذه الجزيره

لا تولد النَّاسُ ، فلن يكون فى المرآة

إلاَّ شكلهُ المريبْ

ولن يرى ضميرهْ

وتكبر الجزيرهْ

ويكبر الإحساسُ بالزّمانْ

وتحت وطأة المساء والصّباح

والظّهيرهْ

تحرك الظّلانْ

فكان فيما كانْ

الموتُ للإنسانْ

والغاضبُ الملعون للجزيرهْ

وكان إن دارت بنا السّاعةُ فى المكانْ

فأغرقت . . .

الموتَ والإنسانْ

والجزيرهْ

فليس إلاّ الظّل فى الظّهيرهْ

ظلّ بلا إنسانْ



هَــــلْ لِـــى أنْ . . ؟ !

هل لىَ أنْ أحلم يا مدينتى

بالرُّجوعْ . . . ؟ !

لدارنا المطفأة الشُّموعْ

هل لى أن أحلم يا مدينتى

أن أعود . . ؟ !

فأوقظ المصباحْ

وافتح الشباك للنّجوم والغيوم

والرِّياحْ

وأترك المفتاح خلف البابِ

للصوصِ

للزوّارِ

للوعودْ

هل لى أن أعود يا مدينتى . . ؟

هل لى أن أحلم بالرُّجوع . . ؟

لكلٍّ ما فى قلبك المقروح من دموعْ

لليلك المطروح فى الزّقاقْ

صحيفة سوداء مثل القارْ

معتمة كنشرة الأخبارْ

يحملها الأفاقْ

وتاجر الرّقيق والسمسارْ

من دمعة لدمعةٍ

من غربة لغربةٍ

ومن طريق غائمٍ لغيمةٍ يضيعُ

فيها الطّريق

وقد يلفُّ الجوعْ

فى صمتها حذاءه الممزق العتيقْ

هل لى أن أحلم يا مدينتى أن أعودْ . . ؟

أبحث عن عينى بين دفتى كتابْ

تركته . .

هناك . .

عند البابْ

فاصفر فى أوراقه عتابْ

أريد أن تعود

– «أود أن أعودْ»

من قبل ان يجفَّ فى الوعودْ

سؤالها عن تائه

فى الرِّيح

والأرصفة السَّوداء والضَّبابْ

هل لى إن عدتُ غداً لمدينتى ؟

هل لى أنْ

أسأل عن . . . ؟

عن وطنٍ . . لا عن كفن

لا عن كفنْ

فـى زَمَـن البَـراءةِ المُـتَّـهَـمَــــة

طوبى لكَ يا جدًى

طوبى لك إنك قد متٌ

ولم تكُ ملعونا

طوبى لك إنك لم تكُ جرحاً

فى يومٍ ما أو سكينا

لم تك سجاناً فى يوم ما أوْ

مسجونا

كانت لك مقهاكَ

ورؤاكَ

وصباياك وكانت فسحةُ أَحلامكَ

توسع دنياكَ . . تمدُّ بها بستانا

حبلى برعود صباك

لكنى يا جدِّى

وبما أورثنى حبك لى

سأموت غداً ، لأظلَّ أموتُ

وفى ألف غدِ

ويدى لن تحملنى إلاّ فى هذا القيد أو . . . ذاك القيد

لن تحملنى إلاّ وطناً مطعونا

إلاّ اسما ملعوناً

يتململ فى الغلِّ وفى رقمٍ من أرقام

السِّجنِ

إلاَّ الغربة تبحث عن معنى للوطن

يا جدِّى

أنت غرستَ بعينىَّ الوعدَ

بأن لا أنسى وطنى

قلتَ : صن العهد

ولا تخذله غدا

يا جدِّى . . ومتُّ كما شئتَ

ولم تك ملعونا

لم تكُ سجاناً أو مسجونا

كنت كما شئت غطاءً أبيض

مثل صباكَ

ومثل رؤاكَ

ولكنى يا جدَّى

يا جرحى الممتدَ دماً أسودَ

ما بين الوعد وبين العهد

قد صرت بك . . .

بهما الجرح وصرتَ لجرحى

السكّينا

صارت كل براءتك

ساحات ثكلى فى بلدى

ومشانق ما زالت تسألُ عن موتَى

فى ولدى

حتى فى ولد يولد من ولدى .

يا جدِّى

يا كُلَّ براءاتكَ فى الوعدِ

وفى العهد

بألاَّ تصبحَ لا جرحاً أو سكينا

قل لى :

كيف غدتْ فى جيل النِّقمهْ

كلٌّ براءاتك تهمهْ

كيف غدوتُ بك الرِّقم المطعونا . . ؟ !

الاسم المطعونا ؟ !

الأمس المطعونا . . ؟ !

كيف غدوتُ وباسم براءاتك يا

جدًى

الوطن المطعونا . . ؟ !

الوطن الملعونا . . ؟ !

الوطن القاتل والمقتول . الطاعنَ والمطعونا

. . . ؟ !

يا جدًى

قل لى :

هل لى أن أبعث فى يوم ما . . فى

زمن ما ؟

هل لى أن ابعث فى أمسكْ ؟

أن أولد ثانيةً فى فرحة عرسك ؟

فى حلُم أبى المتنسك ؟

هل لى أن أولدَ لا جرحاً ؟

لا سكينا ؟

لا سجناً . . لا سجاناً . . لا مسجونا ؟

فأنا يا جدّى

ما زلتُ ألملم نفسى فى كل ملاءاتكَ

تلك البيضاء بلون براءاتك يا جدّى

فى الوعد

وفى العهد

ارم بوجهكَ فى سجنى . . من يدرى

قد نولد ثانيةً فى وعدٍ . . فى شىء

من عهد

فى شىءٍ من بعض براءاتكَ . . يا جدّى

قل لى :

هل لك أن تولد ثانية فى جلدى . . ؟

الرِّحْلة

وتنتهى الرِّحلة يا حروفى
الصَّفراءْ
ومرة ثانية
سنجمع الرّصاصْ
ثانية . . نذوب الرّصاصْ
لقصة نبيّهْ
لجوع بندقيهْ
لغنوة بلهاء
لكننا لن نعرف الخلاص
بكذبة جديدة صفراءْ

إذ لا تزال أرضنا

مسافة ما بين عينينا . . .

ولا رجاء .

أودِيــــــب

١

الصُورة

وتصيح يداهْ

وتطلّ على ليل عيناهْ

وتغور خطاه

أحلام سوداء . . . ومتاهْ

يا ألف سماء . . . أين الله

أوديب :

مهجورٌ كالليل أنا . .

كالصّمت أنا مهجورُ

وهنا

قرب يدى

ملء غدى

دنياى دُجى مقرورُ

بيداء ربداء ونداء مبتورُ

ودهور تتساقط ، تجرفها أمواهُ

وأنا الإنسان المغرورُ . .

أغورُ

أغورُ

أغورُ

فأين الله . . . ؟ !

الجوقة

يا صمَتاً فى الرّوح المقرورهْ

يا مدة أيد مبتوره

اتركنا

للم خطواتك . .

اتركنا . .

اغرز آهاتك

فى ذاتكَ

اتركنا . . .

يا قرفا من دنيا مهجورهْ

اتركنا

اتركنا

اتركنا

الصُورهْ

وتغور خطاه

وتصيح يداه

يا ألف سماء . أين الله ؟ ! .

٢

الجوقة

من أى الأبواب المهجورهْ

ستعودُ حكاياتٍ ، أحلاماً

أسطورهْ

أو لوناً منفياً فى صورهْ

أو ضحكة مخبول مبتورهْ

أوديب :

آه لو تدرى

ما أطول رحلاتى فى صدرى

فى عينى المبقورهْ

رحلات تمتد طوال اليوم

فى اليقظة

فى النّوم

لا الضّحكة تغفو فى صدرى

لا الرّغبة مدّتْ رجليها

واستلقت سرا فى سرّى

لا الصّورهْ

دربٌ فى الرّحلة للفجر

آه لو تدرى

ما أتعبَ رحلات لا تطلب ميناء

. . . وتغور خطاه

وتصيح يداه

يا ألف سماء . . يا الـ . . . أين الله ؟



الديوان الخامس

حوار عبر الأبعاد الثلاثة

الطبعة الأولى وزارة الثقافة العراقية – بغداد ١٩٤٦
تصدر هذه الطبعة عن دار سعاد الصباح – القاهرة ١٩٩٣



فهرس الدّيوان الخامس

القصيــــدة	الصّفحة



قالوا عنه :

.. إن القصيدة « حوار عبر الأبعاد الثّلاثة » هى من النّماذج الرّفيعة فى الشّعر العراقى والعربى الحديث ، وتبدو متفردة عن القصائد الغنائية التى تتعمق وتتغلغل فيها معطيات الفنّ الدّرامى بأجلى صوره ، فابتعاد الشّاعر عن صوته الخاص الصّارخ إلى خلق الموضوع والحدث المتطور الذى يكتمل من خلال الصّراع والتضاد والحركة الدّائمة التى تضج بها القصيدة .. هذا الابتعاد عن الغنائية هو إحدى الالتفاتات الفنية القديرة التى يتميز بها عمل بلند الحيدرى هذا .

د. محسن أطيمش

.. وبلند الحيدرى الّذى لمست اتساع تجربته وعمقها وما اقتضته من تعديل وتوسيع فى قاموسه الشّعرى ، وذلك فى قصيدته الأخيرة « حوار عبر الأبعاد الثّلاثة » التى تعددت

فيها الأصوات ، غير أن تلك الأصوات جميعاً تحمل نبرة الأصالة التى تميز بها الشاّعر .

خليل حاوى - ١٩٧٣

.. فى مطولة « بلند الحيدرى » « حوار عبر الأبعاد الثّلاثة » تجسّد هذه القصيدة هذا التّصدع . وتتولد المأساوية من إرادة مزدوجة فى الانفصام والالتئام ، حيث يتداخل العنف الرافض فى صورة قتل الأب ، والحنين إلى الالتئام بالتشبث بكسرة صغيرة من الوجه للطفل خلال استحضار لاهث صاخب لتجليات الوجوه أو الأبعاد الثّلاثة .. وكل منها يحاكم الآخر ، فيما يحتَضن الأصوات جميعها صوت « الأنا » الرائية المتمثلة هنا بالجنون الملعون الذى لا يملك اسماً ، لأنّ امتلاك الاسم علامة على توحد الهوية .

خالدة السّعيد

حِوارٌ عَبْرَ الأبْعَادِ الثَّلاثَةِ

في حوار مع المخرج السّينمائي المعروف قاسم حول

« مجلة الطريق » اللبنانية :

قاسم حول : بعض دارسيك يحدد صوتك الشّعرى على أساس أنه صوت غنائى ، بينما يضع آخرون تجربتك الشّعرية الأخيرة « حوار حول الأبعاد الثّلاثة » فى إطار التّجارب الدّرامية .. فكيف تفسر هذه النقطة من الغنائية إلى الدّرامية .. ؟ .

بلند الحيدرى : قد يبدو للوهلة الأولى لمن يراجع تجاربى الشعرية السّابقة بأن صوتى يتخذ إطاره ضمن مناخ غنائى ، وذلك متأت عن أسلوبى فى طرح القصيدة عبر شكلية تتميز بقصر النّفس والوقوف بها خلال ثلاث محطات .. وهى أن يكون لها أول ووسط وآخر ، أحدد عبرها نمو القصيدة العضوى ، إلا أن هذه الشّكلية الظّاهرية لا تؤكد انفصالى عن ميزة ظلت مواكبة لكلّ ما أنتجت عقب ديوانى الأول ، أى استمراراً من « أغانى المدينة الميّتة »

- ١٩٥١ - وهى التأكيد على الصّراع الدّرامى ، ومقومات هذا الصّراع الدّرامى هى أنى ألتمس تجربتى الشّعرية ضمن بعدين رئيسيين ، الأول منهما يعبر عن تطلع الشّاعر فى الذّات المعاصرة ، والثانى منهما يرسم تحرك الواقع المضاد ، وأنا جاد فى الاعتقاد بأن أى انفصام بين هذين البعدين فى التجربة الشّعرية تسقطها ، إما فى الدّعائية السّمجة كالتى عرفناها على أيام « جدانوف » أو الفوتغرافية الميتة والتى ألفنا الكثير منها فى وصفياتنا القديمة .

وأخذى للعملية الشّعرية على هذا المنوال ، يدفع إلى استخدامى الأصوات الدّاخلية المتناقضة لتأكيد الصّراع الدّرامى عبر تطلعى وعبر تحرك الواقع ، وقد يحمل واقع ما ، جواً قاتماً كثيراً ما ساق البعض إلى اتهامى بكونى واحداً من دعاة الأدب اليائس ، والحقيقة ليست كذلك ، لأن من يحمل فى شعره تطلعاً لقضية ما ، لا يمكن أن يتهم شعره باليأس ، غير أن على النّاقد أن يرتسم اتجاهات الأصوات المتحرّكة فى العمل الشّعرى لإدراك القيمة كنتيجة لا كجملة أو صورة جزئية فيه . فأنا ساعة كتابتى قصيدة عن فلسطين أو الفيتنام أو هيروشيما ، أرفعهما فى العصر تطلعاً من ناحية ، وأتحرك بها واقعاً قاسياً مظلماً مليئاً

باليأس والخيانة والبطولة من ناحية أخرى ، ليصار إلى خلق المناخ المأسوى الصّادق والذى ليس كصدقه محركاً فعالاً ... وهذه التّجربة مرّ بها غير واحد من الأدباء المعاصرين ومنهم « برشت » إذ اتسمت تجربته الشّعرية بالغنائية والدّرامية ، وعنهما تسرب أسلوبه الدّرامى فى المسرح .

قاسم حول : وقد يكون الأمر كذلك معك .. أى أن تحول إلى المسرح ؟ ..

بلند الحيدرى : أحب المسرح جداً وأتتبع تطوره إلا أننى أضع حداً بينه وبين العمل الشّعرى ، فالجهد الهندسى الذى يتميز به العمل فى المسرحية كثيراً ما يقضى على صدق التّجربة الشّعرية ، وكثيراً ما يفرض صحواً شديداً عليها ينال من الانفعال معها ، وقد لمسنا مثل هذا الجفاف فى تجارب الكثيرين ممن مسرحوا شعرهم وخاصة عندنا ، لذلك آثرت أن أتجنب كتابة قصيدة « الأبعاد الثّلاثة » بشكل مسرحى لأبقى على الطّابع الشّعرى مسيطراً عليها ، فالمسرح كيان أدبى بإطاره العام لا بلغته التى تكتسب أهميتها من شدة ارتباطها بالحدث وبالشّخوص ، بينما يقوم الشّعر تجربة فى اللّغة الشّعرية التى تتحرك ضمنها .. ولذا كان أن اخترت إطارين لقصيدتى الأخيرة هى الدرامية

والملحمية ، وأعتقد أننى استطعت بذلك ومع استخدام الحوار المسرحى أن أبقى على قيام الطابع الشعرى بشكل مستمر ، وثمة محاولات عالمية تأخذ فى هذا الاتجاه ، كما أننى أرى عملاً كهذا يترك للمخرج المسرحى مجالا للتحرك أكثر ، فيتأكد بهذا التحرك عملاً آخر يتمم الواحد منهما الثّانى ..

قاسم حول : كيف تمثلت الأبعاد الثّلاثة كأصوات فى قصيدتك الأخيرة ...؟

بلند الحيدرى : تدور القصيدة ضمن ثلاثة أصوات :

يمثل الصّوت الأول ، علاقة الإنسان بذاته ، والصّوت الثانى علاقة الإنسان بالموضوع ، والصّوت الثالث علاقة الإنسان بالمطلق ، وكل هذه الأصوات تتداخل ضمن الفرد الواحد ، أى أن العمل الشّعرى فى هذه القصيدة مسرحه الإنسان الواحد ، عبر نزوعه الدّاخلى ، وعبر تمزقه مع الخارج وعبر تكوينه لخلفيته الذّهنيـة مبدئية كانت ، أو دينية ، أو فلسفية .

ونجد فى الصّوت الأول : الإنسان بكل صدقه فى داخل نفسه بين السّقوط فى اليأس وبين الثّورة ، بين الخيبة

والتّفاؤل ، بين الحلم والواقع فى صراع متداخل . أما الصّوت الثّانى فقد التمسناه واضحاً فى علاقته مع الموضوع ضمن سبعة وجوه .. كناية عن خطايا سبع ، فنحن فى الخارج نسقط فى التملق ونسقط فى الخوف من الزمن ونسقط فى رعب المكان ونسقط فى المجاملة إلى غير ذلك ،

وكل هذه الوجوه السّبعة تشكل حدود السّجن الخارجية للفرد فى ذاته ، أما الصّوت الثّالث فيتمثل بالخلفية الذّهنية التى تتكون عند الفرد وتكون مذهبيته والتى قد تفسره إلى حد ما ، إلا أنها لا تستطيع أن تبرره تبريراً مطلقاً ، فثمة تمزق بين هذه الخلفية وبين التّحرك اليومى للحياة ، وافترضت الله هو الحق الذى تدور حوله هذه الأصوات لتحدد المسافة القائمة بينه وبينها فكان أن انتهت :

(يا رب فمن قرب منك لم يرك

يارب ومن بعد عنك لم يرك

والقائل إنى أنا الرّب لم يرك)

فالحق إذن حق نسبى تقرره المسافة وهو ما تحدث عنه بإسهاب (هيجل) فى فلسفة الحق ، والذى يمكن أن تكون

لحد ما الخلفية الفلسفية لهذا العمل إذ إننى كتبت القصيدة خلال قراءتى لهيجل مجدداً وبعد فراق قارب العشرين عاماً .

قاسم حول : الذى يقرأ تجربة الأبعاد الثّلاثة يحس فيها رؤية فرويدية ، فإلى أى حد نفذت هذه الرُّؤية ضمن تجربتك ؟

بلند الحيدرى : لحد ما هذا صحيح . فالأيكو « الذّات » والسوبر أيكو « الذّات العليا » والأنا « الذّات السّفلى » موجودة فى العمل مع تغيير أصيلا لمفهوم فرويد لكل منها ، إذ إن هذه الثّلاثية تقع عندى فى منطقة الوعى ، بينما تغور عند فرويد فى اللا وعى .

وقد يقع القارئ بسرعة فى التفسير الفرويدى عبر الشّكل الظّاهرى لهذه التّجربة من خلال علاقة قتل الابن لأبيه ، وطبعاً أنا لم أطرح الفكرة على الأساس الفرويدى ، ولكنى أفدت من الأبعاد التى تطرحها نظرية فرويد فى هذه التجربة وراجعت غير واحد من الأدباء الذين كتبوا هذا المجال ومنهم (ديستوفسكى) فى الأخوة كرامازوف ، ودراسة فرويد لمفهوم قتل الأب عند ديستوفسكى ثم « ريلكه » وآخرين ، لتثبيت البعد المأسوى فى العلاقة القائمة

بين الأم والابن والأب .

وبدءاً من ديوانى (أغانى المدينة) كان ثمة إحساس يواكب تجاربى الشّعرية هو أن الرّجل هو الصّوت القاطع العرضى ، بينما المرأة هى صوت الحضارة والاستمرار ، ومن هنا كنت أفسر كره المتشائمين من الأدباء والمفكرين للمرأة مثل (شوبنهاور) (وأبى العلاء ..) على أساس أنها تمثل الحياة ، وهم على غير ود معها ، فكان هذا السّبب كافياً لإسقاط غضبهم على شخصية المرأة . واستطعت بهذه القصيدة أن أعطى المرأة الاستمرارية وأن أعتبر الرّجل (الأب) هو الخط العرضى الذى يرى فى ولادة ابنـه قتلاً له ، فالجريمة لم تقع بالفعل ولكنها وقعت ضمن التهمة القائمة فى هذه العلاقة بين الأب والابن « أقتلت أبا .... قتل .....ـت أبى » فالبتر هنا التأكيد على ولادة الفرد « ت » لا على الذى لم يقل به .

قاسم حول : لأن أكثر من واحد رغب فى تحويل عملك هذا للمسرح .. هل لك أن تفيد فى تحديد البعد الزّمانى والمكانى فى القصيدة ؟ .

بلند الحيدرى : الزمن فيها كان متداخلاً ، ففى تجربة المحاكمة نلتمس عصرنا فى الحاضر لحد يبدو فيه (العهد

التّركى) بعداً زمنياً متخلفاً جداً ، بينما هو فى الجوقة وضمن اللّغة الإنجيلية المسيطرة عليه واستخدام الرّموز المسيحية تأخذ مساحة أوسع فى الزّمن ، وقد آثرت أن أتحدث عن زمنين عبر هذه التّجربة .. الزّمن الواقعى الذى نتلمسه من خلال البعد الثانى .. أى الإنسان عبر الموضوع ، بينما كان زمن آخر بنمو شكل متداخل فى البعدين الآخرين .. أى الإنسان فى الذّات ، والإنسان فى المطلق ، حيث لا نستطيع أن نجسد هذين الزمنين فى الذّاكرة العينية ، وليس جديداً أن أقول إن تجربة كهذه فى معاملة الزّمن ألفه المسرح التّسجيلى .. ومنهم بيتر فايس وماكس فريش .

كما قلت ، إننى اخترت البعد الثّالث تعبيراً عن المطلق وأعطيته نهجاً أدائياً شبيهاً بالنّهج المألوف فى الكورس اليونانى ، أى إنه يعتمد على المقطع الطّويل وهو لا يلعب دوراً فى نمو الحدث ، إلا أنه يفسر هذا الحدث ويعلق عليه ،

وفى البدء قلت إن المطلق فى هذا العمل كان يمثل الخلفية الذّهنية من عقائدية أو فلسفية إلى غير ذلك ، أما الحدث كواقع درامى متحرك فقد حمله البعدان الآخران ، أى الصّراع بين الإنسان الثائر « الإنسان فى الذّات » والإنسان فى الموضوع المقيد بالوجوه السّبعة .

وقد توزعت هذه الوجوه السّبعة على شكل أناس نائمين يخافون من اليقظة أى أن رغبتهم فى الاستمرار فى الحياة دفعت بهم إلى نوع من التّطبع على خلق زمن خاص بهم ، وكان الإنسان فى الدّاخل يرفض ذلك لأنه « الرّغبة فى التّجديد » فليس المهم عند هذا الثّائر فى الدّاخل أن يعيش حيوات الآخرين ، ولكن أن يؤكد من خلال وجوده ولادة المستقبل الذى حمله إلينا معنى وجود الابن قاتلاً لأبيه كتقاليد وعادات تحول دون التطور .



حِوَار عَبْرَ الأبْعَادِ الثَّلاثَة

حذارِ .. حذار .. فإن قتل الأب أكبر جريمة فى التّاريخ

« ديستوفسكى »

يا كلّكم

يا غيبةَ الحاضرينْ

يا أنتمُ المارون كل لحظة ببيتى المنكفئ

الأضواءِ

والحاملون ليلِى الثّقيلَ فى صمتكم المرائى

أنا .. هنا .. أموت من سنينْ

أزحف من سنينْ

خيطاً من الدّماء بين الجرح والسّكينْ

- نم أيها المجنونْ ... نريد أن ننامْ

- نم أيها اللّعين ... نريد أن ننامْ

نريد أن يعتقنا الظّلامْ

يا أيها العدل المعلق فى رقاب المائتينْ

يا أنتَ

يا ملاءة سوداء فى الأقبية العتيقهْ

اصرخ بهم :

قد كذبوا

فليس بين الزيف والحقيقهْ

إلا دمٌ جف على الأسفلت من سنينْ

جفٌ فلن يذكره الجرح ولن تعرفه السكّينْ

اصرخ بهم :

غداً إذا مرّ بنا الصّبحُ

ستلتقى السكّين والجرحُ

وبقعة الدّم التى تحملها أحذية العابرينْ

خطيئة أخرى بلا خاطئينْ

أصرخ بهم :

غداً إذا ما استيقظت زنزانة السّجينْ

إذا التقى المسجون والسّجانْ

يسقط فى عينيهما وجهانْ

الله

والشّيطان

وليس إلاّ قسوة الجدرانْ

شهادة صفراء كالبهتانْ

وليس إلاّ كوّةٌ كأن لها إنسانْ .

– نم أيها المجنونْ

– نم أيها اللعينْ

قد تعب الصّدى ، وانغلق المدى

على صراخك الحزينْ

واستيقظ السّجان فى السّجينْ

– نم أيها المجنونْ

نريد أن ننامْ

نريد أن يعتقنا الظَّلامْ .

جوقة مشتركة :

ربنا ... ربنا ... ربنا

تعلم أننا لسنا من هؤلاء ولا من هؤلاءِ

وأنّنا وجهك فى الرّجاء

وأمرك فى البقاء

فلا تأخذنَّ الرّائى بجريرة ما رأى

ولا السّامعَ بجريرة ما سمع

فبالأذن التى أعطيت سمعنا

وبالعين التى وهبت رأينا والعين لا تشبع

من النّظر

والأذن لا تمتلئ من السّمع

وبمشيئتك القائمة على الحق ..

نقول الحق .

جوقة نسائية :

باسمك ولد

وباسمك استشهد فى أزمنة الضيق

يوم أن عرفك فى الحر المطلقْ

ويوم أن عرف نفسه فى العبد الموثَقْ

رغب فيك

ورغب عنك

فكان أن ثار بك عليك ، فقُتل ،

فاستشهد

ربنا ... ربنا ... ربنا

من عرفَك فى نفسه

كبر بك عن جنتك وصغرت به جحيمك

فلا هو من جنتك

ولا هو من جحيمك

فاقبله شهيداً من أجلك .

جوقة مشتركة :

اللّهُمَّ غفرانَك

لسنا فى هذا الصّوت سواكَ

ولا فى ذاك الصّوت

سواكَ ،

لسنا إلاّ حقلٌ فى هذا الصّوت

وفى ذاك

نجتمع فى الرّغبة ،

ونموت فى الرّجاء

فإن سمعنا .. فالسّامع أنت ، وإن رأينا فإنك

أنتَ الرائى .

جوقة رجالية :

عرفوك فى المسافة فكنت الرّبَّ وكانوا العبد

فمن رغب فى حريتك جرّدك منها وقتلك ...

فليقتل بما رغب

اللّهمَّ ... الحرية حاجة

من أدرك نفسه فى عبد فيه تجاوزها فى حرٍّ فيك ،

لتكون المسافة فى الفصل كل الوعد فى ،

الوصل بين الرّب ،

وبين العبد .

جوقة نسائية :

باسم الرّب وُلد وباسمه استشهد

فكان الإنسان .

جوقة رجالية :

باسم الرّب عدلوا وباسمه قتلوا ،

فكان الإنسان .

جوقة مشتركة :

ربنا ... ربنا ... ربنا

لسنا من هؤلاء ، ولا من هؤلاء ، لا نحن من

شهدائك

ولا نحن من مجاهديك

لسنا إلاّ الحرف السّامع ، لسنا إلاّ الحرف

الرّائى .

لسنا إلاّ بعدك فى خطوة إنسانك عبر الأرض .

بعدك فى الصّحو النّائم كلّ مساءْ

بعدك فى النّزع المتسائل فى ألف رجاءْ .

....

....

القاعةُ ذات القاعهْ

بكراسيها

وبصوت مناديها

بعيون كلاب الصّيْد المغروزة فى لحم أضاحيها

نفس الياقات البيضاء

ونفس الأحذية اللماعهْ

والزّمن المتخثر فى السّاعهْ

ما زال كما ...

- صه .. لا تحك .

واللّوحة ما زالتْ ذات اللّوحة منذ العهد

التركى .

« العدل أساس الملك »

- ماذا ... ؟!

« العدل أساس الملكِ »

- صه .. لا تحك

- كذب ... كذب .... كذب .... كذب

الملك أساس العدل

ان تملك سكينا .. تملك حقك فى قتلى

- صه .. لا تحك

- ما أكذبهم ... ما ألعنهم

« العدل أساس الملك » أوشك أن أضحك لولا

أنى

أترسب فى الظّنّ

فأوشك أن أبكى

– صه .. لا تحك .. لا تحك .. لا

– اصمت ... اصمت .

....

– وصمت ... وها أنى

أسقط فى بعدى الأولْ

وجهى يغرق فى وجهى

عينى تبحث عن عينى

ها أنى

أتمزق بين اثنين

رجلٍ يصمت فى طفلٍ يسألْ .

....

– باسم الرّبِّ

باسم الشّعب

باسم القانونْ

سنحاكم هذا الوجه المتهجم كالأرض البور ،

الخائب كاللعنهْ

سنسمر فى باب القاعة كفيه

وسنحفر فى عينيه الجنهْ

- ما أكبر عدلك يارب

ما أكبر ظلمك فى القاتل باسمك يا شعبى

ما أوسع ظلى

فلأجلى بعث الوعد المدفون

ولأجلى

صاروا الرّب وصاروا الشّعب وصاروا

القانون .

ولأجلى سيكون

الكلُّ بلا ذنب

فأنا وحدى المقتول بقتل أبى

والذّنب وحيد مثلى .

....

- ما اسمك ... ؟

لم أعرف لى اسما ... لا أذكر ما اسمى

فلقد ماتت أمى

وأنا لم أولد بعد بمعنى فى اسم

ولأنى لم أحمل اسما

لم أعرف من كانت لى أما ... تلت أبى

– أقتلت أباك ... ؟!

– أقتلت أباك .. قتـ .. ؟!

– تُ أبى

– سموا القاتل محمودا أو أحمدْ

مسعوداً أو أسعدْ

سموه اسما يدنيه من الصّلب

فدم المجرم عُرْس الرّب

دم المجرم عُرس الرّب ... عرس الرّب

الرّب ... الرّب .

– ماذا قلتم وبماذا تفتون ؟

– فليعدم ... يعدم ... يعدم ... فليعدمْ

– باسم الرّب ... سيعدم

باسم الشّعب ... سيعدم

باسم القانون

– لا تغسل كفيك فلن تندمْ

فالجرم يطهره الدمْ .

لا شيء سوى الدّم ... دم ... دمْ ...

دم ... دمْ .

....

القاعة ذات القاعة منذ العهد التّركى

« العدل أساس الملك » أوشك أن أضحك لولا

أنّى

أترسب فى الظّنّ

فأوشك أن ...

أبكى .

جوقة مشتركة :

ربنا ... ربنا ... ربنا

ها أنّنا مثلك نولد فى التّكرار لنخلُد فى العاده

مثلك فى الصّيف الذّاهب والصّيف الآتْ

مثلك فى الحجر السّاقط فى الموت بلا مأساة

مثلك فى درب المحراث .

يا ربنا

أفردتنا فى البعد فرأينا الكلّ ، وأضعنا سرّك

فى الأجزاءْ

صرنا حقك فى القاتل مذ صرنا حقك فى

المقتول .

فدروب المحراث سواءْ

تجرح فى ذهابها

تجرح فى إيابها

والجرحان رجاء .

جوقة نسائية :

ساعة أن ولد فى الرّغبهْ

نسيك فى الوعد القائم فى النّار

وفى القار وفى

الرّهبه

فتيبس ثدياها

جفت شفتاه على ثدييها

سأل عنها فيهم

وتساءل عن وجه أبيه ليعرف قاتل أمه

صرخوا فى وجهه :

ما اسمك ... ما اسمك ... ؟ من لا اسم له

لا أمٌ له .

من لا اسم له نكرته أبوته

– اعطونى اسماً لأصير به حبكم فى الأرض

لأصير به وعدَ محبهْ

قالوا له : أسماؤنا صلباننا

نتعذب فيها ...

نحلم فيها ...

وسيعرفنا الرّب بها يوم الدّينونه

لن نعطيها ما لم نعرف وجهك فى القاتل

أو وجهك ،

فى المقتول

يا ربِّ ... لقد أسقطه حقدهم فى الغربه

هجرته مسافتهم ...

سحبوا أرضهم من بين خطاه

فكان أنت ،

وكنت القاتل والمقتول به .

جوقة رجالية :

ربنا ... ربنا ... ربنا ...

يا من سمعت بأُذُنِنا ...

يا من رأيت بعيننا

باركهم فى القتل ، فلولا اسمك ما قتلوا

أدنيتهم منك ، فكنت ، فى مسقط نورك فيهم

وعدَهمُ بالحق . . . فالحق . . . همُ

وكان المتنكر لك بينهم فأُدين بحقك فيهم ،

ضيقت مسافتهم

فالجزء هو الكلّ لديهم

والمجرم من لا يعرفك فى هذا الجزء

أو ذاك الجزء

فكيف بمن لم يصعد جبلاً ليبارك مسكنة

الرّوح .

ليبارك من يرثون الأرض

ليقول لهم :

طُوبَى لكم فى الجوع

وفى العطش

فى الحزن

وفى المزن السّاقط باسم الرّب

ليقول لهم :

لن يفسد ملح الأرض

ربنا . . . ربنا . . . ربنا

إن تقبله شهيداً من أجلك فى الحق ، اقبلهم

فى القتل طريقاً للحق

. . . .

بأى شىء تحلمين الآن يا مسالك الرّمادْ

أى رؤى قد صيرت عينيك أرض الله والميعادْ

فامتدتا دربين أخضرين .

وكنت

كل الأرض ،

كل الجنة السّمحاء فى الدّربين

طُوبَى لكم

ما أرحبَ السّماء بين غمضتى جفنينْ .

ما أبخس الجنة إذ نبتاعها بالدِّين

نامى إذنْ

ثرثرة الغابات لا تسأل عن أذنينْ

نامى إذنْ

فاللّيل فى مسالك الرّمادْ

يصير أرض الله والميعادْ

يصير فى عينين

دربين أخضرين

ولتصرخى ،

كما تشائين اصرخى بوجهى المرمى

تحت أرجل الجراد

بكفّى المسمّرهْ

بالجسد الموصل بين ناره وبين من يحلم خلف

المبخرهْ .

كما تشائين اصرخى :

كذبتم . . . لم يكذبوا

لم يصلبوا الحق وإن قد صلبوا

مسيحنا

فدربنا ليس زقاقاً أسود

ولا دماً على زقاق أسود .

قولى لنا :

كذبتم . . . لم يكذبوا

فالحق ليس شارعاً يلتف كالحبل على المدينهْ

ولا يداً ضنينهْ

الحق هذا السَّفْر الوضاء عبر الزَّيف

والأحلام والسّكينهْ .

قولى لنا أيتها الخدعة

إن ناموا كما ننام كى ندرك

أرض الله والميعاد .

قولى لنا :

الحق ليس الحد بين الموت والميلاد

ناموا كما ننامْ

ليرجع الدّربان بالحق الذى تبغونه ، أبيض

كالأحلامْ

فلم تزل أعينكم ملأى بما تحملِ من نعاسْ

تحمل من مآذن ولّهَى

ومن أجراسْ

تحمل من درب إلى الله بلا سجن ولا حراسْ

ناموا كما ننام

ما أرحبَ السّماء بيَن غمضتى جفنين .

– كذبتمُ . . . كذبتمُ . . . كذبتمُ

– نم أيها اللّعين

أتعبتنا . . أرهقتنا . . . قتلتنا

نم أيها اللّعين . . . نريد أن ننام

نريد أن يعتقنا الظّلام

لا توقظ السّجّان فى السّجينْ .

. . . .

– اقسم لن أنامْ

تموت عيناى ولن أنامْ

وإننى أسخر من دربين أخضرين فى

مسالك الرّماد

أنا هو الدّم الّذى جف على الأسفلت من سنين

يعرفه الجرح

ولن تنكره السّكين

أنا هو الموت الذى يجيئ كالميلاد .

جوقة نسائية :

إلهنا . . . .

يا من صيرت قيامة ذاتى ، كلمات عزائى فى

زمن الضّيق

ونداء محبه . . يوم الغضبه

ما أظلم إنسانك فى الفرد ، إذْ سواك على شكله

ليقايض مجدك ، ذاك الخالد ، بالوجه الفانى

للإنسان

كانوا ضدك ، ساعة إن ظنوا أنهمُ نعموا

بمحبتك .

ارضوا ودّك

باسمك قالوا : فليفن هذا الابن العاق

هذا الرّاغب أن يصبح صُنْوَكَ فى المجد الباق

ففنوا فيه

وتأبد فيهم

عاش الإنسان نزوعاً فى الإنسان وماتوا فى صفرة

كفيه وسكتة عينيه

وتلك إرادتك

تلك مشيئتك فى الدّرب الصّائر دربين

الأول يستر نفسه عن نفسه ويعود لأمسه

والآخر يكشف نفسه فى نفسه

والدّربان

وعدك أن يبقى ووعيدك أن يفنى

الأول يسقط فى الخارج ، لتصير الأجساد

معابد .

إن هرِمت ،

هرِمت فى الظّل نبوءتك ،

أمست حجراً

تتستر .

خلف كثافته ديدان الأرض وولائم ديدان

والثّانى

كان أنت بلا معبد

يا ربنا القائم فى الإنسان

جنبه الحقد المتربص فى النيران

جنبه وعيدك فى البغض

وفى الرّهبهْ

وفى اللّعنهْ

من يرفض وعدك بالجنّه ، يبقك فى الأرض

محبه .

جوقة رجالية :

اللّهُم . . . اسمعنا

لا عذر لهذا الإنسانْ

سدت أذناه فلم يبصرك وراء الصّلبانْ . . .

أجل يا ربّ

جحدت شفتاه عطاياك فكان الخاسر فى

النّكران

وكان . . . وكان . . . وكانْ

لا عذر لهذا الإنسانْ

فلقد شفناه

ورأينا خنجره الغائر فى قلب أبيه

وسمعنا دم ذاك المظلومْ

ينعب مثل البومْ

يسأل عنك وفيك .

يا رب

قتل الأب .

أكبر من كل خطاياهمْ ، السّبع .

يا ربّ

لا ترحمه ، فتصير الرّحمة

درباً للقاتل والمجرم والآبقِ

مأوى للسارق من بيت أبيه

إرث الإنسان إلى الإنسان

إلهنا الخالد فى الحرف الموصى بالعدل

المتصلب

كالغل ، المتعنت كالقتلِ

إلهنا الخالد فى الحرف القائل !

إن كانوا

كالصيف الذّاهب والصّيف الآتْ

كالحجر السّاقط فى الموت بلا مأساة

ماذا يبقى من أرضك إن ثار الأبناء على الآباء

ماذا يبقى من أمسك إن صار الحاضر نفياً

للأمس .

إن صار الطّهر شبيهاً بالرِّجس

وبماذا تطعم نارك يوم الدّينونه

ولماذا يحلم من يحلم بالجنّه

يا رب

إن كنت ستعفو فلماذا أوجدت الذّنبْ .

. . . .

ولأنّى لم أحمل اسما

لم أعرف من كانت لى أمّا

صيرتُ حليب الثّدى اليابس سُمّا

متُّ به يوما

عشتُ به يوماً

وكَبرت سؤالاً . . ما اسمى . . ؟

من كان أبى . . ؟

يا ناس هبونى اسما

اسماً يحملنى وعداً

رعداً .

غيما

مطراً قد يوعد بالنّعمى

سموني اسماً . . . مسعوداً أو أسعدْ

محموداً أو أحمد

اسماً يدنيني من الرّب

اسماً يدنيني من الصّلب

اسماً . . . اسماً . . . اسماً

فأنا يا ناس بلا اسم

سكين أوغل فى قلب أبى .

وطرقت الأبوابَ . . . باباً . . . بابا

ورشوت البوابا

استجديت امرأة . . طفلاً . . . شيخاً

وشبابا .

ما ردوا

لا باب ينفك ولا شباك ينسد

إن جاء مساء

أمسيت رصيفاً فى هذا الشّارعْ

تسحقنى أقدامهم

أبيض بها حيناً . . . أحيانا أسودُ

إن جاء صباح

أصبحت قمامة زبل لا تعد . . .

ورغيفا نتناً فى كفى طفل جائعْ

وبكيت هنا

وبكيت هناك

وتسكّعت هنا

وتسكّعت هناك .

أبحث عن نفسى فى عنوان ضائع

مرت آلاف الأسماء .

لوحات

ألواناً

أضواءْ

أسماء تخنقها ياقات بيضاءْ . . .

أسماءُ تعرق تحت معاطف سوداءْ

أسماء بيوتٍ

أسماء شوارع لا يحصيها عدد

مرت . . لم يسألنى أحدٌ

من أبكاك . . ؟ من أين أتيت وأى حليب

بلل فاك . . ؟ .

. . . لا أحـــد

فقمامة زبل لا تعد . .

ورصيف الشّارع لا أحد

ها أنى

أسقط فى بعدى الثّانى

عينى تبحث فى عين أبى

عن موت إنسان

ها أنى

أتمزق بين اثنين

هذا المرمى على الدّرب ، صراخَ امرأة

يستنجد بى ! .

اقتله . . اقتله . . اقتله

وأنا الغائر فى التّوبة حتى الذّنب

يا وجه أمّى المنفى بلا كِسرة خبز أو قطرة ماءْ

لمَ عدتَ

أوما أدركتَ

بأنك مت ككل الأشياءْ

وصدئت ككل الأشياءْ

فلماذا عدت إلىّ . . !

لا شىء لدىّ . . إلا جُبْنِى

وبكائى المشدود إلى أذنى

فلماذا عدت . . . لماذا عدت . . . لما . .

يا وجه أمى المنفىّ

انزع وجهك من وجهى

اقلع كفك من كفىً

يكفى ،

أن أسقط فى عينك وجها آخر منفياً

فى عرى الصّحراءْ

أفقر من عرى الصّحراءْ

أفقر من كسرة خبز أو قطرة ماءْ

فلماذا عدت إلىّ

لا شىء لدىّ

مسيِرةُ الخَطَايا السّبْع

١

ومرة ركضت خلف ظلّى

حاولتُ أن أمسكه

حاولتُ أن أصير فيه كلّى

وعندما انحنيت كانْ

منحنياً مثلى

محدقاً مثلى

فى كسرة عتيقة من وجهى الطّفل

ظلت بلا أرض ولا زمان

ظلت بلا ظلّ

٢

أحلمُ

كى أرفض أن أولد فى محرار

لأننى

أعلم أن اللّيل والنّهار

لن يسألا أين أنا

فِى الثّلج

أم فى النّار .

٣

وأمس

إذ ولدتُ فى حقيبة لامرأة مريبهْ

أدركت فى مرآتها

كل الذى أجهل من أسرارها الرّهيبهْ

أدركت أن أرضها أصغر من حقيبهْ .

٤

وعندما نفيق أو ننامْ

لا نحفر الأرض ولا نبحث فى الرّكام

عن وجهنا المطمور بين كومة العظام

ولن تقيس عمرنا

جمجمة تيبست فى قبحها الأعوام

نحن هنا

مسافة

تجهل أن تطول أو تقصر فى أرقام

إذْ ليس فى طريقها مدينهْ

تولد فى استغاثة الصّباح

أو تموت فى انحناءة الظّلام

وليس

فى سنينا أيام .

٥

ساعة أن تغمر صحو حلمنا البحارْ

ننساب فى التّيار

أشرعة

تحمل فى حنينها اللؤلؤ والمرجان والمحار ،

أو منية لصبية صغار

تمرح فى شواطئ عذراء ما مر بها إعصار .

٦

أنا امرأةْ

ولدت فى ليل شتائى طويل المدى

فكان أن سددت باب غرفتى

أغلقت شباكى على الرّياح والنّجوم والصّدى

فصار بيتى مدفأه

ونمت كى أولد كلّ لحظة فى موت .

٧

لكى نظلّ نحلُمُ

إن جاءنا مسيحكم

كنّا كما أرادنا أدعية تتمتمُ

وإن أبحتم قتله

صرنا له المسمار والنّار التى لا ترحمْ

وحسبنا من كل ما كان له

من كل ما شاء لنا

أقنعة جوفاء لا تبكى ولا تبتسمْ .



نِدَاء الخَطايا السّبع

كررت،

ألف مرة

بأننا زائفون . . . . . . زائفة أيامنا

وزائف إلهنا ،

وإن ثقب بابنا ،

ليس له مفتاحْ

وأنه

ما حبلت شمس به ولا زنت رياح

وأنه ما كانْ

إلا طريق الموت والنّسيانْ

وألف . . ألف مرة

قلت لنا : بأنه لن يكونْ

وعداً لنا فى الصّباح

وإننا . . . زائفونْ

وإننا . . . . ضائعونْ

وإننا لا أرض ، لا شمس لنا

وإننا . . . حالمونْ .

هلاّ علمت أنّنا

الشّمس التى تدفئنا

وأننا الأرض التى تحملنا

وأننا الصّبح الذى نريد أن يكون

فأطفئ قناديلك يا مجنونْ

نريد أن ننامْ

نريد أن يعتقنا الظّلامْ .

جوقة مشتركة :

ربنا . . . ربنا . . . ربنا

هلاَّ غفرت لنا ذنوبنا

فها نحن كهؤلاء وهؤلاء

نترسب فى صوتيهم ونتوه فى المسافة الضّيقه

ما بين عينيهم

شئنا أن نبصر . . . لم نبصر

شئنا أن نسمع . . . لم نسمع

فالأرض مسافات يا ربّ . . . الأرض

مسافات .

ولكل مسافهْ ،

أبعاد قد تبدأ من هذى العينْ

ولا تبدأ من تلك العينْ

والحق هو البعد المتحرك بين الأشياء

بين الإنسانْ

وظل الإنسانْ

بين الزمن المتغلغل فى الدّاخل

والزّمن المتخثر فى الخارج .

يا ربّ فمن . . . بَعُدَ عنك .   لم يركْ

يا ربّ ومن . . . قَرُبَ منك . . . لم يركْ

والقائل :

إنى ، أنا الرّب . . لم يركْ .

ربنا

ربنا . . . ربنا

هلاّ غفرت لنا . . . ذنوبنا

فأنت ،

أنت أقمت الناس حدوداً

صيرت الواحد منهم نفياً للآخر

ليكون الموت خلودك فى الأرض .

يا ربنا

فى الحبّ وفى البغض

أقبلنا شاهد عدل . . . لم يبصر شيئاً

لم يسمع شيئاً

لم يدرك إلا بعدك بين الأشياء

يصير رجاء فى قلبْ

ويصير فناء فى قلبْ

والخالد مثل الموت هو أنت

يا ربِّ .

. . . .

- إن خفتُ

تسترت بجوعى عن خوفى

وكبُرت على ضعفى

إن جعتُ

اقتتُّ بجوعى

ومددت ذراعى لجياعٍ خلفى

وكبرت على ضعفى

وإذا جفّت شفتى ، يبِست كظهيرة صيف

أوسعت لها جرحاً فى كفى
خبأت به شفتى
ونطرنا
وانتظرت أن تندى فى زمن النّزفِ
وكبُرت على ضعفى .

ومشيت دروب النّاس
لملمت خطاهم
لملمت رؤاهم
ما يسقط منهم فى رقمٍ أو حرف
فعلمت ،
بأن السّراق هم الوجه الآخر للحراسْ
وعلمت بأنى بين الناسْ
وجهان لهذا العبدِ
وذاك النّخاسْ .
وعلمتِ بأنّى فى الجبل الشّامخ حدبة كهف

فكبرت على ضعفى

ما هُنتُ

ولا شنْت

ولا كنتُ .

إلاّ الموت النّاظر فى حدٍّ السّيف

والمقتُ المترصد فى الجوع

وفى الخوف

فأعتقنى يا زمن النّزف

أنزل إبليسك عن كتفى

سأدكّ جبالهمُ

سأهد كهوفهمُ

وسأوقظ فى موتهمُ حتفى .

– صه . . لا تحك

– لا تحك

– لا تحك . . . لا

– لن أسكت . . . لن أسكت . . . لن

يا أنتَ ، الحجر السّاقط فى الموت بلا مأساة

كن موتى

كى تولدَ فى الزّمن الآت

كن جرحاً فى كفى

كن أفعى فى صوتى

كن أنت ، الله ، الإنسان بلا موتِ

. . . .

– ماذا قلتم وبماذا تفتون

– فليعدم . . يعدم . . يعدم . . فليعدم

– باسم الرّب . . . سيعدم

– باسم الشعب . . . سيعدم

باسم القانون

– أكره أن أشنق فى مفارق الطُّرق

– تشنق فى . . . ترجم فى

تحرق فى مفارق الطُّرق

ولن تكون شارة لقرية

أو مرتجى مدينة

ولن تكون ملتقى دروبنا فى منية

ولا يداً

تبحث عن دفء دماها فى يدى

هنا .

على مفارق الطّريق

غداً تصير مسرباً للريح والرّمال والغسق

وتنتهى

لا جبهة كنت ولا

دماً . . . ولا

فماً . . . ولا

إلاّ جذى ما كنت من تلك الرؤى

وذلك الملقى . . . .

– أجل وذلك الملقى هوى أضاء دربًا واحترق

– كذبت . . لا

لا شىء غير رمة للصّقر الجائع . . . لا

شىء سوى جمجمة تصفر فيها الرّيح . . . لا

شىء سواك مأتما وميتاً ملقى على مفارق الطريق .

- يا أيها النّاسْ

أيتها المآذن الولهى ويا أجراسْ

من يوقد النّار له . . . ؟

- أنا

- أنا

- أنا

- أنا

من يغرز المسمار فى كفيه من . . ؟

- أنا

- أنا

- أنا

- أنا

من يجمع الحجار كى نرجمه . . ؟

- أنا

- أنا

- أنا

- أنا

- يا أيها الناسْ

يا وجهى الآخر فى الإنسان

يا وجهى الآخر فى المسمار والنيران

متى . . . متى ؟

تدرك أن من أتى

بوجدك الحى يظلّ حيا

يبعث من مسمارك الغارز فى راحته

نبيا .

- تكذب يا مجنون

تكذب فالمسمار درب المطرقهْ

- جدّفت يا ملعون

- يا وجهى الآخر فى الإنسان

إلى متى ؟
تصير لى فى مرة سنبلهْ
ومرّة
تصير لى موتاً وحبل مشنقهْ .

جوقة مشتركة :
– ربنا . . . ربنا . . . ربنا
شاهدنا شيئاً لم نفهمه . . . ورأينا حقاً لم
ندركه .
وجه امرأة محفوراً فى جبل قرب المفرقْ
ورأينا فى عينيها نبعى ماء
قمراً
ونجوماً
وسماء
ورأينا الجسد العارى ، رغم الصّقر الجائع
والرّيح الملعونة واللّيل الدّاجى ،

رغم المسمار ورغم النّار يتحول أرضا

خضراء

وسمعنا صوتاً لم يأت من أرضك يا ربّ

لم يأت من تلك النّار الموعودة . . . يا ربّ

لم يأت من جنتكَ المرصودة . . . يا ربّ

صوت امرأة قال :

ابنى لم يشنق . . . ابنى ما مات

– من مات إذن قرب المفرق . . . يا ربنا

يا ربنا . . . يا ربنا

من مات إذن قرب المفرق . . . ؟

والمرأة

تلك المرأة من كانت . . . يا ربّ . . ؟



الديوان السادس

أغـانى الحـارس المتعب

الطبعة الأولى دار الأداب بيروت - ١٩٧٣
تصدر هذه الطبعة عن دار سعاد الصباح - القاهرة ١٩٩٣



فهرس الدّيوان السادس

القصيــــدة	الصّفحة



أغانى الحارسِ المتعب

قالوا عنه :

.. المعادلة الصعبة التى يقدمها بلند الحيدرى فى مجموعة « أغانى الحارس المتعب» والتى بحق من أنضج الاندفاعات الشعرية التى صدرت فى السنين الأخيرة بعد الهزيمة ، هو أنه لا يحدد فقط مسئولية الشاعر عن العصر ، وبلند الحيدرى يعلم قبل غيره بذلك ·· أنه كان محرما عليه أن يمارس مسئوليته هو شخصيا فى أرض وطنه العراق ، فهاجر الى بيروت ، ولكنه يطالب الشاعر فى الوقت ذاته أن يكون على استعداد لنجدة العصر ، ونجدة العصر ، أو كل ما يملكه الشاعر ، فى الوطن العربى ، هو أن يصدر مجموعة شعرية هو فيها ، فى أحسن الظروف

ذلك الشاهد على العصر ، ولكن ليس المسئول عنه أبداً ٠

معين بسيسو

٠٠ بلند الحيدرى واحد من جيل السياب والبياتى ونازك ٠٠٠ أولئك الذين صفوا شعرنا المعاصر من الكثير وهو صاحب صوت متميز ، وصاحب فن واضح الخصائص وحبه الا يكون رجعاً لصوت من هذه الأصوات العالية ٠٠٠ وإذا بحثنا عن القوة والعمق والاتساع فى تجارب هؤلاء الشعراء الثلاثة ، فإننا نجد فى شعر الحيدرى رهن الرقة والشفافية والصفاء

د٠أنس داود

. . إن ثمة من الحدثين من لا يقنع بالمادة التّاريخية الطّوعية التى يقدمها النّموذج ، فهو يلجأ إلى تشقيقه من الدّاخل بدلاً من معالجته بطريقة أنقية . . وأوضح ما نرى ذلك على وجه الخصوص فى نتاج الشّاعر العربى المعاصر بلند الحيدرى فكثير من قصائده يعكس ضروباً من الرؤى والتّوليدات النّفسية والشّعورية ، وغالباً ما يفضى ذلك إلى شطر الشّخصية الواحدة وتنويع وجوهها وتوزيع محاور للصّراع ومنطلقات النّظر فيما بينها ، حتى يغدو النّموذج

ساحة لجدل داخلى متعدد الشّخوص والأصوات .

محمد فتوح أحمد



أغانى الحارسِ المتعب

مقـدمـــة

أعرف كم أنت حزين أيها الحارس

أعرف كم أنت متعب أيها الحارس

وأن الفجر الذى تنتظر ما زال

بعيداً ٠٠٠ ولكن ،

حذار من أن تنام ، فالشّوارع

المضاءة بآلاف المصابيح ما زالت

ملأى بالجريمة والزيف والخداع

وعليك أن ترصد كلّ شىء بكثير

من الحذر ،

لك أن تغنى أغانيك الحزينه

طوال اللّيل ·· ولكنْ

إياك أن تنسى أنك مسئول

عن كل هذا العصر ، وربما سيطلب

منك النجدة .

مَنْ يدرى يا بغداد

بغدادْ

يا أنت الغصّة فى عينى مصلوب

يسأل فى الموت

الممتد على مدّ الحبل الخانع كالذّل

يسأل عن وعد فى الميلادْ ،

بغدادْ

يا بيتاً مهجورْ

يا زمناً مأجورْ

يا وجعاً مأسورْ

يا وحشة امرأة ثكلى تنحب

فى أرض بورْ

بغدادْ

قد كذبت نشرات الأخبارْ

عن نصرٍ ما كان سوى وجهينا فى الخيبة والعارْ

وأضلك عن نفسك شاهد زورْ

فى خطبة ربأن أعمى وهتاف رجالٍ عورْ ،

آه يا بغدادْ

ما أكبر كذبة ما قال به الشّعراء الدّجالون

الشّعراء الأوغادْ

فأنا لم أنس

ولن أنسى متسعاً فى صدرك

فى أجمل ما أعرف من دفءٍ وحنانٍ ،

قد نعتبُ

قد نندبُ

قد نغضبُ

قد يغترب الواحد منا فى الثّانى

قد نشعر انا منبوذانِ

فى أكثر من زمن ومكانِ ،

فى غير سؤالٍ ٠٠ فى غير عتاب ٠٠ فى غير دمٍ قانِ

يتسلل من بين شقوق دروب جفت

والتفتْ حمُّى فى نقمة كلب مسعورْ

يبحث ما بين خرائب أطلالك عنًى

عما أبقت ديدان قبورك منى

لكنا ٠٠ سنظل ٠٠ وكما كنّا

بغدادْ

إن متُّ وإن عشتُ

إن متّ وإن عشتِ فما زلتِ

خارطة فى جيبى الأيسر

تحمل عينيك العمياوين

طريقين لهذا الهارب منك

وذاك العائد محمولاً فى كفن أبيض

فى بعض جذى ورمادْ ،

بغدادْ

يا أحياء من طين كالح

من نهر مالح

من طائرة من ورق كانت فى يوم ما

تملأ كلّ سمائى ،

يا وجه فتاة سمراء تراود كل مساءٍ أرقِى

يا تعباً مرًّا فى عرقى

يا بسمة طفل

يا سطوة غلُّ

يا وجلاً أسود ‥ يا خجلا يغرق فى الوحل

ماذا لك فىّ ‥ وماذا تركت أيامك لىّ … ؟! ،

أكثر من موتك فى جرحى يا بغدادْ

أكثر من جرحك غار بعيداً فى قلبى ..

أبعد من ضحك الجلادْ

..ما أقسى موتينا يا بغدادْ ،

من يدرى يا بغدادْ

قد نولد ثانية فى حلمٍ

عن عنقاء ستبعث من بعض جذى

ورمادْ

قد نبعث ثانية فى أمل ينتظر الميعادْ ،



مُتهم ولو كُنتَ بريئاً

فى غرفة فى الطابق السّابعْ

التقيا ...

تحدثا

تصارعا .. تمانعا

ناما معا

وأسدل الستار

فى غرفة فى الطابق السّابع ،

لكننى بقيت مصلوباً لدى الجدارْ

ومثلما أردتنى

بقيت كالمسمارْ

أغور فى عينيهما

أغور فى سريهما

أغور فى الجدار

فى غرفة فى الطابق السّابع ،

سمعتها يا سيدى

تسأله عن حبه الرائعْ

عن جسد

ـ معذرة يا سيدى . .

قالت له : بأنه يحرق مثل النارْ

يحرقنى كالنّار

ومرة تحدثا عن عالم ضائع

عن نطفة فى عالم ضائع ،

لكننى

ومثلما أردتنى ··· ومثلما خلقتنى

لم أفهم الحوارْ

لأننى علوت عن حبّهما الرائع

عن جسد كالنارْ

ومثلما حذرتنى :ـ « النّاس مجرمون » ،

« الكلُّ مجرمون »

« حتى الهوى البرىء فى العيونْ » ،

ومثلما أردتنى

بقيت كالمسمارْ

أغور فى عينيهما

أغور فى سرِّيهما

أنبش فى الجدارْ

فى غرفة فى الطابق السابعْ ،

أبحث فى الهمسة و الضحكة والحوارْ

عن الموعد للثأرْ

عن غضب الثّوارْ

عن منيّةٍ تصير فى عنقيهما حبلاً

وفى كفيهما مسمارْ ،

معذرة يا سيدى

كانا بريئين بإصرار

كانا بريئين بإصرار ،

وعندما استيقظ فى مدينتى النّهارْ

تسربت فى نشرة الأخبارْ

حكاية عن غرفة فى الطابق السّابعْ

عن موعد للثأرْ

عن غضب الثّوارْ

وكان فى عنقيهما حبل وفى كفيهما

مسمارْ

دَعوة لِلْخَدَر

لتصمتِ الأجراسْ

وافقأْ بعقب حذائك الشّمسْ

وأطفئ عيون النّاس

فليس فى مدينة النّعاس

غد ولا أمسْ

ونمْ ،

يا أيها المستيقظ الوحيد كالألم

علّق على مشجبك الصدئ

ما تحمل من أتعابْ

ونمْ ،

يا أيها المنبوذ فى الندم
انزع جلود الناس
دعها لهم وليمة فى الغاب
فليس فى مدينة النعاس
غد ولا أمسْ
ولن ترى فى قطرات الدم
هابيل
أو بغيِّك العجوز أو بكارة العرسْ
فنمْ ،

العالم الكبير خلف البابْ
نامْ
لا ساعة تأرق فى عينيه ، لا أرقام
ونامت الكلاب

والليل نام

ونامت اللصوص والحراس

فنمْ

أطفئ عيون النّاس

ونمْ

ولتصمت الأجراس

لتصمت ··· ال ···

رأس

أسْ ···· ———



منها .. إليك

عد مرة ثانية لدارنا ... يا سيدى ....

عد أبيضاً كعارنا

ككذبة الصّباح فى تحية لجارنا

يا سيدى ...

عُدْ مثلنا

فإننا نريد أن نعبد فيك ظِلّنا

شموخَنا وذُلّنا

يا سيدى ...

لن نوقد الشّموع كى تعود

لن نغسل الدروب بالدموع كى تعود

ولن نحب ربك المسلول مثل الجوع ،

كى تعود ،

عد مثلما نريدْ ،

ككلّ شئ كاذب يضحك ملء دارنا

ككذبة الصّباح فى تحية لجارنا

لأننا نريد أن نعرف فى الخطيئة الإنسانْ

لأننا ،

نريد أن نعبد فيك الله والشيطان ،

يا سيدى ...

لو مرة نمت معى

دسست رجليك دماً محترقاً فى مضجعى

لو مرة عرفت يا إلهى الكسيحْ

كيف الزنا يصيرْ ؟

كيف تصير ليلة بهولها

كيف أنا أصيرْ ؟

وكيف ... كيف ، سيدى أصيرْ ؟

بجرحى الصغيرْ

بليلى المصلوب عبر مخدعى

أكبر منك يا إلهى الكسيحْ

عد مرة ثانية كوجهى القبيحْ

كجسمى القبيحْ

عدْ مثلنا

لأننا

نريد أن نعرف فى عيونك الإنسانْ

نحب فيك ذلّنا

نعبد فيك ظلّنا

لأننا

نريد أن نصير فيك الله والشيطانْ

يا سيدى ...

كن مرة إنسانْ



حلْم فِى أَرْبَع لقطاتٍ

لقطة أولى :

تفترش الشّاشة عينانْ

انفرجت شفتانْ

ابتسمت

لمعت عدة أسنانْ

ويغور اللّون الأخضر فى كلّ الألوانْ

لقطة ثانية :

رِجْلانِ تجوسان الليل بلا صوت

الظلمة توحى بالموت

تلتمع السكينْ

تتجمع فى النصل رؤى لسنين

وسنينْ

وبلا صوت

تنطبق الشّفتان

ما من أثر للقبلة فى الفمْ

لا شىء سوى قطرة دمْ

ويغور اللّون الأحمر فى كل الألوانْ ،

لقطة ثالثة :

اسم المخرج ··· أنت ··· أنا ··· همْ

اسم المنتج ··· أنت ··· أنا ··· همْ

اسم المتفرج ··· أنت ··· أنا ··· همْ

والشاشة فسحة حلمْ

والقاتل والمقتول ، أنا

لا شىء سواى أنا

معنى

يتململ فى قطرة دمْ

لقطة رابعة ـ تصوير من الخارج

سقط الفيلمْ

فرّ المخرج من باب خلفى

بصق المتفرج فى كفى

سقط الفيلمْ

أربع لقطات غرقت فى نقطة دمْ

. . . .

لكنّى وأنا المخرج

والمنتج

والمتفرج

لا أملك من كلّ الدّنيا إلا . . .

فسحة حلمْ ،

لا أملك بيتاً لحنينى ،

صدراً يؤوينى

لا أملك مأوى فى أى مكانْ

ولأنى

لا أملك مأوى

لا أعرف مقهى

ملهى

مبغى يلقانى ....

ولا امرأة فى حان ،

سأظل هنا ،

وسأنتظر الدور الثّانى،

الصالة خالية إلا من رجل نائم

هُــمْ ••• وأنَــــا

قلت لكم •• مرات •• مرات ، وأعدت مرارا

قلت لكم سيموت •• لقد •• مات •• لقد ••

ـ مُتَّ جيفارا •• مُتَّ جيفارا

ـ قل يحيا

ـ قل يحيا

ـ قل يحيا •• يحيا تروتسكى •• يحيا

مت ••• يحيا ••• مت •• يح

مت ••• يحيا ••• فارا ••• تسكى ،

لا أعرفهم

فأنا إنسان من هذا القرن المجنونْ

إنسان لا يمكن أن يحيا ويكونْ

إلا فى هذا القرن المجنونْ

قد يرفضنى القرن العشرونْ

قد يلعننى القرن العشرونْ

لكنى وجهك يا مجنونْ ،

مت ·· يحيا ·· فارا ·· تسكى

ضحك تروتسكى

رزمتُ ضحكته الخرساءْ

شحنت فى علب ملساءْ

ختمتْ

·· يحيا

·· يحيا

زارت كلّ موانى الدّنيا

صارت فى هذا الميناءْ

بيتاً

صارت فى عنف مدينتنا قديسة حبٍّ

وفداء ،

ـ يحيا تروتسكى ·· يحيا ·· يحيا

بيعت فى أقداح الويسكى

فشربنا نخب تروتسكى

وسكرنا

صرنا

أغنية ،

حانات ، قيثارا

لنغنى فى موتك ، جيفارا

ولنضحك من موتك ، جيفارا ،

انا لا اعرف ان اضحك او ابكى

إنسان مجنون

فى قرن مجنون

يبحث فى الوردة عن حقد الشوك

أنا لا أسأل لم تيبس اغصان الزيتون

ولذلك لا أعرف أن اضحك

لا أعرف أن أبكى ،

يحيا ·· مت ·· مت يحيا ·· مت

- قلت لكم سيموت ··· لقد ···

- كلا ··· كلا

- قلت لكم سيموت ··· لقد ···

- إلا ، إلا ·· جيفارا

يولد فى أعيننا نارا

جيفارا يولد ثارا

يولد جيلاً جبارا ،

وسنعبد فى البيت المحروق الموتى

وسنعبد حتى النَّار

كى نولد جيفارا .

جيفارا يضحك خلف الباب الموصدْ

جيفارا يعبدْ

جيفار يوقد فى المعبد

قنديلاً أسود

والنّاس تمرُّ صغارا

وتمرُّ كبارا

والجسد الموقد

يتململ فى ضوء القنديل ظلالاً

تلتف على الدّنيا .

يحيا . . يحيا

تبعث فى أرض أشجارا

تبعث فى أخرى نارا

تبعث حيناً رملاً وحجارا

وتصير هنا ،

فى حانة ضيعتنا قيثاراً مبحوحاً

فجراً مجروحاً

وسكارى

مت . . . يحيا

مت . . . يحيا .

تختلط الأصواتْ

اصوات الأمواتْ

أموات تبحث فى الأمواتْ

عن شىء يضحك أو يبكى

عن شىء يصبح جيفارا

فى فيلم أمريكى

عن قصة حب لتروتسكى

فى فيلم أمريكى

مت . . . يحيا . . . مت . . يحيا

قلت لكم سيموت . لقد مات . . .

- تروتسكى

- جيفارا

- كلاً . . . كلاً . .

- قرنكم العشرون . . وجهكم المجنونْ

- كلاً . . . كلاً

زرعونا فى نقمة شمس ظهيرتنا ظلاً

فبقينا فى البيت الأول والثّانى

فى الثّالث والرّابع

فى الخامس والسّادس والسّابع و . . و . .

أطفالاً مصلوبين على الجدرانْ

وجهَ الإنسان بلا إنسانْ

طُفْتُ الحىَ

أسأل عن بيت امرأة يعرفها الحىّ

كلّ الحىْ

وطرقت الأبواب ، طرقت الأبوا . .

باباً . . . بابا

وكللت سؤالاً وجوابا

ما ردّ على . . . أحدُ

ودروب اللّيل تثرثر فى الهجس

ولا تعـدُ

أتعبتكُما يا رجلىّ

وتعبت وما صار لدىّ

أكثر من دربٍ يلتف ، يثرثر فى الهجس

ولا يعـدُ

هل أبحث عن جيفارا . . ؟

كلاً . . كلاً . . . قريتنا ماتت

هل يعرفنى تروتسكى؟

كلا . . . كلا

فمدينته المهجورة فى رحلة شمسْ

هربت كلّ شوارعها من بين أصابعى

الخمسْ

هل أبحث عن مجنونْ

قال : أنا القرن العشرونْ

كلاَّ . . كلاًّ . . قال : أنا الحاضر

لا آت يحويني ولا أمسِ

زمن لا يمتدُّ

ولا يرتدُّ

ولا يغرق إلاّ فى ظلّ منسى

كلاَّ . . كلاَّ

فى وجهى شىء منهُ . . . لكنى لن أبحث عنه

كلاَّ . . فأنا غابات

أصنع من جذعى فأسى

أنا لا أسأل إلاّ عن بيت امرأة

يعرفها الحىّ ، كلُّ الحىِّ

يعرفها اللزّج المتبقى فى نفسى

أعرفها امرأة فى الحىّ

وستبقى امرأة

تَجْتَرُّ مع الصّمت ، مع الموت ، ليالى العرسْ



ثَرْثَرَة فى الشّارِع الطّويل

أمؤلمٌ أن تلبس الحذاء كل يومْ . . . ؟

– اجلْ . . اجل أكره ان أنزعه

أكره أن ألبسه

أكرهه ، لولاه ما كانت لنا

غيرُ مسافات الرؤى فى النّوم

لولاه ، لم نسألْ

ولم نرحلْ

ولم نكن لغير أمسنا البخيلْ .

تكرهه . . ؟!

– اجل . . . اجل ، ابصقها بلا وجل

لولاه ما كان لنا فى الشّارع الطّويلْ

الرّعبُ

والضّياعُ

والمدينة القتيلْ .

كيف إذن شريته . . ؟!

– شريته . . . ! يا لك من مجنونْ

من يشترى حذاءه اللّعنة ، من ؟ !

من يشترى استغاثة التّاريخ والزّمن . . ؟!

من يشترى رائحة العفن . ؟! .

كيف إذنْ . . . ؟

– ألم تبح بذلك الآلهة الجديدة الحنونْ ؟

. . . آلهة جديدة حنون كما يسميها المذيعونْ

لشدّ ما يكذبونْ .

أما سمعت صوتها الهادرَ فى المذياعْ !

لا عذر بعد اليوم للأتباعْ

لا عذر للملوك والرّعاعْ

لا عذر بعد اليوم

فكلّكم

أصغر من فيكم

أكبر من فيكم

القوم ، كل القومْ

أمسكته حذاءه الملعونْ

فقرننا العشرونْ .

ألغى مسافات الرؤى فى النوم

كلّ المسافاتْ

لا شىء غير الموت للحفاة

ولن تروا فى عتمة المرآة

الاىَ وجه عالم مقنعٍ

لا عذر بعد اليومْ

وحدى أنا الآلهة الحنونْ

وحدى أنا الوحشة والجنونْ .

لكننى . . .

– لا عذر بعد اليوم

لا أعرف الآلهة الحنون

– لا عذر بعد اليوم

لا أعرف المذياع

ولم يكن فى قريتى حذّاءْ

أو شارع مضاءْ

أو رغبة فى سفرة تبعد عن مشارف المساء

فمن أكونْ . . ؟!

ومن تكونْ . . ؟!

– لا تقتربْ . . لا تقتربْ . . يا لك من مجنونْ

ابعد عن الشّوارع المضيئهْ

فالنّور كالخطيئهْ

ابعد عن الـ . . .

أخاف أن تأسرك استغاثة التّاريخ

والزّمنْ

أخاف أن تأسرك المدنْ

أخاف أن تصير فى حذائك العفنْ

لا عذرَ بعد اليوم

. . . ولا المسافاتُ رؤى فى النّومْ .

الطَّــــرد

ولدتُ خلف البابْ

كبرت ،

خلف البابْ

وخلف هذا البابْ

كم مرةٍ صار الهوى فى جسدى

مـخالبًـا

ونابْ .

كم مرة يا دمى المسفوح للترابْ

يا أيها الحاضرُ فى الغيابْ

كنت أنا القاتلَ

والمقتولَ . . كنت الجرح والذّبابْ

كم مرة

أوصدتُ دونى البابْ

ونمتُ لا أحلمُ

لا أسأل

لا أبحث عن جوابْ .

لأننى . . .

لا تقلقى

سترجع الذّئابْ

سترجع الذّئابْ

ومرة ثانيةً

ثالثةً

رابعةً

سيولد الإنسان خلف البابْ

وإنّنا . . .

لا تقلقى . . .

نظل فى الوليمة الصّغيرة الحضورَ فى الغيابْ .

الشّاهد المَقْتول

من قتل المقاوم الأخير . . . ؟

أعرف منْ

أعرف من سملَ عينيه ومنْ ،

قطّع كفيه ومن ،

مثل يا عطوفة الأمير

بحلمه الكبير

أعرف مَنْ

فقد رعيتُ ذلك الصّغير من سنينْ

من قبل أن يولد فى الرّؤيا

وفى الحنينْ .

من قبل أن يصير كل الحبّ فى دنياهُ

كلّ الأرض فى رؤياهُ .

آهْ

من قبل أن يصيرْ

ذاك الفتى الصّغيرْ

نزفَ جراح تارةً

وتارة

تنطّر الجراح فى السّكينْ

أعرف مَنْ

أعرف يا عطوفة الأميرْ

من قتل المقاوم الأخيرْ .

أعرف مَنْ

فألفَ ، ألف ليلة أقمت عند بابهْ

سهرتُ فى عتمة أهدابهْ

وصرتُ بعض ليله المرير

وبعض ما يضوء فى اغترابهْ .

أعرف مَنْ

– من قتل المقاوم الأخيرْ . . . ؟

من قتل الـ . . . ؟

– أعرف مَنْ

– قل من هو ؟

– من هو من ؟

– لو قلت مَنْ .

لصرت يا عطوفة الأميرْ

الشّاهدَ المقتول فى المقاوم الأخيرْ

أنا وأنت أيها الأميرْ

أنا وأنت أيها الأميرْ .



بين مَسافتَيْن

الريح لن تخيفنا

إن أعولتْ

أو ولولت مزمجرهْ

واللّيل خلف بابنا المسكّرهْ

يظلّ أرضاً مقمرهْ

ما دام لى عبر دروب أمسى المبعثرهْ

مسافة تسألنى عن موعدِ

وموعد يمتد فى ألف غدِ

ما دام لى ،

فى كل عرق من يدى المسمّرهْ

حكاية لم تولدِ

ولم أزل فى عتمها المؤبد

أحلم أن أصير بعض صندلٍ

محترق

ومبخرهْ .

حِوارٌ فى المُنْعَطَف

ألم تنمْ ... يالحارسُ الحزينْ

متى تنامْ

يا أيها السّاهرُ فى مصباحنا من ألف عامْ

يا أيها المصلوب بين فتحتى كفّيه من سنينْ

ألا تنامْ . . . ؟! .

– للمرة العشرين . . أريد أن أنامْ

أسقط فى النّوم ولا أنامْ

للمرة الخمسينْ

سقطت فى النوم ولا أنامْ

فالنوم عند الحارس الحزينْ

يظل مثل حافة السكين .

أخاف أنْ أنامْ

أخاف أن أفيق فى الأحلامْ

– ليحرقوا روما . . . ليحرقوا برلين

ليسرقوا السّور من الصّينْ

عليك أن تنام . . .

آن لهذا الحارس الحزينْ

أن يتكى للحظة . . . ينامْ .

– أنامْ . . . ولم تزل تحرق كلّ لحظة برلينْ

يسرق كلّ ساعة سور من الصّينْ

يولد بين لمحة ولمحة تنّينْ

أخاف أن أنام

فالنّوم عند الحارس الحزينْ

يظل مثل حافة السّكينْ .

اعْتِرافات مِنْ عاَم ١٩٦١

لن أذهب

لن أذهبْ

ما أتعس أن أقضى كلّ حياتى فى عتمة مكتبْ

نفس الوجه المرمى على الطاولة السّوداءْ

نفس الزّمن المترهل

فى الظّل

ونفس الأوراق الملساء

نفس الحرف المتسائل عن حرف .

وعلى الحائط

ما زال اسمك يا وطنى

يوشك أن يفتح عينيه

يمد ذراعيه

يقول :

تعال إلى يا لمائت باسمى

يتدلى الألفان الكوفيان

يتدلى الموت بحرفين من السّقف

بحبلين من السّقف

من المصلوب بحبليه . . . من المصلوبُ . . ؟

أجبنى يا بخلَ ذراعيه

فلقد أرهقنى وجهى المرمى على الطّاولة

السوداء .

وتعبت من التّوقيع على كذب سيذاع صباحَ

مساء .

وكرهت شعاراتى الجوفاء

ما أتعس أن أذهبْ ،

ما أتعس أن أقضى كلّ حياتى فى عتمة

مكتبْ .

مصلوباً ما بين الألفيْن الكوفيين

وبين الحرف المتسائل عن حرف .

وكأمس

ذهبتُ

يفتح فرّاشى باب الغرفة ، يحنى قامته

العطشى

وبلهفة من عوّده الجوع على أن يحنى

قامته ،

ويذل تحيته ، حدّ الهمسِ

سيقول :

صباح الخير .

صباح الخير . . اسم مغنية . . كلاً . . اسم

قصيدهْ

كلاً . . كلاً . . اسم جريدهْ

أعرفها

أعرف صاحبها . . كان صديقى

أهدانى فى يوم ما ديوان المتنبى للبرقوقى

حدثنى عن فجر قد يأتى براقاً كالسّيفِ

وقتالاً كالسّيفِ

حدثنى عن معنى أبعد من شكل الحرف .

وأردُّ : صباح الخير

القهوةُ . . آخُـذُها فى الشرفهْ ؟

أغلق باب الغرفهْ

القهوة . . لا تنس . . مُرّهْ

وأنا أكرهها مُرّه

أكره هذا القارَ الأسود

أكره هذا الدّرب الأسود فى قعر الفنجانِ

واكره حتى الحبر الأسود . . حتى الـ . . .

. . . لا تكفر . . لن تغفر هذه الكفره .

- مرّه

- أجل مرّه

فمصاب بالسكّرى لا يأخذ قهوته إلاّ مرّه

- كيف أصبت به ومتى ؟

- لا تسألْ

وتذكرت الحى . . ومدرسة الحى . . وأستاذ الدّين

لا سين فى الدّين ولا جيم . . . أفهمتم يا طلاّب . ؟ . .

اسمعتم يا طلاّب ؟

لكنا . . لم نسمع . . لم نفهم

وكبرنا

صرنا اكبر من أن نخشى الجيم المعقوف

واكبر من أن يجرحنا سيف السلّطة فى السّينْ

ورأينا كل أصابع أطفال الحى تشير إلينا :

بوركتم يا وجه الثّورهْ

بوركتم يا وجه القرن العشرينْ .

– كيف أصبت به ومتى ؟

آه لو تعلم . . أن الثّورة فى القرن العشرينْ

لا تهدى الثّوار سوى السّكرى

والقرحة

والقهوة مُرّه

وأنا كنت من الثّوار .

وعرفت النّوم على الأسمنت البارد

مثل القرن العشرين

وعرفت السّجّانين الثّوّارْ

وعرفت المسجونين الثّوّارْ

وعرفت بأن الثّوره

قد تقلع ظفرى .

قد تولج شرطياً فى صدرى

ولمست أصابعهم فى عينى تقول :

أنت الملعون فكن طُعْماً للنّار

صرنا طُعماً للنّار .

للسكرى . . والقرحة . . والقهوه . . مرّه

والثّورةُ

صارت هذين الألفين الكوفيين

وهذا الرأس المرمى على الطاولة منذ سنين .

لم يفهم فراشى شيّا

حيًّا وكما عوّد حيّا

فى الألفين . . . الثّورهْ

حيا فى رأسى المرمى . . . الثّورهْ

أحنى قامته العطشىَ

وبلهفهْ

سدّ علىّ الباب . . على الألفين الكوفيين

على اسمك يا . . . .

وغرقنا فى صمت الغرفهْ

لكن وراء الأبواب المسدودهْ

ما زال لنا وعد بالثّورهْ

ما زال لنا من يحلم بالثّورهْ

من يدرى

قد لا يشرب قهوته . . مُرّهْ

الديوان السابع

إلى بيروت مع تحياتى

الطبعة الأولى دار السّاقى عام ١٩٨٩
تصدر هذه الطبعة عن دار سعاد الصباح - القاهرة ١٩٩٣



فهرس الدّيوان السابع



إلَى بَيْروتَ مَعَ تَحِياتِى

قالوا عنه :

إن الاحتفال بالزّمان فى شعر بلند الحيدرى وتقديمه على المكان دائماً ، أو إدماج هذا المكان فى نسيجه يخلق إيحاء متكرراً بحتمية الاختيار ومواجهة المصير ، ورغم الحصار المضروب حول إنسان هذا الوطن وقسوة ظروفه وضراوتها ..

إنه يستعير من المسرح شكلين أساسيين من أشكال الحوار وهما : الديالوج والمونولوج كى يلج من خلالهما باب التّعبير الدّرامى المرسوم بتعدّد الأصوات .

وليد منير – ١٩٨٥

فى هذا الإطار تنبت جراح الشّاعر العراقى الذى عشق بيروت مثل الذين أقاموا فيها أو استوطنوها أو ولدوا فيها .

فبلندا الحيدرى وغيره من عشرات الشّعراء والكُتّاب الذين اضطرتهم ظروفهم إلى الرحيل عنها إلى لندن أو باريس أو بقيـة أنحاء المعمورة ، يكاد يكون لسانهم متوحـداً على عبارة : بيروت امرأة من الصّعب طلاقها ...

ياسين رفاعيه – ١٩٨٥

عَلَى مَشَارِف بَيْروت

كثيرون هم الّذين عرفوا بيروت فى تلك الصّبية المتسكعة بكل عريها طوال ساعات اللّيل والنّهار فى شارع « الحمرا » وقد أخذها الزّهو بنفسها لحد العبادة كلّما كان لها أن تتأمل وجهها فى مرايا الدّكاكين الأنيقة ، وكثيرون هم الذين كانوا يقولون لها : إن بعض أهليك يموتون من الجوع على شواطئ بحرك المؤجر للسياح ، وإنهم يريدونك فى غير هذا ... إنك تتآمرين مع المتآمرين على نفسك وجمالك وأهليك .

سألوها أن تكف .. أن ترعوى .. أن تتقاسم معهم خبزهم المرّ .. وماءهم المالح كعرقهم .. سألوها أن تكبر بمحبتهم .. فبمثل ذلك يصير الوطن أماً والأم وطناً .. لكنها لم تسمع .. وفاتها أن تدرك أن الصّيادين المترفين الذين لم يبقوا على طير فى لبنان كلّه إنما كانوا يتمرنون لحفلات

صيد أخرى يكون ضحيتها كل محبيها ، وفاتها أن تدرك أن وراء رعونة سائقى السّيارات المترفة المنطلقة بسرعة جنونية جموحاً لتدميرها .. وفاتها أن تدرك أن خلف الأحذية الأنيقة والوجوه المدهونة والابتسامات الكاذبة كان يقبع كلّ المتآمرين الذين استضعفوها فوصفوها .

وذات صباح احترقت بيروت وكان لحريقها ألف اسم واسم .. قالوا إنها الحرب القذرة .. وقالوا إنها حرب الفقراء والأغنياء .. وقالوا إنها المؤامرة التى سيكون القاتل فيها هو المقتول .. وقالوا .. وقالوا .. وما زالوا يقولون الكثير وربما كانت كما قالوا وأكثر من ذلك كلّه .

وذات صباح أدركت بيروت أن محبيها هم الذين يموتون من أجلها ، وأن الجديرين بالحياة هم الذين يموتون من أجل حياتها ..

أما هؤلاء الذين حسبوا الوطن حقيبة ففروا بها .. وظنوه سلعة فاتجروا بها .. وأن أرضهم قد تحمل على كتف مسافر فسافروا بها .. فقد كانوا من بعض قاتليها .. وكان عظيم مصيبتها فيهم هو أنها خدعت بهم فأبقت عليهم ليجعلوا من موتها وليمة ينزعون فيها كل الأقنعة وتتصافح فيها أيدى القتلة .

فِي الطَرِيق إلَى بيَرْوت

مشيْنا إليك مسافة أجيال

ويوم وصلناك كنت بعيدهْ

وكان بأعيننا لا يزال اشتياق إليكِ

وكنّا

هَرِمْنَا .

فأرجلنا المتعبات تساقطن جزءاً فجزءا

وأن غبار الطّريق أضل سرانا سنينا

وأنا دمينا

وجال بنا ألف دربٍ ودربِ

وفى كلّ دربٍ نقول بحبّ ونحيا لحبّ

ويوم وصلناك كنت بعيدهْ

وكنّا هَرِمْنا .

وكنّا لبعض جموح تكابر ، شلواً تمنّى

لو أن المسافة لم تك ظنّا

وأن الهوى ليس مرمى لحىّ

وأن الهوى ليس مسعى لميْت

فيا سيدتى

إذا ما تناهى إلى صمت ليلك صوتى

وكنت

على بعض خطو لبيت تهاوى لحافةِ جرح

فذلك بيتى

فكونى إلى

فإنى تعبتُ .

وإنى سقطت فلست للّيل ولست لصبح

ومسّى جراحى علّ لنا ،

لقاء هنا

يصير بنا . . . الموطنا

فأدرك بعثى

بموتى .



ما أضْيق دَرْبك

. . ويظل طريقك بين الرّغبة والموتِ

جرساً يوغل فى الصّمت

لا أحد يطرق بابك يا بيتى

لا أحد مرِّر كفّيه على صمتى

لا أحد .

ها أنت اثنان :

وجهٌ محفورٌ فى كلّ أزقةِ لبنانِ

شباكاً فى هذا البيت

وسلالم فى بيت ثانِ

وحديثَ نساء الحى عن امرأة حُبلى

تكبر فى الظّن ولا تلدُ .

ها أنت اثنان

وجهٌ محفورٌ فى كلّ أزقة لبنانِ

والآخر تعرفه كفانِ ومسمارانِ

ونسورٌ عبرت عينى وما لقيت فى موتى

إلاّ ما يزهد فى شلو إنسانِ

يا أنت المصلوبُ هنا . . وهناك

وفى ألف مكانِ

يا جرساً يوغل فى الصّمتِ

ما أضيق دربك ما بين الرّغبة والموتِ

الشَّهِيد

خسئتمْ . . من قال : ماتْ

لا . . لم يمت

ما زال صوت خطاه يملأ كلّ عرق ،

من عروقى بالحياهْ .

خسئتمْ

ما مات حنظلةٌ ، ولا الأرض التى

جادت به تموتُ .

قد يوهن العياء بعض وهلة

جفونَه

وقد يغطى جرحهُ المدمى بعض وهلة

عيونَه

لكنَّه

يظل فى النّزف دماً يقيتُ

لا . . لم يمت

ما دام فجر موعد فى جرحه يبيت .

خسئتمْ

غداً

إذا ما زحزحت أكفنا

سكونَه

ستُدركون

ما الّذى أبقى لنا مهاجر ، صموتُ

ستدركون

ما الّذى خبأ تحت جفنه السّكوتُ

وكيف أن مسرباً فى اللّيل قد أضاءه تابوتُ

وكيف أن بعضنا يولد إذ يموت .

خسئتمْ

لا . . لم يمتْ

ها . . نحن آتون به

فهلّلى

أيتها المشارف الخضراء ، يا بيارقاً تملأ رحب

الأرض والسّماء ، يا مواكب الفداء . . ها

ها . . نحن آتون به

من آخر النّداء ، من آخر ما نملك من رجاء

فهلّلى .

لا تشعلى الشّموع إن بيته مضاءْ

لا تغسلى جراحه

فتلك كانت ساحه ، وتلك كانت

أرضه

وتلك كانت بيته المزهو بالدّماء .

لا تلمسى

جفونه

يخاف أن يوهنها العياءْ

لا تصرخى

غورى وراء صمته حكايهْ

أروع ما أبقى بها

أن تولدى فى موته

مشارفاً خضراءْ

بيارقاً تملأ رحب الأرض والسَّماءْ

أروع ما أبقى بها

إن صرت فى الموت لنا . . . الرَّجاءْ

إن صارت الموتى به . . أحياءْ .

خسئتمْ

لا . . لم يمتْ

ها . . نحن آتون به

مواكباً تسأل عن طريقها فى الموت والفداءْ .

الولِيمَــة

وعندما قالت لنا جرائد الصباحْ

بأنهم قد صلبوا اللات وأن لحمه

يوزع الآن على هياكل المدينهْ

وأنهم قد فقأوا عينيهْ

كى يوقدوا فى واحدة مصباحْ

يضيىء فى أوجهنا المنسيهْ

بقية من ضحكة دفينهْ

وكى تصير عينه الأخرى بأمر سادة المدينهْ

بحيرة نغسل فى مياهها أحذية السّياح

وتنتشى الأدعية السّخيهْ .

وعندما قالت لنا : بأنهم وأنهم وأنهم

لم نبك . . لم نضحكْ . . ولمْ . . .

قلنا لهم :

مبارك هذا الذى يضوءُ فى المصباحْ

مبارك هذا السّنى اللامع فى أحذية السّياحْ

ما أعظم اللات الذى يصير عند موته

وليمة لأمةٍ حزينهْ

ويوم أن غادرتها

كانت « سدوم » امرأة لعينه

تسقط فى كآبة خرساء

وكانت الرّياحْ

تصفّر فى الأعمدة السّوداء من جرائد الصّباح

وكان فيما كانْ

اللّيل فى المصباحْ

وكان فيما كان

بعض دمى ينزّ من أحذية السياحْ

حِوار بَيْنَ زَمَنَيْن

أمسِ

كان هو الحدُّ الآخر ما بين اثنين

التقيا فى عتمة ليلٍ

وافترقا فى صحوة شمسٍ

- هل تذكرنى ؟

- كلاّ . . . كلاّ

- بالأمس هنا عانقتك حتّى الموت

وها . . كلّ أصابعى الخمسِ

ما زالت مغروسات فى عينيك المطفأتينْ

وفى شفتيك المتهدلتينْ

وفى العنق المتهرئ مثل بقية رمس

. . . هلاً

– كلاً . . . كلاً

فالقاتل لا يولد إلاّ ظلاً فى عتمة ليلٍ

وأنا المقتول سأبقى صحوة شمس

أغرسها حبة قمح

أحملها قطرة طلّ تتغاوى فى ألق الصبح

وستشرب كل يمامات الأرض العطشى

من جرحى

وافترقا .

فى منتصف اللّيل

وعبر رنين الساعات المتعب

عبر الساحات الملأى بالقتلى

بصراخ الأطفال

بجوع رجال

بدموع نساء ثكلى

افترقا ظلّين . . ابتعدا

سمعا وقْعَ خطى تسقط بينهما حدا . . حدا

- تلك خطاى أنا . . لا . . تلك خطاك

- . . تلك خطاكْ .

أعرفها

أعرفُ هذا الحذَرَ الخائفَ كاللّص

أعرف ما أبقيت وراك

حداً يسقط ما بين اثنينْ

ظلا ممحواً فى العتمهْ

- كلاّ

بل ظلا فى أقصى صبوة عينينْ

سيبقى أفقا يرضع نجمهْ .



السَّبى

هو الزّمن الصّعب . . بيروت

شقُّى رداكِ

وطوفى بِعُرْىِ صباك

بلادى

وكل بيوت كرام بلادى

وكل الصّحارى

وكل البوادى

وقولى : اشهدوا أهل بيتى اشهدوا

فبيروت قد أكلت ثديها

وبيروت مات بنوها على صدرها

فليت الّذى سامنى كلّ هذا العذاب يموت بعقمى

وقولى : اشهدوا أهل بيتى اشهدوا

فإنى سبيت بأيدى حماتى

وإنى أخذت بجرم ابن عمى

وإنى أتيت لأعلن موتى

وأعلن أن الذى جاءنى باسمكم ، خاننى

أذلّ صبایَ

استباح حِمای .

وروّى ظماه بنزف دمى

وتاجر حتى بلحمى وعظمى

ولم يبقِ بى غير هذا المتاع المشاع لكلّ كلاب

الطّريق

لكلّ ذئاب الطّريق

وقولى : هو الزّمن الصعب . . .

أعار عدوى وجه صديقى .

غُفْرانَك .. بيروت

فى تلك اللّيلهْ

كانت بيروت بلا قلبِ

اختنقت كلّ شوارعها بالعتمة والنقمة والرّعب

كانت بيروت امرأة عرّى تتمرأى

فى عينىْ ذئب .

وكانت أبعد من مدّ ذراعىّ

وأقسى من ذنبى

فى تلك الليلة كانت بيروتْ

تولد فى تابوتْ

غفرانك بيروت

فنحن بنيك الفقراء ومن لم تمسس شفتانا عطياكِ

ولا خير أراضيكِ

ومن لم نتبلغ فيك

بغير جلود أيادينا المعروقة كالجوع

المصفرّة كالداءْ

ها نحن نموت

ومنا خضرة كفّيْك ومدّ يديك غلالا

ومنابع ماءْ

غفرانك بيروت

فنحن بنيك الفقراء ، نموت من العطش المرّ

ومن زرقة عينيك تغور بعيداً ولتروي ألفى بحر

ها نحن نموتُ

والطّاغي

والباغي

والنّاهش لحم بنيك ، المالئ دربك بالنّارِ وبالعارِ

وباللهَبِ

قدّمت لهم راسك فى صحنٍ من ذهبِ

غفرانك بيروتْ

يا موتاً أكبر من تابوتْ

أكبر من أن يُدفن أو يعفن تحت صليبِ

من خشبِ

يا موتا لا يعرف كيف يموتْ

لن يعرفَ كيف يموتْ



الهـويات العَشْر

٠٠٠٠وخرجت الليله

كانت في جيبي عشر هـويات تسمح لي

أن أخرج هـذي الليله

اسمي ٠٠ بلند بن أكرم

وأنا من عائلة معروفه

وأنا ٠٠٠ أقسم لم أقتل أحداً

لم أسرق أحداً

وبجيبي عشر هويات تشهد لي

فلماذا لا أخرج هذي الليله ؟

كان البحر بلا شطآنْ

والظُلمة كانت أكبر من عيني إنسانْ

أعمق من عيني إنسانْ

ورصيف الشارع كانْ . . .

خلواً إلا من صوتِ حذائي

طق . . .

طق . . .

طق .

أجمع ظلى فى مصباح حينا . . وأوزعه حينا

وضحكت لأنى

أدركت بأنى

أملك ظلّى

وبأنى أقدر أن أرميه ورائى

أن أغرقه فى بركة ماء وحلِ

أن أسحقه تحت حذائى

أن أخنقه طى ردائى

طق . . .

طق . . .

طق .

والظّل ورائى

الظّل ورائى . . ورائى . . ورائى

ما أكبر ظلّك إنساناً يملك عشر هويات

فى زمن . . . فى بلد لا يملك أى هويهْ

غنيتُ

صفرتُ

صرختُ

ضحكتُ . . ضحكتُ . . ضحكتُ

وأحسست بأنى أملك كل البحر وكلّ اللّيل

وكلّ الأرصفة السّوداءِ

وأنى أجبرها الآن على أن تصغى لى

أن تصبح رجعاً لندائى

أن تصبح جزءاً من صوت حذائى

طق . . .

طق . . .

طق .

ومددت يدي ·· ما زالت عشر هوياتي في جيبي

هذا اسمى

هذا رسمى

هذا ختم مدير الشرطة في بلدي

هذا توقيع وزير العدل وقد مدّ به زهو حزّ فمي

وأطاح بسن من أسناني

خدّش بعضاً من عنواني

وخشيت على ······ فبلعت لسانى

ومعى سبع هويّات أخرى

أقسم لو مرّ بها جبل أحنى قامته ولقال :

هى الكبرى

عن شعرى

عن أدبى

عن علمي

عن فني

ولأنّى أحمل عشر هويات في جيبي

غنيتُ

صفّرتُ

صرختُ

ضحكتُ .. ضحكتُ ... ضحكتُ

ما أكبر ظلك إنساناً يحمل عشر هويات في عتمة

ليل

عشر هويات في زمن ... في بلد لا يملك أي

هويهْ ،

في اليوم الثانى

كان ببابى شرطيان

سألاني من أنت ٠٠ ؟

أنا ٠٠ ؟ !

بلند بن أكرم ٠

وأنا من عائلة معروفه

وأنا لم أقتل أحداً ٠٠٠ أقسم لم أقتل أحداً

وأنا لم أسرق أحداً

وبجيبي عشر هويات تشهد لي

وبأني ٠٠٠ فلماذا ٠٠ ؟

ضحكا مني ٠٠ من كل هوياتي العشر

ورأيت يداً تومض فى عيني

تسقط ما بين الخيبة والجبن

ـ أنت مدان يا هذا ،

ـ يا هذا

ماذا فعلا باسمي ٠٠ وبرسمي وبتوقيع وزير العدل

لم أدرِ ٠٠ لم أدرِ

لكني

أدركت بأن هوياتي ما كانت إلاّ شاهد زورْ

وبأني سأنام الليلة في السّجن وباسم هوياتي العشر

وضحكتُ ... ضحكتُ ... ضحكتُ !

في زمنٍ ... في بلدٍ لا يملك أى هويهْ

سيكون مدانا من يملك أى هويه

مزقها . . مزقها يا سجانى

اسحقها . . اسحقها يا سجانى

... وسمعت خطاه ورائى

طق .. طق .. طق ،

كان البحر له .. والليل له .. وجميع الأرصفة

السّوداء

طق .. طق .. طق ،

لا ظلّ لغير الشّرطة في بلدي ،



رِسَالةٌ منْ بيْروت

حزينة نفسي

حتى الموت لهذه المذبحة

المطران كبوجي

أتقول : حزين أنت

يا أكبر من كل الحزنِ

أتقول : بأن الأسوار السّود ، وأن الأبواب المرصودهْ

امتصت ظلّك حتى مِنْ باحات السّجن ؟

وبأنك رغم الأسوار

ورغم الأغلال ورغم الأبواب المسدودهْ

لم يوهنك سوى حزنى

أتقول : بأن عذابى يرهقك الآن .. وإنى

أصبحتُ كجلاديك.. وإنى ،

صيَّرت لياليك طوالا ، معتمة كدروب الظّن ،

أتقول : بأنك لن تعرف موتك إلاّ ساعة موتى

وبأنك لن تنكر صوتك إلاّ حينةَ يذبل صوتى

وبأنك بى ،

وبأرضى .. وبشعبى .. وبحبى

تبقى أكبر من كل الموت

يا أكبر من كل الموت

لبيكَ .. أجل .. لبيكَ

فها إنى أقرب من كفيك إليك فلا تحزنْ ،

سأجيئك فجراً . . فرحاً .. ألقاً

وستبقى بعض سمائى فى عينى .. فلا تحزنْ

يا الحامل بين ملاءته الدّنيا .. كلُّ الدُّنيا

هيهات .. فمن مس بإصبعهِ طرفاً من ثوبك ،

يحيا

هيهاتْ

هيهات .. فمثلك ما ماتْ

ومثلى يبقى حيا



إِلى بَيْرُوت الحَجَر النّائى

أيتها الحبيبة التى تجيىء كآخر اللّيل

مثقلة بهموم العشاق المنبوذين إلاّ من حلم

آت قبلَ الصّبحْ

أيتها الحبيبة المستيقظة فى الألمِ كالجرحْ

أيتها الرّغبة القديمه

يا أرضَ الملحْ

ها أنا أسقط عند أسوارك

أتعلق بنواتئ أحجارك

أسقط وأقوم ··· أسقط وأقوم

ويظل الليل وراء الأسوار طويلاً

مثل حكايات عجائزنا

مثلَ مغازلِهنَ وهنّ يكررن أغاني سوداء

عن امرأة تحمل فى الحى ولا تلدُ

تكبر فى الوهم ولا تعدُ

ها أنا أسقط ·· أسقط وأقوم

ويظل اللّيل طويلاً

يتخثر فى الحجر النّاتئ جُرْحاً

يتخثر فى الجرح دما

يا ليلُ ··· إن صرتَ فما

خبّرها عن هذا المرمى وراء الأسوارْ

خبرها إن دمى ما زال على الأسوارْ ،

ـ سأجيىء إليك كآخر ليلك

مثقلة ببشائر صبحْ

يالبُرء المتململ خلف الجرحْ

سأجيىء إليك كآخر ليـ ··

ـ ليلى لا آخر لهْ

مقطوع فى الغربة من يعشق ظلّه ،

ومددنا كفينا

ـ مدّ بها أكثر

ـ مدّى بها أكثر ··· أكثر

لا ·· ما التقتا ·· ها نحن نعود لصمتينا

ـ سأجيىء إليك ·· أجيىء إليك

ـ ولكنْ لن تصلى

فأنا ممحو فى ظلى ·· ظلى لا يعرف شيئا عنّى

فلماذا تأتين ·· ولن تصلى ،

ومددنا كفيْنا

ـ مدّ بها أكثر ·· أكثر

ـ لن تصلى ···

ـ أكثر ·· أكثر

ـ لن تصلى ،

ها نحن نعود لصمتينا

نسقط فى عتمة عينينا

·· لا شىء سوى اللّيل يلملمُ ظلّى

واللّيل طويل خلف الأسوار ،

اللّيل طويل

أطولُ من بردِ شتانا

أبرد من عينِ امرأة لا تملك سراً

يا أنت اللّيل البارد خلف الأسوارْ

يا أنت الحجرُ الناتئ بين الأحجارْ ،

يا أرض الملحْ

يا حباً كالجرحْ

هل لى ·· أن أسأل ليلك أن يستر عارى ؟

هل لى أن أغسلَ فى الظّلمةِ أوزارى ؟

هل ·· لى ؟

يا بلداً من حجر

يا حجراً أقسى من وجه امرأة

لا تملك سرّا

سيجئ الصبّح

وستعبر بى مرمياً خلف الأسوارْ

ومدمياً خلف الأسوارْ

ولكن ... لن تعرفنى

لن تعرفنى ،

فأنا ممحوٌ فى ظلّى ... ظلّى لا يذكر شيئاً عنى

... لن تعرفنى ،



أغْنية الحارِس

يا موطنى

يا أيها المبارك الكبير فى العزة والجلالْ

أوصيتنى

ألاّ أنامَ فلم أنم

ومثلما علمتنى

راقبت حتّى الصّمتَ

والنّجوم

والظّلالْ

راقبت حتّى وجهى الزّاحف بين عتمة التّلالْ

لأننى

عرفت أن اللّيل لا ينام فى خنادقِ القتالْ

وإنّ كل العار

أن يستيقظ اللّيلُ

وأن تغفو على البنادق الرّجالْ

القسم

أطبق شفتيكَ ولا تخبر

أحداً

لا اليومَ ··· ولا تفضحه غدا

فلقد سجلتُ اسمى

فى قائمةِ القتلى

ونشرتُ على الأعمدة الأولى

من كل الصّحف الكبرى

رسمى ودموع أمّى الثّكلى

وحلفتُ

بأن أبقى ميتاً

ما لمْ أغسل بدمى أحزانك يا بيروت الخجلى ،



إلى خلَيلِ حاوِى

قف كالنخلة فارعه

أو قف كالطوْد الشّامخْ

واجمع فى فوهة سوداء لبركان صارخ

صوتك ..

وأعلن موتك ،

لِمَ مات .. ؟!

« لن تغاوينى الموانى النّائياتْ

بعضها طين محمى

بعضها طين مواتْ » ،

أطلقها ما بين الحاجب والحاجبْ

أو فى مرمى الصّدغ الشّاحبْ

أو فى شغف القلبِ

أو أطفئها فى العين الحبلى بأغانى الحبِّ

.... يا لواقف كالنّخلة فارعه

يا لمائت كالنّخلة فارعه

ما أروع صمتكْ

إذْ يعلن موتكْ ،

لِمَ مات .. ؟!

« خلّنى للبحر ، للريح ، لموت

ينشر الأكفان زرقا للغريق

مبحرٍ ماتت بعينيه منارات الطريق »

قل للزمن الآتى : لن تأتى

يا أنت الرابض ما بين الأوردة الزّرق

ونبض العرق ،

ودقات القلب ودقات السّاعة أنّى

دارتْ ما بين الخيبة والرّعب

وبين الموت

لن تأتى ،

فلقد أوصدت الأبواب

وكل شبابيك البيت فلن تدخل بيتى

لن تهرى بسياطك عمرى

لن تحنى ظهرى للموت

ولن توغل ليلا أبيض فى شعْرى

لن تصبح عكازا لسنى القهر

فأنا إذ أرفض موتك

أعلن موتى ،

لِمَ مات .. ؟!

« شرشت رجلاه فى البحر وبات

ساكنا

يمتصُّ ما تنضجه الأرض المواتْ

فى مطاوى جلده ينمو طفيلى النباتْ ،

ها أنك يالزمن الآتى ·· لم تأت

ها أنك أصغر

أصغر ··· أصغر حتى من موتى ،

ثمَّ رَحَلَ عنَّا

ومع قتيبة الشيخ نوری

وولید غلمیه حملنا بیروت

أماسى من شعر وموسيقى

وصور ..

وفجأة يرحل عنا قتيبة

فكانت هذه القصيدة .

كذب العرافْ

فوراء ضفاف الموت تظلّ ضفافْ

والرَّحلةُ إن شتّ بها السرّ

فأنت البحرُ

وأنت الزورق والنوتى وأنت المجدافْ

وإن وراء الصّيف الذاهب والصيف الآتْ

والصيف المتمزق من عطش فى الذّاتْ

ستظل ربيعاً لم يمسسه جفافْ

قد تأخذه سنة من نومٍ

قد يغريه سبَاتْ ،

فتنام يدُ

ويجف على حبرٍ وعدُ

ويراوغ عن لقياك غدُ

لكن .. قلْ لى

يا أنت البحرُ

وأنت الزورق والنوتى وأنت المجدافْ

هل لى

أن أسألَ : ؟

كيف تغيبنا أرض وتمد بنا شمس فى ألفى ظلّ

هل لى ؟

لا ·· لم أسأل ·

أتململ فى الحرف ولم أسأل

أتململ فى الحرف لأحرج هذا الصّمت

أخدش قاع البحر ،

ألملم مسرب كهفٍ لم يرضخ لخطى عرافْ

لألف على كفى سؤالا

يمتد كحبل سرى ما بين الألق المتفجر

فى اللّولؤ واللّيل النّائم فى الأصداف

ما بين البذرة والزّهرهْ

والصّخرة والدّرهْ

والصّورة والفكرهْ

لا ··· لم أسأل ،

أتململ فى الحرف لأحرج هذا الصّمت

لأحرج هذا الموت

فإن شئت ،

سكتُّ ··· ونمتُ

وأبقيتك ركناً فى دارى ،

رسماً مصلوباً ما بين الحائط والمسمار

اسماً

بيتاً من شعر

شفة علقت فى كأس من خمر

حزمة ضوء من فجر

أتلمس فيها دربا ما بين الذكرى والنّسيانْ

ما بين يكون ... وكانْ

أتلمسها معنًى فى صورهْ

يتوزع فوق شظايا مرآة مكسوره

هل تذكر ما كان لنا من وعد معها ؟

فى هذا المقهى

فى ذاك الملهى

فى جزرٍ تبحث عن شطآن

فى غرفٍ داكنةِ الألوان ، وفى ذاكرهْ ،

كنّا فيها رقماً حينا

حرفاً فى بعض الأحيان وميعاداً

يسألنا عن عنوانْ

كنا فى بعض من حينْ

جرحاً أصلب من حد السكّينْ ،

لا ٠٠٠ لم أسألْ

مزقت العنوان وأرقام الهاتف والسهّم

الموصل للبيت

فأنا أعرف أنك لن تأتى اللّيلة ٠٠٠ لن تأتى

وسأسهر وحدى

وأنازع وحدى

وأجفف صوتى قرب الموقد فى صمتٍ ٠٠٠

ولوحدى

فأنا أعرف أنك لن تأتى

حسبكُ أن لا موت وراء الموت

فلماذا تسأل عمن عندى ٠٠٠!٠٠٠وما عندى

ولماذا تأتى ٠٠٠؟! ،

السّاعة جازت منتصف اللّيل

والشارع خالٍ الا من ظلى

إلا من صوتٍ يجهش فى صدرى

ونوافذ جيرانى أطفأها الحزن ، وأنى

أخشى أن أوقظها

وأخاف عليهم منى ،

وأخاف على نفسى منهمْ

وأخاف إذا سألت أعينهم أى سؤالٍ

إن أبكى رغما عنى

سأعانق ظلّى

وأنام لأحلم بالرّحلة شتّ بها السّر

فأنت البحرُ

وأنت الزورق والنوتى وأنت المجداف

وإن وراء ضفاف الموت تظلّ ضفافْ ،

هل كذب العرافُ ... ؟

لا أدرى

لا أدرى ،



قراءة جديدة لصور قديمة

قف ·· قف ·· لا تعبرْ

احــذرْ

مانا فى صـحف اليومْ

إعلان باللّون الأحمرْ

خذ قرصاً ·· قرصاً للنومْ

لن أقرأ ·· لن أحذرْ

سأنام بلا قرص للنّومْ

ويشع اللون الأحمرْ

طفلٌ يقرأ ·· ناولنى قرصاً

كهل يقرأ ·· ناولنى قر ···

بنت تقرأ ... قرصاً ... قرصاً

أمى تتمنى لو تقرأ

يا أمى لن نقرأ ... لن نقرأ ... لن

سننام بلا قرصٍ للنّوْمْ

قف .. قف

ماذا فى صحف اليومْ .. ؟

الحاكم باسم البيت الأبيض يخطب فى

الكونجرسْ

عن خير للدنيا وسلامْ

تصريح يصدر من ألفى

مجلسْ

عن خير للدنيا وسلامْ

يا عتمة تاريخ يغرق فى الآلامْ

نامى بسلام

جثث الأطفال القتلى فى

كردستان

نامى بسلام فالخطُّ الأحمرْ ·· كالضّوء
الأحمرْ ·· كاللّون الأحمرْ
تتساءل عن قرص للنومْ ،

قف ·· قف
ماذا فى صحف اليومْ
الحاكم باسم البيت الأبيض يخطب فى
الكونجرس
تصريح يصدر عن ألفى
مجلسْ
بنكٌ يُفلسْ
رقص فى ساحات الإعدامْ
والدّنيا فى صحف اليومْ
تتحدث عن خير وسلامْ
عن قرص للنّومْ
للقتلى فى كردستان ·· فى

لبنانْ

فى بيت المقدسْ

فى غير مكانٍ ومكانْ ،

ويشعُّ الضَّوءُ الأحمرْ

طفل يقرأ ··· ناولنى قرصاً

كهل يقرأ : ناولنى قر ···

بنت تقرأ قرصاً ·· قرصاً

قرصاً

أمى تتمنى لو تقرأ

يا أمِّى نامى بسلام

فالدنيا ما زالت تتحدث عن خير وسلام

ـ ناولنى قرصاً لأنامْ

خذ قرصاً يا ولدى لتنامْ

يتحشرج صوت البائعْ

يتدحرج

يَرْتَجُّ الشّارع

رائع ·· شىء رائعْ ·· رائعْ

أقراص للنوم

خذ قرصاً للنّوم ،

- ناولنى قرصاً ·· لأنام ··سأنام ··

وينام الشارع

شىء رائع ··· رائع ··· رائع

اقراص للنّوم .



الا سمْ الضَّـائع فِى رَقَـم

فى عامٍ من أعوامٍ

سمتها كتبُ التَّاريخ بأعوام الخبز الأسمرْ

فى عام ليالٍ نهماتٍ كجرادٍ أصفر

وُلدت أمى

وجهى المدمى

وكبرت مع الحرب ··· وحراب الحرب

جراحا ما زالت تبحث فى لون دماها

عن حقد الخنجرْ ،

ولعقت دمى .. مراتٍ ... مراتٍ

فى ألفى دربٍ

وكبرت وصار اسمى رقماً

وعرفت حروب الأرض ·· أجل ·· كلّ الأرض

فى معنى للحب وألفى معنى للبغض

ورأيت دمى فى عينى ميْت لم يقُبر

فى خارطة شوهاء على صفحة دفترْ

وحزنتُ لها ·· ولأمّى

ولوجهى المدمى ·· هذا الملفوف كجمجمة

فى خبز أسمر

والملقى وعداً لجراد أصفر ،

يا أمّى

قد كبرتْ عينايا

وصارت دنيايا حديثاً أكبرْ

··· أكبر

من فرحة طفل

بجناح طار به فى حلم ··· أكبرْ

من وجهى المدمى فأنا ··· يا أمى

يا عتمة ظلٍّ لقتيل لم يُقبرْ

ما زلتُ ·· وكما كنتُ ·· أتململ فى رقمٍ

لا يعرف ما اسمى

فى خبزى الأسمر

فى جوع ليالٍ نهمات كجراد أصفر

وأنا ·· يا أمى

أبحث فى حرب أكبرْ

عن طفلٍ ميت مثلى

فى عين قتيل لم يُقبرْ،

فى عام من أعوام الخبز الأسمر

ولدت أمى

أجيالاً من أطفالٍ

من أغلالٍ

من ديدان تتآكل خلف قبور بلادى

وتنادى

باسمك يا ··· أمى

وباسمى

لا ·· لا للموت القادم فى حرب أكبر ،

الديوان

الثامن

أبواب إلى البيت الضيق

الطبعة الأولى دار رياض الريس بلندن ١٩٩٠
تصدر هذه الطبعة عن دار سعاد الصباح – القاهرة ١٩٩٣



فهرس الدّيوان الثامن

القصيـــــدة	الصّفحة

القصيــــدة	الصّفحة

أبْوَابٌ إلَى البَيْتِ الضَيّق

قالوا عنه :

يرصد بلند الحيدرى التّحولات ، لا عن بعدٍ كمحايد ، بل من داخلها ، وكأنه هو فيها يتغير ويتبدل ، بل وكأنه هو الذّى يتدحرج فى الأشياء والسّاعات والنّاس والمعانى .. ويتـآكل فيها .

جرىء ، هو صادق جداً ، بل ونادر الصّدق فى هذه النّاحية ... الدّملة ... القيح ... العفن ... الشّبح الأسود ... إلخ .. أجزاء من عالم يفسد ويتهرأ ، ولا بد من ذكره باسمه كما يفعل بلند ، حتى الحبّ أو ألفة اثنين « رجل وامرأة » ... كيف انتهى .. ؟

محمد على شمس الدين



فِي طَرِيقِ الهِجْرَةِ مِن بَغْدَاد

تطاردنى بغداد

تحاصرنى

فى كلّ زوايا المرآةِ

تصادرنى نفياً متهماً بالجبنِ

لأنّى

خفت على وجهىَ من عينى

فآليت على أن أفقأ عينى

أطفئَ مرآتى

كى لا أبصر وجهى الآتى

يهرب منّى

ولأنّى

قطَعتُ لسانِىَ إرباً . . إربا

سمّرت على مدّ الجدران السّود

وأسوارِ سجون الوطنِ

خرسى

ولأنّى أقسمتُ لكلّ الحرسِ

أن أصبح أجبنَ من وطنى

أجبن من أسألَ ماذا أبقوا من وطنى

أجبن من أن أسأل ماذا . . . . ؟

– قلها . . قلها

ماذا أبقوا فى وطنى

غيرَ الأجداث الحبلى بالعفنِ .

ثلاثة أبيات حذفها الرقيب .

معذرةً بغداد

إذا ما جئتك أجذمَ . . أبكمَ

أفقرَ من عرى الصّحراءِ

وأتعس من رمل الصّحراء

فلقد جردنى حراس حدود الوطن المنكر

حتى من جلدى ومن لحمى

حتى من حُـلمى فى أن لا أولدَ فى الجرح

لكى لا أكبرَ فى الخنجرْ

بتروا كلّ أصابع كفّى العشر

واحترزوا

بتروا كلّ أصابع رجلى العشر

ولم أدرِ

لِمَ أكرمنى حرّاسُ حدود الوطن الأكبرْ

قلماً مكسوراً وغلافى دفترْ . . ؟!

ثلاثة ابيات اخرى يحذفها الرّقيب

بغداد

يا أرضاً سوداء بلون الدّاء

إن جئتك ثانيةً

سدّى أبوابك دونى . . دون الصّحراءِ

وعرى الصّحراءِ

وملح الصّحراءِ

وظلى فى الوعد وفى الظّن

ظلّى نافذةً قد توجز فى يوم ما كلّ سمائى

مَا أَقْسَى بَرْد اللّيْلَة

سَيدتِى

تلك المنبوذة فى الحزن . . المنبوذةُ

فى ليلٍ عفنٍ

سيدتى

تجمع رجليها

تلتصق الرّكبةُ بالصّدر . . بدملَةٍ

كالعهنِ

وتقولُ : ما أقسى برد اللّيلة . . البردُ شديدْ .

أتراءى شبحاً أسودَ فى ظلّىّ جفنيها

وتعيدْ

ما أقسى بردَ اللّيلة . . . البردُ شديدْ

– ما رأيك فى فنجان آخرْ . . ؟

ما رأيك أن نسترجع أمسينا فى عتَمة فنجانِ

نقرأها كالأمس . . زماناً فى وعدِ

نقرأها ألقاً فى صوتِ الرّعدِ

أو نقرأها شفقاً فى شفةٍ

أو شفةٍ فى شفقٍ قانِ

مازالت تسأل عن وعدٍ ثانِ .

سيدتى توشك أن تضحكَ

سيدتى تبكى

سيدتى تسألنى :

ما رأيك أن نحلُم . . أن نكبرَ . . أن نصغرَ

أن نسخر ممّا كان لنا . . . ممّا كنّا . . ؟

سيدتى قالت : آه من وجعٍ جف بعينىّ

ومن ثلجٍ يتسلل فى زرقةِ كفّى

وجعى يوغلُ فى جسدى . . يوغل فى كفنى

قل شيئاً يُضحكنى . . شيئا قد . . .

من يدرى . . قد يخدعنى .

يا سيدتى

معذرةً فأنا لا أملك إلاّ صمتى

وأنا أعرف أنّ الصّمتَ شتاءٌ آخرْ . . برد آخرْ

يمتدّ بلا زمنِ

سيدتى تجمعُ رجليها

- لِمَ لا تدنو . . أكثرَ . . . أكثرْ . . ؟!

ولنغرق فى لون كان لنا . . أخضرَ . . أحمرَ . .

أصفرْ .

أو فلنجمع رجلينا

أو فلنقتل بعضينا . . فلندفن بعضينا

فى ظلّىْ جفنينا

ونموتْ

بسكوتْ .

البردُ . . ما أقسى بردَ اللّيلة . . البردُ شديدْ .

كانت عيناى تغورانِ بعيداً فى عينيْـها

قالت . . . وتعيدْ :

البرد شديدْ

هذا البرد القادمُ من ألف شتاءٍ فينا

هذا البردُ القاتلُ فى صمتينا

هذا البردُ . . . . . شـ . . . . د . . . يدْ .

نصبُ الحُريَّة

أعرف أن جواداً لن يرسمَ بعد اليومِ

لا قمراً ألقاً

لا سيفاً شبقاً

لا مُهراً يصهلُ فى البريهْ .

وجوادٌ إذْ لا يرسمُ

يُقسمُ

أن الرّسم كما قال الإسلامُ :

حرامُ

فى بلدٍ فقأوا عينيه فلن

يبصرَ إلاّ الجدران الحجريهْ

إلا الأحلامَ المهريهْ

عن قمر آلقٍ

عن سيف شبقٍ

عن مُهرٍ

عن عهر يتناسل فى صورٍ مرئيهْ

وجوادٌ لن ينحت بعد اليومِ

لا موعدَ ثارِ

لا صبوةَ ثُوّارِ

لا بعث امرأةٍ قُتلت غسلاً

للعارِ

وجوادٌ إذْ لا ينحتُ

إذْ لا يرسمُ

يُقسمُ أن يرجمَ نصبَ الحريهْ

يُقسمُ أن يهدمَ نصب الحريهْ

يقسمُ . . يقسمُ . .

أن لا يكذبَ بعد اليومِ .



قَطرَة دَمٍ

ثق أنّى

لن أبكِى إذْ تُعدمْ

فأنا

أعرف أنّـا ، مذ شئنا

أن نتعلمْ

كيف نصير أرضاً بوراً

بيتاً . . نافذةً

وطناً لا يكبر ، مقبرة أو سجنا

أدركنا

أنّـا قد نُقتلُ . . قد نُحرقُ

قدنُعدمْ

لكنّا لن نبكِيَ إلا ساعةَ نُنسَى

فى الأرض المهجورهْ

لا أكثر من قطرة دمْ

يبست فى الأرض البور

وما تركت

إلاّ ظلاً عن قطرة دمْ

النــافــذةُ العَمْيَاءُ

صوت أبى

يصرخ بى

يتدحرج بى . . أخطأتَ . . لقد أخطأتَ .

وأحسست به يكبر سوطاً

موتاً

مملوءاً بالنّقمة والرّعبِ

وأحسست بنفسى تصغر حد التّوبةِ

تصغر حتى كدت بأن لا أعرفَ نفسى

إلاّ فى الذّنب .

ثانية . . . ثالثة

ألفاً يصرخ بى : أخطأتَ . . لقد أخطأتَ . . لقدْ

شاغلتَ دروس العلمِ ولم تتعلمْ

أدركتكَ بالوعظ فلم تسلمْ

ونصحتكَ . . لم تصغ ولم تسمعْ

إلاّ فمكَ الأبكمْ

يا ولدى . . . يا ولدى كن حطباً لجهنمْ .

وبكيتُ

بكيتُ

بكيتُ ولم أتكلمْ

فأبى لن يسمح لى إلاّ أن أبكى

وإلاّ أن أصمت حتى الموتِ

ولا أتكلمْ .

وسمعت أمّى

ذاك العشق الصّحراوى المهـور صدًى لأبى

يصرخ بى : أخطأت . . أجل أخطأتَ

وما كنت ابنى

إلاّ فى وجه أبيكَ المسدود كبوّابة سجنٍ

إلاّ فى جبنى

يا ولدى . . يا ولدى . . احمل موتكَ

وابعد عنى .

السّاعة جازت منتصفَ اللّيلِ

والظّلمة قد سرقت ظلّى

هأنذا وحدى

وهذا الذّنب وحيدٌ مثلى . . ها إنّا نتسكع ما بين

شوارعَ مغلقه

كالغلّ .

يا أنتَ

يا من عدتَ بلا وعدِ

يا عتَمة غيمٍ لم تحلم بالغيثِ

ولا بالرّعدِ

يا أنتَ

يا من أخطأتَ وأذنبتَ وما تُبْتَ

أولم تعرفْ

أن أباك ،

قد باعكَ فى زمن الضّيم لكذّابِ

وأمك ما عادت أمكَ فى شرع الغابِ

فاحمل بعضَك فى بعضكَ وارحلْ .

فى ذرة رمل

. . . .

أو فى لمع سراب

أعرف أنّى أخطأتُ

ولأنّى أخطأتُ

سُدّت دونى كلّ الأبوابِ

فلن يعرفنى بيتُ

لن يعرفنى حىٌّ فيه ولا ميْتُ

ولستُ بأكثر من نافذةٍ عمياء وصمّاء

فى بيت لا يعرفنى

وسرير مهجورٍ

وسراج داجٍ

وبقايا أحلامٍ أقتاتُ بها

من يومٍ يمضى

وليوم قد لا يأتى

إلاّ فى الحُلمِ . . . أوْ فى الموتِ



أنا وظِـلُ امْــرأة

يسترجعنى ظل امرأةٍ

يسحبنى

وهماً مشلولاً عبر دروبٍ مقفرةٍ

اتساءل أين أنا من وجهى فيها ؟

. . . .

أنا أرفضُ نفسى فى وهمٍ

يختزلُ الأشياء وليس يعيها

أنا أرفض لونى

إن لم يعكس دكنة نفسى

أنا أرفض وجهى

ما لم يتشكل فى عتمته رمسى .



الحدود المسروقة

وطنى يا وطن الجلادينْ

يا ليل « عراق » مسكينْ

يا أنت العالق كالغُصَّةِ

فى حنجرتى

كالدَّمعة فى عينى

يا أنت القاتل والمقتولُ

وأنت الجرح وأنت السكَينْ

قل لى يا وطنى :

كيف أذنت لنخاس قذرٍ

أن يسـحبنى . . من أننى

ويطوّف بى فى كلّ المدنِ

عبداً معروضاً للبيعِ

بأبخَس ما يطرح من ثمنٍ . . ؟!

ألأنى أكبرتك فى الظّنّ

فـآليتُ على نفسى

أن لا أعرف لى وطناً

لا يكبر إلاّ ،

خارطة خجلى فى دفترْ

وحروفاً سودا تنذر بالقتلِ

وبالموتِ

ولا تعرفَ إلا أن تنبحَ فى هذا المنبرْ

أو تنعقَ فى ذاك المنبر

لتعيد علينا

خطبة دجال أعورْ

أو سطوة « حجاج » منُكرْ

الآنَ

يا وطنى المسكين

أكبرتك فى الظَّنِّ

فـآليت على نفسى

أن لا أعرف لى وطناً

يتوزع ما بين السكينِ

وبين بهائم لا تفتح عينيها

إلا لبريق السكينِ

وطنى

يا ذاكرة من رملٍ عفنِ

يا وجهَ ابنى المنفى بلا وطنِ

يا خيبة تاريخٍ

ما قام لها وعد فى زمنِ

يا زيف وريقة تين

الآنَ

أكبرتك فى الظّنّ

فـآليت على نفسى

أن لا أعرف لى وطناً

كفناً . . مشنقة وجماجم مشنوقين

آليت على نفسى

أن أعرف لى وطناً

لا سجناً . . لا امرأة ثكلى

لا شهقةَ غلٍّ

أن أعرف لى وطناً

لن يولد مذعوراً فى عينى تنينْ

الأنّى . . يا وطنى

أكبرتك فى الظّن

أغلقت نوافذ بيتى دونى

وسرقت حدوك . . كل حدودِك منّى

كى أصبح مثلك يا وطنى

عبداً معروضاً للبيع

بأبخس ما يطرح من ثمن . . ؟!

وطنى

لم لا تهرب من سجنك

كى تولد حراً فى سجنى

فى عتمة سجنى

فى عتمة عينى . . . ؟



علی هامِش رِسالَة قَدِیمَة

ما بین الذّاکرة التّعبی من ولهِ الأمسِ

وبین خطابك

جرحٌ یتـآكلُ کالرّمسِ بصدری

وحدیثٌ ینزف من نهر سرّی

قالت : أقرأتَ خطابی . . ؟

هل مرتْ شفتاك بطعم الحبرِ

وهل تعرف ما طعم الحبرِ . . ؟!

قلتُ لها : أعرفهُ

لیس سوی شفتی من یعرفهُ :

طعم الحبر الأحمر حلوٌ

کدم المقتول بأمری

لا طعمَ لحبر أخضرَ

طعم الحبر الأزرق مبتذلٌ

كسنىً العمر

طعم الحبرِ الأبيض مخفًى خلف بقايا السّطرِ

طعم الحبرِ الأسودِ لا أعرفه

إلاّ فى شِعرى

إلاّ فى الموت بسمٌ مـرّ

قالت : وخطابى ؟!

قلت لها : صـحراء ربداء

توجزها نقطة حبرِ

أو زهرة صبّارِ

لا تعلن إلاّ عن موتِ الصبّارِ

قلت لها : كان أنتِ

وكنتِ البيتَ الفارغَ حدّ جدارى

مكتوبٌ فى لافتة الدّارِ

معروضٌ للبيع ومعروض للإيجار

لكلِّ الأصحابِ

لكلِّ الأحبابِ

وحتى للأغرابِ

قالت : لِمَ لْم تعرفنى . . ؟!

لِمَ لَمْ تعرف ما طعم الحبر الأصفرِ

كالمقتِ

الأصفر كالقيح

ولِمَ لَمْ تعرف ما طعم القيح

يا أنت القيحُ النّازفُ من كل خطابى

هل تدرى ؟ .. فأنا لست خطابى

قلتُ لها : أدرى

. . . .

وغفونا فى رمسٍ يتـآكل فى صدرى

وحديثٍ ينزف من نهرٍ سرًى



إِلَى حَنْظَلَة مِنْ عَيْنِ الحلْوة

ومثلما

يبتسم القاتل إذْ يمسح عنْ

خنجره

كلّ أصبع تومئ للضحيهْ

فليس من قاضٍ لها

وليس من قضيهْ

يبتسم الوطنْ .

ساعة أن يمسحَ من ذاكرتى

كلّ الّذى يعنيه حبُّ الوطنْ

ساعة أن يمسح من تاريخه الدّامى .

دمي

فأرتمى بين يديه ميّتاً

من دونما قبرٍ ولا كفنْ

ويرتمي الوطنْ

خارطة أخرى بلا أرضٍ ولا زمنْ .

حوار ما بين الوجه والمرآة

قال الأعشى بن ضبارهْ :

النَّفسُ هى الأمّارة بالّسوء

فحاذرْها

أوْ دعْها لصغار الأسماكِ

ولكنْ

كن يا ولدى الوعدَ المتربصَ

فى شبقِ الأسماكِ

وفى صبر الصّنّارهْ .

قلت له : لكنّى

وإنّى أنا السهم المرمى

لن أدرك نفسي

إلاّ في حقد القوسِ

وإلاّ في كفٍّ شدت قبضتها

كي أولدَ ما بين التّوبةِ والجُرْمِ

ما بين اللّونِ الأسودِ في العبدِ

وما بين رؤى بيضٍ تتوهج في نومي .

قال الأعشى بن ضبارهْ :

الأرض مسافاتٌ يا ولدي

ولكل مسافات الأرض إشاراتٌ

في ألفي وعدِ

فالصّحو القادم في ألق الشّمسِ

إشارهْ

والرّغبة في النّوم

إشارهْ

والفيء المتلبس بالصّحو أو النّوم

إشارهْ

والقائم ما بين التّوبة والجرمِ

ما بين القوس وبين السّهمِ

إشارهْ

يا ولدى

كن فى حدُبةٍ . . أو فى واسطة القوسِ

لتنجو

إن كُسرتْ نجتِ النّفس

ولم ترم القوسُ

لم يكُ شىء لك فى التّوبةِ

أو شىء فى الجرمِ

لم يك إلا الموتُ

والموت طهارهْ .

قلت له : ياالاعشى بن ضبارهْ

لِمْ عَشِيَتْ عيناكَ

فلم تضبر كفاكَ من الدّنيا

غير العشب المسنونِ

الملتف على زندك معنى فى القيد

ومرمى بزبانى ملأى بالسّم

زبانى تلتم بعينيك كحرف النّونِ

المنذر باليوم الملعونِ

ياالأعشى بن ضباره

يا أنت المعلن أنك جئتَ لأجلى

وبُعثت لتنقذ زندى من سطوة غلّى

ها أنك مثلى

تولغُ كالكلب الأجربِ

فى الآسن من ظلّى

لِمَ لمْ تدرك أن سمائى أصغر

من ذرة رملٍ ؟

لِمَ لْم تعرفنى . . . ؟!

لِمَ لم تعرف أنّى

إذ أسأل عنك أموت بسمٍّ فىَّ

وسمٍّ منى . . .

وإنّى

وكما أنتَ

لسنا غير العشب المسنونِ

الملتم كحرف النّونِ

المنذر باليوم الملعونِ .

يالأعشى بن ضبارهْ

أتعبنى الضّجرُ

فأعتقنى لأنامَ

وإن دقّ على بابى فجرٌ

فاطرده . . اطردهُ

فما عاد لمثلى قوتٌ فى سمكٍ

أصغرَ من لوعة صناره



رَحـلُوا

بالأمس مررتُ بها ،

أتعبتُ يدىَّ بدقِّ البابِ

وكان البوّابُ المشلولُ ،

الصّامتُ ، دون جوابِ

كلٌّ جوابى :

رحلوا

حملوا فى علبة كبريتٍ أرضَــهمُ

وارتحلوا

لم يبق لهم أثرٌ أو ظلٌّ .

يا أنتَ

ترى لِمَ لا تبحثُ عن نفسكَ

فى ظلّ لا يلتف

بعكس الشّمس

فى يومٍ يأتيكَ بلا أمسٍ

فى رقم ما دلّ إلى بابٍ

فى أرض قفراء

وأفقرَ من أن يغزوها المحْلُ . . . ؟

يا أنتَ

لِمَ لا تبحث عن نفسِكَ

فى ظلٍّ لا يرتحلُ . . ؟

مَرْثِيَةٌ قَبْلَ الأوان

عكازان

واثنان يدبّان على الدّربِ

المقفر إلاّ . . .

ظلّيْنِ ... وإلا

من هذين الاثنينِ

وذبالةِ ضوءٍ تتحشرج فى دكنة

عينينِ .

قالت : أتعبنى الدّربُ وها أنّى

أتسلّلُ حافية ما بين خيوط الكفنِ

وأُلملمُ ما أبقت أيامى

من زمنى . . .

– كلاً . . . كلاً

– ها أنِّى أتـآكل ما بين الدّرب وما بينى

وجهى لا يذكر شيئاً عن وجهى

جفّت ساقايا

بردت عينايا

واحدودب ظهرى من ثقل بقايايا .

– كلاً . . . كلاً

ما زلتِ كما كنتِ

بل أجمل ألفاً مما كنتِ .

ألقت نظارتها عنها ، وأدارت عينيها

فى عينيه

غارت فيه

فى العين المبتلة بالموتِ

– وأنتَ كما أنتَ

بل أروع مِمّا كنتَ

فكأنّا ما عشنا عمرينا

إلا خارج كلّ سنى الأرضِ

وكل الأزمانِ

فلم نهرم . . لا أنتَ

– ولا أنت ، ولم يخفت دفء يدينا

والتفت كفّان بكفينِ

فالكذبةُ ما زالت أكبر من كلِّ الموت .

وانشقَّ الدّربُ لدربينِ

– أأقول : وداعاً

كيف سأرجع وحدى . . . ؟!

قف . . . لا تبعد . . لا تبـ . . . لا .

عكازان

شمسٌ تغرق فى عتمة بحرٍ قانِ

وامرأة تبحث عن ظلّ

وبقية ظلٍّ لامرأة يحملها عكازان

وبكت فى صمتِ

وكان الصّمتُ كبيراً كالموتِ

هل كنت صديقى ؟

أنتمُ

يا من شتّت بكم الأرضُ

شتّ بكم حبّ كالبغضِ

وبغضُ

كيف سألقاكم . . ؟ .

لا أدرى

كيف أمدّ إليكم سرّى . . ؟

لا أدرى

فمسافةُ أجيالٍ سقطتْ

ما بين الشّمس

وما بين النّور الغارقِ فى الوحلِ

ما بين الحق وظل الحق . . وظلّى

ما بين التّهمة والغلّ

ما بين الحرف المتشبث بالصّدقِ

وبين الحرف المتـآكل فى الذّلّ

ما بين سرابٍ يحلم بالبحرِ

وبحرٍ أصغر من ذرّة رملِ

ما بين الظّلمة والفجرِ

من كفٍّ بتُرتْ

من عين بقُرتْ

من جثة مصلوب ما قُبرتْ

من جبنٍ . . . من كذبٍ

من عهرٍ .

لكنّى . . وأنا فى أرذل ما أملكُ من عُمرى

أخشى أن يدركَ عينى الغمضُ

وأنا منفىٌّ لاتعرفُنى أرضُ

منفىٌّ إلا من صمتٍ مرٍّ

إلاّ من وحشة ميْتٍ يبحث عن قبرِ

كيف أمدّ إليكم سرّى ؟!

يا أنت

يا من كنتَ صديقى

هل كنتَ صديقى . . . ؟!

لا أدرى .

وانْصَرَفَت

فى عتمة ليلٍ طرقت امرأةٌ

بابى

فانفتحت عن غرفهْ .

تتحرّك ما بين الباب وما بعد البابِ

كفٌّ أدركها البرد فجفتْ

عينٌ ذبلتْ

ذكرى لِلَيالٍ فأتتْ

لامرأة ماتت .

وبلهفهْ

تسألنى عن حلم كان لنا

عن شيءٍ فى حلم كان لها

فأجيب :

ليس وراء الباب سوى باب أخرى

لسؤال من دون جوابْ .

سكتت

وكما لو نامتْ فى عينى ذيب

صارت من بعض دهان البابْ

باهتةً كدهان البابْ

صارت دنياها أبرد من كفيها

صارت من بعض جفاف يديها .

وانصرفت

وعلى كتفيها بابْ

وسؤال من دون جوابْ .

المَدِينَةُ التِى أهْلَكَهَا الصّمْت

بغدادُ تلك المسبيةُ . . تلك المنسيةُ

ما بين الجثّة والمسمارْ .

بغدادُ ما حاصرها جند الفرس

ولا أغوتها فرسٌ

ما راودها إعصارٌ أو نالت منها نارْ .

بغداد ماتت من جرحٍ فيها

من خرسٍ أعمى شلّ لسانَ بنيها

تلك المسبيةُ ما كانت وطنا

ما كانت إلاّ سجنا

يلتفُّ بجدرانٍ سوداءَ وأسوارْ

ما كانت ليلاً لنقول وراء اللّيل نهارْ

بغدادُ تلك المسبيةُ . . تلك المنسيةُ

أهلكها الصّمتُ .

فما عادت إلاّ صحراء لا يسكنها إلاّ الموتُ

ولا تعرفها غير الأحجارْ

كادت أن تصبح فى يومٍ ما . . فى زمن ما

شيئاً فى سرٍّ

ليست أكثر من سرٍّ يتململ فى هدأةِ غرفهْ

كادت أن تصبح وعداً فى عينين

وعهداً فى أقلامٍ زرقٍ

كدنا أن نحيا فيها حلماً

وزوارقَ من ورقٍ يحملها التّيارُ فتنسابُ

خفافاً لا تسألُ عن مرسى

يلجمها فى ضفهْ

وتمنينا أن تصبح برقاً يفصح عن لهفهْ

. . . ولكنْ . . . .

- اصغ . . . اصغ

وأصغيتُ ، وأرهفتُ السّمعَ ولكنّى

لم أسمع شيئاً

- اصغ . . . اصغِ .

وضحكتُ . . هذا صوت القطّة فى بيت الجارْ

ذاك . . . حفيف لوريقات الأشجارْ

لا تأبهْ لهما . . لا شىء سوى صوت القطه

لا شىء سوى صوت حفيف الأشجارْ

وتدق يدٌ باباً أربعَ دقاتْ

ويدقُّ القلبُ من الرّهبة آلافَ الدّقاتْ

– اصغ . . أولَـمْ تسمعْ ، أولَـمْ تلمح شيئا . . . ؟!

إنّى ألمح ظلا يتربصُ خلف الشّباكِ

وأوشك أن أتلمسَ فى عتمة عيـ . . . نيه . . أجلْ

فى عتمة عينيه . . أجل . . وجهى الباكى

فغداً سَيُعَـدُّ التّقريرُ

يُعد التبريرُ لقتلك فينا ، وبنا ، يا بغداد

وعلينا الإقرارُ ، فنحن الجثةُ والمسمارْ

وأنت المنسية ما بين الجثّة والمسمارْ

– كنتم سهرانين إلى وجه الصّبح

– كنا سهرانين إلى وجه الصّبح . . . ولكنّا

– ماذا يعنى ذلك . . . ؟ ماذا يوحى . . ؟

كان على الكرسى المخلوع الضلعين

وفوق الطّاولة السّوداءِ

وقرب الفانوس المرتجف الأضواءِ

أوراقٌ بيضاءُ وأخرى صفراءُ بلون القيح

وكان هناك كتابٌ مفتوحْ

كالسّر المفضوحْ

وبقايا قلمين

ماذا يعنى أنك تقرأ . . أنك تكتبُ

أنك تسهرُ حتّى الصبّح

ماذا يعنى ذلك . . ؟ . . . ماذا يوحى . . ؟!

وسنعدم فى ساحة بغداد

وعلى صدريْنا لافتةٌ أكبر من بغداد

(اعلم . . كى لا تُعـدَمْ . . . . اعلمْ . . . كى تَسْلَمْ

ممنوع أن تقرأ . . . أن تكتبْ

أن تحكىَ . . . أن تبكىَ . . . أن تسألَ حتى

ما معنى بغداد .

ما معنى أنك إنسانٌ أو حيوانٌ

أو أنك أكثر من حجر منسى فى بغداد

ممنوع أن تصبح أكثر من ساقين لعاهرة

أو كفين لقوّاد .

بغداد ماتت من جرح فينا . . من جرح فيها

من خرس أعمى شلَّ لسان بنيها

بغداد أهلكها الصّمتُ

فليس لنا فيها . . وليس لها فينا . . إلاّ الموت

وإلاّ الجثّة والمسمارْ .

سِتُّ نِقَاطٍ وَصَمْتٍ

أَستجمع نفسى

وأُلمع أسنانى

وأُنظّف كلّ أصابعى الخمسِ

من درن الأمسِ

وأقول : اضحك

كى أصبحَ أكبر من يأسى

أكبر من وعدٍ لا يكبرُ إلاّ

فى رمسٍ لا يملك ظلاً .

●

اللّيلة كانت أبواب الجنّة

مفتوحهْ

لكن الجنَّة ما كانت إلاَّ جنَّة مقتولٍ

وأنا

كنت جروحهْ

● ●

وطنى يا خارطةً من كذبٍ

عذبٍ

من حلمٍ يرتاد مجاهل ذهنٍ وهنٍ

ويلوح طريقاً وخطى لقصيدهْ

كم كنَّا نتمنى

لو كانت أكثر من عهنٍ

ما صار لنا منها

غير وسادٍ لامرأة موْءودهْ .

● ● ●

آه من وطنٍ كان صديقى

كان الوعدَ المتربصَ فى الرعدِ

وآه من رعدِ

مَرَّ وما بَرَّ بوعْدِ

فى غيث أو أفشى سراً لبريقِ

●



البَحْثُ عَنْ الزَّمَن المَجْهُولِ

أعرف أنّ القاتلَ إذْ يستنجدُ

بالمقتولْ

يوسع فى ذاكرة الدّنيا

خبراً عن زمنٍ مجهولْ

عن زمنٍ يتمنى القاتلُ

لو كان هو المقتول

أعرفُ أنّ البيت الخاوى

إلاّ من جسدٍ ذاوى

وشظايا مرآة سوداء

وبعض خُطًى تنضحُ بالدّمْ

أعرف أن البيت الخاوى

والجسدَ الذّاوى

وشظايا المرآة وبعضَ خُطايا

ستظل لساناً يبحث عن فمْ

أعرف أن الدّربَ الموصلَ ما بين القلبِ

وبين العينِ

مسدودٌ بالخدعةِ والجبنِ

وبالذّنبِ

فيا بنى :

لا تسأل عمّا أعنى

إن سكتت شفتايا ، وإن نطقت شفتايا

فلقد علمنى

زمنى

أن لا أفصحَ عمّا أعنى

إلاّ بالظّنّ .

لكن فاجأنى الحاكم فى المحكمة الكبرى

إذْ قالَ :

بأن الظن هو الإثمُ

فجردنى حتى من خدعة ظنّى

حتى من كذبى الحالمِ فى عتَمةِ قلبى

فى عتمة عينى

فلماذا لا تنكرنى

أنتَ . . . يا من كنتَ ابنى . . . ؟! .

أعرف كى لا أعرفْ

أن السّجن وساحات الإعدامِ

ومنافى الغربةِ والآلامِ

وحقائبى المرمية فى أرصفةِ الأعوامِ

هى البيتُ

أجلْ . . . كلُّ البيتِ

وأن الحىّ هو الميْتُ

وأن الصّمتَ . . .

الصمـ . . .

مت . . . . هـو الصّوتُ

القائلُ . . . والصّارخ : إنى أعرفْ .

كيف سأبرأ من صوتى

من صمتى

من موتى ؟ . . لا أدرى . . . لا أعرفْ .

لكنِّى

أعرف أنى

قد أولد مرات فى زمنٍ مجهولْ

فى زمن يتمنى القاتلُ

لو كان هو المقتولْ .

مَاذَا سيَقولُ الفوّالُ .. ؟

. . . وككلِ عشيات الأيامِ الأخرى

يلجُ المقهى

ذات المقهى المعتادْ

وبخشية من يعرف كلّ وشايات الأضواءِ

وكلّ نوايا الصيّادْ

ينتبذ الكرسىَّ المرمىَّ إلى أقصى عتَمةِ مقهاه

ليأخذ قهوته المُرَّهْ

تتدلى ساقاهُ على مدّ سنين كثقوب الغربالْ

مدّ سنين ما صانت معنى لسؤالْ

يتهدّل جفناهُ قليلا فقليلاً وينامْ

ليراودَ حلْماً آخر عن بيتٍ كان لهُ

عن شباك

عن حبٍّ كان لهُ . . . فى يومٍ ما

فى أرضٍ ما . . فى فىء من ميعادْ

ما أبهى عبثَ الأحلامْ

ما أروعَ أن يُدفن فى حُلمٍ سرهْ

أن يرجع من حلمٍ عمرَهْ

أن يُدرك أن له فى بحر ما . . . قطرهْ

أن لا يشرب قهوته مرّهْ

ها هو ذا عصفورٌ أزرقْ

ينقرُ حافة شبّاكى فأمدّ له بشباكى

ضمّ جناحيه المبلولين وقالْ :

لَمِ لا تطفئُ هذا القمرَ الخائب مثل ثقوبِ

الغربالْ

هذا القمرَ الشاحبَ كالبُهتانْ

افقأ عينيه بخنجرِك الظمآن لنبحرَ عبر سمواتٍ

لم تدركْها شطآنْ .

عصفورٌ أزرقْ

قال :

وسنبحر . . نبحرُ . . . نبحرُ حتى نغرقْ

كنْ صاريةً لأكون أنا الزورقْ

. . . . ماذا سيقولُ الفوّالْ

عن عصفور أزرق . . عن صاريةٍ . . . عن زورقْ

ماذا سيقول . . ؟

ما أقسى أن لا تملك من كل عشيات الأيامْ

إلاّ كرسياً منبوذاً فى مقهى

إلاّ عبثَ الأحلامْ

يُجهشُ فى صمتٍ . . . وينامْ

ليراودَ حلماً آخر . . . ما أقسى عبثَ الأحلامْ



وأَصيلَةُ إذا تَحْيا ٠٠ نَحْيا

أيها الشّاعر الكبير . . يا شاعر أفريقيا الكبير . .

قبل قرابة عامين كنت هنا ، فى « أصيلة » وما دار فى خلدى يومذاك أننى سأزورها ولن تكون معى فيها ، وأن صديقنا محمد بن عيسى سيفرد ساعات الصباح ليحدثنا عنك ٠٠ ثم يسكت ويبكى ٠٠ ثم يجفف صوته ليعلن عن قرار « منتدى أصيلة » بمنح جائزة كل عامين باسمك ، اسم « تشكايا أوتامسى » لشاعر أفريقى ٠

وأمس هنا فى« أصيلة » كنا نحتفل بمنح جائزتك لصديقك اللّدود الشّاعر الأفريقى الكبير « إدوارد مونيك » ونصفق لكما طويلاً ، وكان معنا كلّ أصدقائك ومحبيك ومريديك ٠٠ وكلّ مثقفى « أصيلة » التى دخلتها قبل ما نيف على عشر سنوات وأنت تمتطى حماراً كواحد من أبسط أبنائها ٠

١٢ـ ٨ ـ ١٩٩١

لوَّحَ لى بيديه ··· ومضى

ولمحت دموعاً بيضاً تومض فى دكنة عينيهِ

ولكنّى لم أدرك معناها ،

ويغور بعيداً فى العتمة··أبعد من أقصى أمداها

ومضى

وأصيحُ ·· أصيحُ ·· تَرُدُّ الرّيحُ

تشكايا

ما زالت فى مقهانا السّاهر حد البحر زوايا

تسألنا عن وعدٍ آخر

عن باقة شعرٍ

عن قصصٍ وحكايا

عن بيتٍ فى غابات الكونغو

وعن نهرٍ يتثاءب فى صمت رؤاها

تسألنا أن لا ننسى موعدنا القادم

فى الصيف القادمْ،

تسألنا عن غربتنا اليقظى فى الزّمن النّائم

عن ألمٍ أسود نحياهُ

ونأبى أن نغرق فى لجة مرماهُ

تسألنا أن لا ننسى ضحكتنا

أن لا ننسى حلماً كان لنا ،

وتشدُّ على كفيكَ السوْداويْن يدايا

ونقول : سنرجعُ ·· لا بد وأن نرجعَ

ولنسمعَ وقع خطانا الجذلى

فى المقهى السّاهر حدّ البحرِ

لكن تشكايا لوّح لى بيديه ·· ومضى ،

وأصيحُ ·· أصيحُ ·· تردُّ الرّيحُ

تشكايا

لا تمضِ

يا من أحييت بوهجك كلّ الأرضِ

لا تمضِ

فأصيلة قد كبرت ·· صارت أجمل من كل صبايا

الدّنيا

وأصيلة إذْ تحيا ·· نحيا

صارت تفهم سرّ الدّمعة والضّحكة فى عينيك

وصارت تعرف من قطع كلّ أصابعى العشر

ومن ألقى فى النّهر الحلاج

ومن داس رؤُايا ،

صارت تكتب شعراً ·· ترسمُ

تعرف كيف تغنّى ·· ولمن ستغنًى

حفظت كل حكايات الإنس

وكل حكايات الجن

وصارت شيئاً منك وشيئاً منّى

وصارت تعرف أن العم تشكايا من بعض صباها

تؤمن أن تشكايا لن ينساها

لكنْ تشكايا

لوّح لى ولها ومضى فى العتمة حتّى أقصى

أمداها ،

هل مات تشكايا ٠٠؟!

أتململ فى ألف سؤال عن معنى الموت

أتململ فى الحرف لأحرج صمتك

لألملم مسرب كهف لم يرضخْ لخُطَى عرّافْ

لألف على كفى سؤالاً

يمتد كحبل سرِّىٍّ ما بين الألق المتفجر ،

فى اللؤلؤ

واللّيل النّائم فى الأصدافْ

ما بين البذرة والزّهرة

والصخرة والدرّة

والصهورة والفكرة

لا ٠٠ لم أسأل

أتململ فى الحرف لأحرج هذا الصّمت

لأحرج هذا الموت

فأنا أعرف ،

وأصيلة تعرف ‥ أنك ما متّ

وستأتى فى هذا الصيف ‥ وبألفىْ طيف

وستأتى فى الصيف القادم ‥ لا بد وأن تأتى

وكما كنت كبيراً

وكما أنت ‥كبير ‥ أكبر من كلّ الموتِ

هل مات تشكايا ‥ ؟! ،

لوّح لى بيديه وقال : سآتى

فأصيلة بيتى

وستبقى بيتى

وأصيلة إذْ تحيا ‥ نحيا

وأصيلة لن تبحث عنى فى عينى ميْتِ

مَدِينَـةٌ فِى البـالِ

لكلّ مدينة وجهانْ

وجه تتعامل به مع التّجار ·· والباعة الصّغار

ومسابح الكهانْ

ووجه ينتظر أن يعبد نفسه فى الإنسان الذى تجىء

باسمه للتاريخ

إلاّ المدينة المقاتلهْ

إلا المدينة التى ترفض أن تكبر فى الزّيف

والمخاتلهْ

وتلك ·· هى أنت

ذلك لأن الإنسان الذى فيك لا يبدأ بمتجره لينتهى به

لأن الإنسان الذى فيك لا يبحث فى مسبحة الكاهنِ

عن أرضٍ خلف الأرض

الإنسان الذى فيك متعنتْ كالرّفض ،

لكلّ مدينة وجهانْ

إلا ٠٠ أنت ٠٠ أيتها المترصّدة فى هذه الزّاوية

والمنتظرة فى كمينْ ٠٠

عند ذلك المنعطف المشحون بحقد السكّينْ

المدن ٠٠ ذات الوجهين ،

هى مدن التّاريخ

هى المدن التى سئمنا شوارعها المغسولة بزيف التّجارْ

وأيدى الباعة الصّغارْ

والمغلولة مثل مسابح الكهانْ

وتلك هى ليست أنت ،

فلقد ثرت على التّاريخ ٠ وصرت الأكبر من تاريخك

أنت الّتى لا تعرفين أن تتنفسى بغير حبّك

الغريب والقاسى ، لنفسك

دون أن تسقطى فى العبادة المألوفة
إنك الرفض الذى يؤكد الحياهْ
والحدودُ التى تلعن الحدودْ
أنت ·· يا هاجساً فى الرّغبة فى الحياهْ
لحد الموت من أجل الحياهْ ،
يا مدينتنا ذات الوجه الواحدْ
ما أكثر الغزاة الذين سقطوا تحت أسواركْ
وما أكبر المعارك ·· التى دارت عند أسواركْ
ثم سقط الفاتحونْ ·· وفرّ المهزومونْ
ودار الأسرى برحى الطّاحونْ ،

هياكلك تحدّت كلّ الأباطرةِ
وكلّ الغزاهْ
لأنك ·· أيتها المدينة ذاتْ الوجه الواحدِ
عرفت فى رفض الظّلم ميلادك بأكثر من معنى
للحريهْ

هكذا كنتِ ·· هكذا ستكونين ·· وهكذا ستبقين

هاجساً فينا ،

وسيُولد عبر صمودكِ وقتلاكِ وضحاياكِ

إنسانُكِ المتألهُ بمحبتك

يا مدينتنا ذات الوجه الواحدِ

إن كان ثمة ما يعيد إلينا وجهنا ،

فذلك هو أن نعرفك

فى وجهك الواحدِ

هذا الحد الأخير المتبقى لنا

بَعِيداً فى الزمنِ الضائعِ

أيتها الأرض المنفيةُ فى عتمة ذاكرة عمياءْ

أيتها الأرصفةُ السودُ المبتلةُ بالدّمْ

أيتها الأطراف الصّماءْ

ياوهجاً أعمى وأصمّ

يا حُبّاً مشقوق الفم ،

يا وهناً

يتسكع بى زمناً

زمناً ذا كفٍّ جذماءْ

زمناً لا أرض له إلاّ عتمة ذاكرة عمياءْ

إلاّ

أرصفة سوداءْ

ويدين لطفلٍ جائعْ ،

يا أنت ٠٠ أبى ٠٠ يا أنت الرّجلُ الضّائعْ

يا أنت المنفى بلا زمنِ

كن زمنى

يا طفلى

يا وجهى فى الخيبة والذلّ

ما أتعسنى فى الوعدِ المنفى بلا زمنِ

ما أتعسنى زمناً

أصغر من كفىّ طفل جائعْ

أصغر من حلم فى عينى رجل ضائعْ

أصغر من عطش يتبرد فى الظلّ ،

اغتِيـــال

تترصّدني

وتطارد خطوى من ظِلٍّ يغرق

في الوحلِ ،

لظل يتلاشى فى ألفى ظلّ

وتقول : ستقتلنى ،

تترصدنى

حتى فى رعشة كفِّى وفى غمضة جفنى

حتى فى حنجرتى الخرساء

تقوم كبوابة سجنٍ،

تترصدنى

من زمن أعلن عبر لسانٍ مقطوع

كلّ براءته منّى

وإلى زمن يسترجع بى ،

خشية عبدٍ قنٍ أو زهوك

فى وجه أقبح من وثنٍ

وتقول ستقتلنى ،

تترصدنى

حتى فى حلم يوشك أن يهرب بى من جبْنى

وتقول وتقسم أن تقتلنى

عيناك تغوران بعيداً ، ولحدً الصّمتِ

الآسن فى عتمة عينى

ما أقسى فوهتىْ بركانك يا وطنى !

ما أقسى هذا الوهج الأسود !

فى عينك يا وطنى ،

يا أنت المترصد لى

من خلف شفاعة خنجرك المسمومْ ،

اقتلنى

اقتلنى

اقتلنى

ولكن قل لى :

ما جدوى نصرٍ فى زمنٍ مهزومْ

ما جدوى أن تقتل إنساناً مقتولا

يا وطنى ... ؟!

الديوان التاسع

آخر الدرب

الطبعة الأولى دار سعاد الصباح - القاهرة ١٩٩٣



فهرس الدّيوان التـاسع

القصيـــدة	الصّفحة

عودة الضّحية

« يا قوم . . ما لى ولسعيد بن جبير ، كلّما

عزمت على النّوم أخذ بخناقى – الحجاج » .

فى أرضٍ ما اتسعتْ

إلاّ . .

لصدى صوت الحاكم باسم الشّيطان

يصيح : . . . بأن لا

لا شىء سوى ظلّى . . لن أبقى شيئا

إلاّ ظلّى

وبريق السّيف المسلولْ

ودماً مطلولْ ،

وصدى صوتى : ثق أنى

سأعلق رأسك فى باب القلعهْ

وسأقلعُ عينيكَ

أقصُّ يديكَ

ولن أسمحَ أن تُسكب من أجلكَ دمعهْ

وسأبقى اللّيلَ الجاثم فى كل دروب الضّيعهْ

– لكنّى يا حجاج

وكما تعرفنى

سأظل بصيصا يَتَفَيَّؤُ وعداً فى ضوء الشّمعهْ

قد يصبحُ شمسا

قمراً

نهراً

فجراً يبزغ من عينى مشنوقٍ فى باب القلعهْ

فأنا أعرف أن القاتل

إذْ يستنجدُ بالمقتولْ

يُوسع فى ذاكراه الدّنيا

خبرا عن زمنٍ مجهولْ

زمنٍ يتمنى القاتل لو كان هو المقتولْ

- يا جلاد . . اقتلهُ . . اقتلهُ . . اقتلهُ

انثرْ لحم سعيد بن جبيرْ

فى كلّ دروب الضّيعهْ

لذئاب الضّيعهْ

لكلاب الضّيعهْ

فأنا وحدى الموقظُ فى موتك مجدى

وأنا وحدى

سأضيىء دروبَ الحى

بعينىْ جلادٍ أو سجّانْ

سأمد بأرضى من عتمة ألفَىْ قبرٍ

ولألف مكانْ

وأنا وحدى الخارج من معنى

فى زمن محكومٍ بزمانِ

وسألتفُّ عليك طحالب صفراً كالبهتانْ

وساقطع كلّ لسان يسألُ عن ابن جبيرٍ

فى خطب الجمعهْ

- لكنّى يا حجاج

وكما تعرفنى . . . سأظل هنا . . وهناك

وفى ألف مكانْ

وعدا . . . رعدا . . غيما

مطراً تخضرُ به النُّعمى

وسأوقظُ فى موتك حتفى

وسيكبر تاريخ من جرح فى كفى

من زمن مجهولْ

يَا أرْضَ الأمْواتِ .. ألَا .. مُوتِى

يا أرض الأمواتِ

يا رعبَ فلاةٍ لم تعرف غير

جماجم قتلانا

وسيول دمانا

تمتد . . . وتمتدُّ

ومن رعب فلاة جرداء لرعب فلاةٍ

صفراء . . . ومن ماضٍ سينوح على الآتى

يا أرض الأمواتِ

ألَا . . . موتى

غورى فى اليأس لحد القبرِ

المتيبس فى ظلمة ذاتى

حد الصّبر المملوءِ برائحة العفنِ

حد الجزع المتوحّد بى وبصمتى

وبمد ذراعى تصيحان . . . ابتلعى

يا أرض الأمواتِ . . . ابتلعى

أمواتك . . . موتانا . . ميتاً . . ميتا

صيرى

غورى

اقتلعى بعضكِ من بعضى

لا تدعى

للفجر القادم أن يعرف من أنتِ

ومن كنتِ

أن يعرف فى جدبكِ غير الصّبارِ

وشوك الصبّار

وغير رمادٍ ملعونٍ كالنّارِ

وملعونٍ كالعارِ

يا أرض الأمواتِ . . . اقتلعى

غدَكِ العائد من خيبة أحلام كالرِّمهْ

صيرى العتمهْ

فى جوف محاجرنا المحفورة فى أرضكِ

فى بغضك

فى حبّ لا يكبر إلاّ فى القتلِ

وفى الحقد وفى النِّقمهْ

يا أرض الأمواتِ . . . ألاَ مُوتِى

أيتها الهجرهْ

ياريحاً جفت فوق الأشرعة القذرهْ

يا مزقاً تتآكل فى شفةٍ مره

غورى

ابتلعى . ... اقتلعى

من جزعى

من فزعى

غفلة أجيالٍ ما زالت ترحل كالجثّهْ

تطفو كالجثة

فى بحر آسن

فى بحر عميت عيناه فلم يبصرْ

غيركِ وعداً

لا يسأل أن يولد فى زمنِ

يا أرض الأموات . . ألا موتى

لنصيرَ بموتكِ كلّ الموتِ

موتَ الموتِ

حسبك أن لا موتَ وراء الموتِ

فموتى

لِكَيْ لا نَنْسَى

« فى السّابع عشر من شهر آذار ١٩٨٨ قصف النّظام العراقى مدينة «حلبجة» فى كردستان العراق بالقنابل الكيمياوية وراح ضحيتها آلاف القتلى » .

ما زلتُ وإن غبشت ذاكرتى
ما زالتُ وإن أطفأها الهِرَمُ
ما زلتُ وإن جفَّ على طرفى عينى قذى ودمُ
ما زلت أراود بيتاً كان لنا
كان يمد ذراعيه على وهج فى فجر
سيجيىء به وعد . . أو حلمُ
كان لبيتى شباكان صغيرانْ
أذكر أنهما كانا أصغرَ من عينى إنسانْ

أصغر من أن تعلق فى الخشب المتهرئ

شمْشٌ أو تكبر أكوانْ

باحة بيتى كانت لا تعدو فُرجة

راحة طفل

إنى سرت تعثرتُ بظلّى

ولقد علّمنى ابنى

أن حدود الدّنيا فى بيتى دون مكانْ

علّمنى أن أعرف نفسى فى قطرة طلّ

علّمنى أن لبيتى درباً يمتدُّ لألفى بستانْ

أن لبيتى باباً

يتهدج عبر سؤال وسؤالْ

وطوال ليالٍ وليالْ

ويقول تعال إلىّ

يا أنتَ الآتى من أى مكانٍ كانْ

ومن أى زمانْ

علمنى أن أترك باب الدّار مشرعةً

فادخلها يا أنتَ الآتى من أى مكانٍ وزمانْ

ادخلها بسلامٍ وأمانْ

ولكمْ كان البيت صغيراً

كان صغيراً كالقلبِ

وكان كبيراً كالقلبِ

غنياً بالدّفء وبالحبِّ

أذكر أنّا . . كنّا

وكشباكى بيتى . . وكباب البيتِ

ننام بعين ملأى بالأحلامِ الخضرِ

على سفحٍ من جبلٍ فى كردستان

أمسِ

وإذ كانت كلُّ عيون صغارِكَ يا بيتى

يا بلدى

تسبحُ فى ألق الشّمس

وتطل ندى من كلّ زهيرات النّرجسِ

والوردِ

هبّت ريحٌ مسمومهْ

نفّثتها عينا بومهْ

لتسممَ كل صغارك يا بيتى . . يا بلدى

قتلتْ فيمن قتلتْ . . ولدى

سرقتْ فيما سرقتْ . . ظلّى

الدّرب لبيتى أمسى مقبرةً تمتد لألفى مقبرةِ

فى كردستانْ

لا شىء سوى الموت وظلّ الموتِ

ما من نرجسة تحلمُ أن تكبر فى بستانْ

ما ترك الأوغادْ

إلاّ القتلى ورمادَ القتلى وسوادَ دخانْ

لكن غدى الآتى

وحساب الأمواتِ

ودماء القتلى ستطارد وجه الشّيطانْ

من هذى المرآة لتلك المرآة

من ألف زمانٍ ولألف زمانْ

وسيلتف الحبل على عنق الجلادْ

وستلعن أمسك كردستانْ

وستبرأ من رجسكَ بغدادْ

وسترجع للأرض الحلوة كل بساتين

النَّرجس والأورادْ

وسيولد ثانيةً ولدى فى كلّ الأولادْ



غَداً إِذا ما انْفَجَرَت

يقالُ : إن بيتنا كئيبُ

وكلّ ما فى بيتنا

وكلّ من فى بيتنا . . . غريبُ

حتى صدى أصواتنا . . . غريبْ

حتى النّجوم لملمت بريقها وهاجرت

بعيدة عن أرضنا

حتى السّماء انكفأت فليس فى فسحتها

لحالم دروبْ

حتى رؤى صغارنا قد صدئت

فليس فى قلوبهم قلوبْ

وقيل إن ضحكة نسيتها

عند سرير طفلتى

قد هَرِمتْ .

والتهمت نقاءها الذُّنوبْ

وقيل إنّ النّاس فى مدينتى

قد جفّ فى أعينها اللّهيبْ .

يقالُ ،

ما أتعسَ ما يقالُ

فبيتنا كئيبُ

تنعب فى وحشته الأطلالُ

ودربنا

قد هجرت سمرته الأطفالُ

وإن صمت أهلنا مريبْ .

يقال ،

ما أتعس ما يقال ،

أَنْ ليس فى مدينتى رجالُ .

لكننى أعرف يا مدينتى الصّغيرهْ
يا عرق الرّجال فى الظّهيرهْ
يا كسرة الخبز المدماة على حصيرهْ
أعرف أنّ طفلتى لمّا تزلْ
تحوك فى أحلامها ضفيرهْ
لمنيةٍ كبيرة . . . كبيرهْ

أعرف يا مدينتى
أعرف أن شمسنا لمّا تزل
تنتظر الفجر وراء عينك الضّريرهْ
أعرف يا مدينتى
كم من جراحٍ ثرة . . . مريرهْ
تنزف تحت الأجنح الكسيرهْ .

لكنّنى

أعرف يا مدينتى

ماذا وراء بيتنا الكئيبْ

ماذا وراء صمته الرّهيبْ

أى غد يكمن فى منعطف الدّروبْ

وإننى أعرف يا مدينتى

أعرف أنّ أعين الرِّجال فى مدينتى

لا ترقدُ

وأن ملء صمتهم

مناجما تتقدُ

غدا إذا ما انفجرت

سينحنى لها الغدُ

اعْـتِـــــذَار

« صاح ليونيتوس وقد أخذته شهوة التّمتع برؤية جثث القتلى ،

صاح وهو يفتح عينيه بأصابعه : هلمى أيتها العيون النّاعسه

وتمتعى بهذا المنظر الشّهى » .

معذرةً

ضيوفنا الأسيادْ

معذرةً يا أنتم الآتونَ من أقاصى البلادْ

قد كذب المذيعُ فى نشرتهِ الأخيرهْ

فليس فى بغدادْ

بحرٌ

ولا درٌّ . . . ولا جزيرهْ

وكلّ ما قال به السّندبادْ

عن ملكات الجانْ

عن جزر الياقوت والمرجانْ

عن أنهر تحمل فى أحلامها

موانئاً

مرافئاً

خرافةٌ من نسج قيض الصّيف

فى مدينتى الصّغيره

كان لنا فيها

البحر والأصداف واللآلئ البيضاءُ

حتى البعثَ والميلادْ .

معذرة

فليس فى بغدادَ غير سورها القديمِ

غير صمتها الدّميمِ .

غير غربةَ النّجوم فى . . . .

صمت لياليها

وما بقى لحالمٍ فيها

من جنة فارغة . . . ضريرهْ

من كذبة المذيع فى نشرته الأخيرهْ

ودودة تحلم أن تعيش فى عيوننا المقبورهْ .

فنحن ياالآتونَ من أقاصى البلادْ

ونحن يا ضيوفنا الأسيادْ

نكْذب كى نولدَ من جديدْ

نكْذب كى تظل فى تاريخنا المديدْ

حكاية نلوكها فى كتبٍ صفراءَ عن . .

عن مجدنا التّليدْ

عن مجدنا المجيدْ .

خرافة قال بها السّندبادْ

كان لنا فيها

البحر والأصداف واللآلئ البيضاءُ

والموت الّذى يجيىء كالميلادْ .

معذرةً

معذرة يا أنتم الآتون من أقاصى البلادْ

معذرة ضيوفنا الأسيادْ

فليس فى بغداد

بحرٌ ولا درٌّ ولا جزيرهْ

وليس غير ظلنا ما يحجب الشّمسَ

عن المدينة الصّغيرهْ

وليس غير ذلّنا الغارق فى السّواد

فى كذبة كبيرهْ

كالبحر . . كالدّر وكالبعث وكالميلادْ

فى كذبةٍ كبيرةٍ كان اسمها بغدادْ .

لَوْ عُـدتَّ لِى

لو عدت لى ثانية . . يا صباحْ

لو عدت لى

ألفيْتنى أحمل كلّ أذرعى وأوجهى

أشرعة

مُشْرعه

تنتظر الرِّياحْ

تنتظر الإبحار

لشاطئٍ لا لؤلؤ فيه ولا محار

لا شىءَ غير الجوع

غير الجوع والدّموع والأعصارْ

لشاطئ غاب وراء غيمةٍ سوداءْ

مثل القارْ

ما انفرجت عن مطرٍ ولا وشت بموسم **الأ**مطار

لا شىء غير أرجل الرّجالْ

تغور حتّى الموت فى الأوحالْ

تغور خلف اللّيل والنّهارْ

كأنها

تريد أن تنبت من عروقها

الجذور والأغصان والثّمارْ .

تريد أن

تضوء ملء موعد فى أعين الصّغارْ

أسطورة

عن أرجلٍ تنبت فى الأوحالْ

فى شاطئٍ لا لؤلؤ فيه ولا محارْ

لا شىء غير الجوع والدّموع والأعصار

وأرجل الرّجال

لو عدت يا صباحْ

ألفيتنى الزورق والشراع والرياح

والبحارْ

ألفيتنى أضوء ألفَ موعد فى أعين الصغار

كأننى

الجذور والأغصان والثّمارْ



مَعَ الصَمْتِ المَقْرُورِ

لا أحدٌ فى الدّار سوايا

تكْ . . تكْ . . تكْ

صوتُ السّاعة ، ذات الصّوتِ المكرورِ

لا أحدٌ فى الدّار سوايا

وغيرُ عواءِ الكلب المسعورِ

وراء جدار الدّارِ

وغير الصّمت المقرورِ .

تكْ . . تكْ . . تكْ

لا . . لن أرجعَ للسّاعةِ

ميليها المكسورين

ولماذا . . . ؟!

لا آملُ فى بحرٍ

يحملنى أبعدَ من مدّ رؤايا

لا وعدٌ فى ضوءٍ لمنارٍ

لن أرجع . . لا . . لن أرجع للسّاعةِ

ميليها المكسورينِ

ولماذا أسأل عن زمن لا يعْنينى

لى زمنى

هذا المتوحدُ مثلى فى خيبة ظنّى

هذا المتوزعُ ما بين عواءِ الكلب المسعورِ

وما بينى .

تكْ . . تكْ . . تكْ

ذات الصّوتِ المكرورِ

لا . . لن أرجعَ

للسّاعة ميليها المكسورينِ

ما أروعَ أن نحيا فى زمن ميِّت !

ما أروعَ أن أسرق موتىَ من موتى !



وَحْشَةٌ

يا أنت الرّاحلُ عن أقصى مدنِ

الذّاكرةِ الهَرِمهْ

يا أنت الخارج من نتن الرِمّهْ

ماذا أبقيت لها . . ؟

– لا شىء سوى عينيها وبقيةِ

أحلامٍ تغرقُ فى الثّلج

وتأرق فى العتمهْ

ماذا أبقيت لك . . . يا أنت الرّاحل عنها

– لا شىء سوى زمنٍ أدرك وهمهْ

لَمَّ أنين ثوانيه وولّى

من يدرى ؟

من يدرى . . قد يلقى

وعداً بالدّفء . . هنا . . . فى هذى النّجمه

أو تلك النّجمهْ

أأعُودُ .. لِمَنْ .. ؟

ماذا أبقيتَ لأهلك

يا أبرهة الأشرمْ . . ؟!

غيرَ ظلال عمياء

تجوسُ زوايا الحى المهجورهْ

وغير ليالٍ سودٍ تتـآكلُ

ما بين الوحل وبين الدّمْ

يا أبرهة الأشرمْ

ماذا أورثنا دمنا المطلول

على مدّ الأيام لعام الفيلْ

أكثرَ من وجهكَ محفوراً

فى عينى امرأة ثكلى ودماءِ قتيلْ .

يا أبرهة الأشرمْ

ها أنِّى إذ أهجر أرضكَ

أسترجعُ عبر خطى تتناثرُ فى الغربهِ

أرضى

ها أنِّى إذ أحمل رجلىّ

بكفىّ

وأهربُ من بعضٍ فىَّ إلى بعضى

أتلمس فى زمن آخر

عمراً لن يعرف وجهك فى الجرمِ

ولا فى البغضِ

ولا فى كل حروف السّين الممتدّه

فى السّيف وفى السّكين وفى السّهمِ

ولا فى جرح غار بعيداً . . حتّى العظم

العظم المتهرئ المعلن

عن موتى

عن خنجرك المتلبس بالجرمِ

قرب شهادة قبر هَرِمِ .

أتقول : تعود غداً . . ؟!

أأعود لمن . . . ؟! . . ألبيتى . . ؟!

ألجثة طفلٍ ميتٍ . . ؟!

ألكومة أحجارٍ مُسخت أطلالا

تجهش فى الصّمتِ . . ؟!

ألطفلهْ . . ؟!

بالأمس هنا . . أدركتُ بها الدّنيا

يقظةَ فلّهْ

ردّة خصلهْ

دمعة امرأةٍ ما زالت تحلمُ

أن تبقى عالقة فى ضحكة طفلهْ .

يا أبرهة الأشرمْ

يا خرساً فى شفتىْ شعبٍ أبكمْ

يا جُرْحاً يلهث فى صمتى

أأعود لأبحثَ عن بنتى

عن بيتى

فى كومة أحجارٍ . . . ؟!

فى غمرةِ نارٍ ودخانٍ ، لن أعرف وجهى فيها

إلا فيكَ . . وإلاّ فى عارى .

اتركنى يا أبرهة الأشرمْ

ها أنّى . . أحملُ رجلى بكفىّ

وأرحل عبر بحارٍ . . وبحارٍ .

عبر سماءٍ

لن أسأل فيها من أين يجيىء نهارى ؟

أأعود لبيتى ؟

ألطفلِ ميْت . . ؟!

أعود لأبحث عن بقُيا خُـدعة

أحلام فى فلهْ

عن ضـحكة امرأة ثكلى فى عينى طفلهْ ... ؟

كلاً . . كلاً

يا أبرهة الأشرمْ

متْ فىَ لأحيا

متْ فى لكى أصبح أكبر من موتى

أكبرَ

من بعض خطـىً تتـآكلُ ما بين الوحل

وبين الدّمْ

وخطايا أبرهة الأشرمْ



مِنْ وَراءِ البابِ المُوصَدَةِ

الغرفة مظلمة . . كما تعرفها

فى بلد مأسورْ

فى زمن مهجورْ

وكما أعرفها نافذة مغلقةً

ذكرى تبحث عن باب موصدةٍ

عن شفتى جرحٍ أطبقتا ما بين

العتمة

واللّون الأحمر فى سكين القاتل

حينا .

فى دم مقتول أحياناً

والشاشةُ ، هذا الوطن المأسورْ

هذا البلد المهجور

ما أروعها حلماً يستنزف عبر

خطانا

ودمانا

شيئاً كان لنا . . . شيئاً يسأل عنّا

. . . فينا

لكنّا

يا وطنى . . يا أنت القاتلُ . . يا

أنت المقتول

من أى غد سنراجع ماضينا

من أى مدى فى نافذةٍ مغلقةٍ

فى باب موصودة

سنحاول أن نعرف وجهاً لك فى آتينا

والقاتل أنت . . والمقتول هنا

وهناك . . دمٌ يثأر منّا . . . فينا .

البَحْــثُ عَـنْ صُـبْــحِ

ذات صباح من تشرين

غنيتَ لنا أغنية .

كان الصّبح حزينْ

كان الصّوت حزينْ

بغداد . . وتلوى صوتك فى

شاطئِ

نهر مسكينْ

بغدادْ .

يا حسكاً من سمك ينشر

جرحيه على حدى سكينْ

بغداد . . ويلم غناءك صمتُ

ويغور بنا فى جرح غنائك

موتُ

ونقول لعلّ لنا : عَبْر الصَمتِ

وعبْر الموتِ

وعبْر القتلى الآتين إلينا

فجراً يبحث عن ميعادْ

فى زمن ما . . فى أرضٍ ما . . .

فى حلمٍ عن بغدادْ .

لِمَ لَمْ يَعْتَذِرُوا . . ؟!

زَينتُ الدّارا

أعددت سنادين الورد ورتّبت الأزهارا

الحمر على مقربة من أزهار بيض

الزرق بجانب حمر

وقلت سأنتظر

كلُّ الأشياء تعد لميعاد . . فلماذا لا أنتظر . . ؟!

الليل طويلْ . .

والصّبر على اللّيل طويلْ

والشّمعة حبْلَى بضياءٍ لن يخفت قبل الفجر .

اليوم اجتزت السّتينْ

بثلاث سنينْ

فلماذا لا أنتظر

ورفاق طريقى كُثر . .

منتصف اللّيل يدق الواحدة . . الثّانية . . الثّالثة

ما من أحد

الرّابعة . . الخامسة

ما من أحد

هل شتّ بهم وعدٌ عن وعدى . .

هل نسى الكلّ بأنى اجتزت السّتين

بثلاث سنين . . . ؟!

وبأن الموعد

قد لا يصبح مرمى فى وعد . . ؟

الشّمعة تجمع آخر ما أبقى منها الزّمن النّزر

ما أبقى من ظل سدٌّ جدارا

من ظلّ للم فى جنحيه النّارا

وظلال أخرى باهتة

وسؤال يلتف على شفتى

ويغور بعيداً فى الصّمت

لِمَ لَمْ يعتذروا . . ؟!

لِمَ لَمْ يعتذروا . . ؟!

منضدة صماءْ

رأس مرمىٌ فوق المنضدة الصّماءْ

ما من أحد

إلاّ دقات السّاعة تجتاز حدود الوعد

وإلاّ الرّأس المرمى . . .

وإلاّ الشّمعة تتآكل من دون رجاءْ .

أدنى كفيه لعينيه وأغفى

فى صمت مُرّ

فى ليلٍ قد لا يسأل عن معنى الفجرْ .



بَيْنَ علامَتَيْن

بغدادْ

كيف يكون لمثلك ان تأوى

شاهد زورٍ

ضدك فى شعراء وقصائدَ

مثل أيادى الأوغاد . . ؟ . . !

كيف يكون لمثلكِ أن تكبر

فى ظلمة كهف

فى عينى زمن أعمى

فى كفىْ جلاَدْ . . ؟ . . !

بغدادْ

كيف يكون لمثلك أن تصمت

أن لا تسأل أين أنا من حلمٍ

طاف به الشّهداء على كلِّ قراكِ

ومروا عبر رؤاك ذبالة شمسٍ

ما زالتْ تنتظر الفجر وراء الجرح

المقروح .

وراء العفن القابع فى الزادْ

إن لا تسأل . . أن تصمت . . أن . . أن . . ؟ . . !

كيف رضيت بهذا الخرس المدمى ؟

كيف رضيت بأن لا يسأل أبناؤك

عن كل محبيكَ القتلى من أجلك

عن كلّ المنفيين لأجلك فى غير بلادٍ وبلادْ ؟

عن كلّ الأرصفة الحُبْلى بخطاهم ودماهم

والملأى بالقسم المستيقظ حارس درب

لن يغفو ما لَم يدُرك وعدك فى ساعة

ميلادْ .

بغدادْ

هل شاهت أحلامك فانتحرت

بين يدىْ جلادْ ؟

هل جفت كلّ لياليك فما عادت

إلا أرضاً بوراً وجرادْ . . ؟ . . !

بغدادْ

من قال بأن الموتى ليسوا أحياء

فى ذاكرة الأولاد وذاكرة الأحفادْ

من قال بأن القتلى من أجلك

ماتوا ؟ . . . ! سيجيئون غداً

وسنعرف فيهم كلّ شموع الأعيادْ



حِوارُ الألْوانِ

ألقيت فى حفل تكريم لاليبولد سنغور – فى المغرب .

ذات مساء يا سنغور

وككلّ أماسينا المنفية فى عرى

محاجرنا المقرورْ

وعلى مرمى

من زمن أعمى يتسلل حافى القدمين

ومن بين

غبار الدّرب وحافة شباكى المكسورْ .

كان القمر الباهتُ كالبهتان

الأصفرُ كالسُّلِّ

يغرقُ فى بركة ماء وحل
كنا نسأل عن جدوى قمر
لا يكبر حتى فى شىءٍ من ظلٍّ
ما جدوى زمن يستلقى
كالجثَّة فى أرضٍ بورْ . .
فى وطن مهجور
وطنٍ موبوءٍ بسلاطين التَّاريخ العورْ .

وكنت . . وكان ابنى
وحديث يمتد لغير حديث
عن فجر قد يبزغ من بين يديك
عن مجدك . . ما أرفع مجدك يا سنغورْ
عن شعرك . . ما أروع شعرك يا سنغُورْ
عن بيتك
إذْ يفتح عينيك على أعمق
أعماق السنغالْ

عن غابات داكنة الخضرة

تلتف على ألف سؤال وسؤالْ

عن فاتنة سوداء

استوطن فى عينيها أرقُ الأجيالْ .

حدثتُ ابنى

عن شمسٍ تولد فى الغلّ

وشمسٍ لا تشرق إلاّ فى اللّيل

وشمسٍ تتمرغ فى كفّىْ طفل

وشمسٍ تزحف تحت جسور النّمل .

حدثتُ ابنى

عن أقنعةٍ حمرٍ . . سود

أقنعة تأبى أن تصبح فى اللّون

هوى فى حدٍّ

أو سد

أو سورْ

ما أصغر من لا يدركُ من سر اللّون

سوى الشّاهد بالزّورْ .

وسمعتُ ابنى

يصرخ بى : يا أبتى .. قل : كلاً

وافرش جنحيك لنا ظلاً

ومُصلّى

فعلى الدّرب ألوف القتلى

ما زالت تسأل عن دمعهْ

عن شمعهْ

لقتيل ينزف فى صمت امرأة ثكلى

عن وعد بالنور

يتفجر من عينى منديلا

من عينى سنغورْ

يا أبتى

لا تطفئ ذاكرتى

لا تبخس موتى

قلْ للسارق بيتى من بيتى

موتى من موتى

قلْ كلاً . . لن نسمح

أن نُذبح

لنْ نسمحَ

أن يربح تجار الجلد الأسود من جلدى لى غلاً

من جلدى نعلا

قلْ : كلاً

لن يصبح موتى قمحا

بل ملحا

سيئز جراح القاتل والسّارق والمارق

والطّاغى والباغى

جرحاً . . جرحا

قلْ : كلاً . . كلاً . . يا أبتى الأسودْ

قل : كلاً

كى أولدْ

قلْ : كلاً ياربّاً أسـود

يا عبداً أسـود

كن نَسْراً كى تُعبد .

. . . .

وصمتَ طويلا

وبكيتُ طويلاً

وأنا أسترجع وجهى من عينى

ابنى

أعرف أنَّك

من بعض سبايا الزّمن المقهورْ

من بعض سبايا الزّمن المأجورْ

لكلّ شهود الزّورْ

أعرف أنك صبارٌ مُرّ

أعرف أنّك كسرة خبز جفّتْ

فى عرى محاجرنا المقرورْ

لكنّى

لن أعرف يا بنى

فى عينك أو عينى

إلاّ عينىْ مانديلا . . إلاّ عينى سنغورْ

إلاّ

ليلاً يستبطنُ كلّ معانى النُّورْ



المَوْتُ ما بَيْنَ الأصْواتِ الأرْبَعَة

(١)

يراودنى . . . وكما فى كلِّ ليالىّ

عواءُ الذِّئب القابع فىّ

وأسألُ من أين . . ومن اى صحارىّ

سأهرب من نفسى . . . ؟

أهرب من عين تتوعد كالسّهمِ

ومن ألمٍ

يمتدّ على مدّ الظّهر المحنى كحقد القوسِ .

يراودنى . . . وكما فى كلّ ليالىّ

عواء الذئبِ

وشلو من رجل يبحث فى التّوبة

عن معنى الذنبِ

(٢)

ثانيةً . . يوقظنى صوت السّاعهْ

أفتح شبّاكى ، وكما أفتحه فى كلّ صباح

أسمع صوتَ الباعهْ .

تعلنُ ،

عن تاريخٍ معروض للبيع وعن زعماءٍ

تألقُ أوجههم كالأحذية اللماعهْ

عن قتلى تسأل عن مقبرةٍ

وسبايا

وخطايا

تتململ فى خطب الحجاج وسيف السّفاح

ها أنّى

ألمح ملاّحاً أسودَ يفرش فى البحر شراعهْ

سأسافرُ

سأهاجرُ

ها أنِّى

أجمع ما بين السّنين المكسورينِ

وبين الشّفتين السّوداوينِ

خداع سنينٍ وسنين وسنينِ

– أبصقه . . . أبصقهُ . . . أبصقهُ

لكن . . .

من يدرى . . . أن ليس الملاّح الأسودُ

أن ليس الملاّحُ

سوى رؤيا أخرى . . . رؤيا خدّاعهْ .

(٣)

الغربهْ

ذاكرة عمياء تمنت لو كان لها

وطنٌ فى تربهْ

وطن لا بأس ، وإن كبرت دنياهُ كدملةٍ

أو جرحٍ

أو طيرٍ ضيع فى العتمة دربهْ

طيرٍ لن يدرك إلاّ فى التّيه له ظلاً

إلاّ

فى الموتى المنفيين بلا أرضٍ سربهْ .

ما أكبر ذلّ الغربهْ

ما أتعسَ أن لا تعرفَ نفسك إنساناً

إلاّ

فى الغربهْ

(٤)

نمْ .

يا أنت الرّجل المستيقظ مثل سياط الجلاّدينْ

يا أنت الرّجل الملعونُ

الرّجل المتسترُ خلف ورُيْقة تينْ

يا أنت القادم من ألف سؤالْ :

من أنت ومن كنتَ . ومن أين أتيتَ . . ؟

وبأى الأفكارى تعلمت . . ؟

نمْ

كلٌّ كلاب الحىً تنامُ الآنْ

والحارس ذاك المتكئ الآنَ على صمت رصاصته

الصّماء . . لقد نامْ

نامت أسراب الفئرانْ

نمْ . .

ماذا لك فى فجر سيجيئ بلا شمسٍ

أو شمسٍ ستجيئك من عينى سجانْ

ماذا لك من رجلٍ يولد فى جرحك ؟

أو فى سوْط الدّيّانْ

نمْ . . .

فى تلك اللّيلة نمتُ . . ولمّا قيل : أفقْ
قلتُ : أفقتُ
أفقتُ . . وكانت باحةُ بيتى
ملأى بدمى . . غرقى بدمى
ورأيت عظامى تسبحُ فيها
ورأيت كلاب الحىِّ تعود إليْها
ولتلعق فيها
ورأيت الفئرانْ
والمجرمَ والدّيّان
والحارسَ . .
الحارسُ ما زال ينام على صمت رصاصتهِ
الصّماء ، ولن يسأل عمّا صارَ
وعمّا كانْ

ما أتعسنى رجلاً . . . بيتاً . . . وطناً
لا يولد إلاّ فى الموتِ
ولا يكبر إلاّ فى النّسيانْ

الوَصِيّةُ

حافٍ إلاّ من جلدى

يحملنى كحذاء مثقوب الجبهة

من أرضٍ كانت بلدى

ولأرضٍ تبحث لى عن بلدٍ .

يا ولدى

غيّر لَوْن حذائك

أعتق تاريخك من قيدى

من خطوة رجلٍ ما عادت تبحث

عن وعدِ

من موتى الأبدى .

من يدرى . . ؟

قد تولد فى شمسٍ

حتى لو كانت أصغر من ضيق يدى

فى شمسٍ

قد تشرق فى يوم ما

وعداً بالفجر يطلّ على بلدى .

باسْم قَوْمِى أَقُولُ

علونا فالذّرى مرمى جناحى
ودربى فيك يا هوجَ الرّيـــاحِ
وبى من همـة شمخت ليالٍ
تأبت أن تكون إلى صبـاحِ
فبعض الصّبح من نكد الرّزايا
مرايـا تستبين بهـا جراحى
فيحصى ألف فـدم ما تبقى
بجسمى من لجاجات الرّمـــاحِ
وتشمت بسمة فى عين وغدٍ
مسحت بجلده بالأمس ساحى
ألا يـا ليـــلُ مُـــدٌّ لناظـــرى
مسالكَ لا تنامُ على أقـــاحِ

وقلْ للريح : أن شدّى فنسرٌ

تطاول فى حمـاكِ المستباحِ

يسدُّ بجنحِه أفقــاً ويلُقى

بجنح فى مدارجكِ الفساحِ

فلا دربٌ يدلُّ إلى خلاصٍ

ولا نجم يُصـــار إلى بـواحِ

كأن دناكِ ملعبُ راحتيـــه

يقـلبُـهـنّ من راحٍ لـراحِ

ألا يا ليلُ أطبق إن مسّـا

من النيران يرعدُ فى جماحى

تألق فاصطلى أفقٌ وطارتْ

رؤى عن عين حمقاءٍ وقاحِ

لكم حسبتْ بأنْ جبنا أدرنا

وجوهاً عن وجوههمُ القباحِ

وأنّى إذْ عفوتُ فعن كلالٍ

فما جرؤت ولا مرؤت رماحى

وإن صروحَ تاريخى ستهوى

لتـدفنَ ما تخاذل من سلاحى

ألا خسئتْ فتلك جبال قومى

تألق كالنّجوم على وشاحى

وتلك وجوهها دربٌ لشمسٍ

تمدّ بنورهـا مرمى بطاحِ

تنـام بزهرة وتفيقُ حقـلا

وتُطلع من سنابلـه صباحى

فسنبلـة تقول غـدى ربيعٌ

وتقسم بالعمالقـة القِحـاحِ

بأن يبقى الطّريقُ طريقَ فجرٍ

وفجرُ الحرّ ليس إلى براحِ

وسنبلة تقول : غدى يدان

سأحضـن فيهما حتى جراحى

وانصب من دم حرٍّ .. أبىٍّ

مشاعل هِدْيةٍ وصـوى فلَاحِ

أخى العربى خضناها صروفاً

مشعَّبةَ المسـالك والنّواحى

نحاذر تارة أفعى وأخرى

نشدّ على البقيـة من سراحِ

وكانت عينكَ اليقظى مناراً

توهّج بالمزيد من الكفـاح

وأبقيت الدّهورَ صـدى لعزٍّ

يردد ما تركت من الصّـداحِ

وتحمل كل جارحةٍ نشيـداً

علونا فالذّرى مرمى جناحى

وإن المجـدَ بيتكِ يا بـلادى

ودربُكِ فى ذُرى هوْج الرّيـاحِ

وأنّك ملء سمع الأرض نسرٌ

يسائل عن ملاعبه الفساحِ

فإذَا العِراقُ ولَيمَةٌ لِجَرادِهَا

أنا بعضُ حرفك حالماً ومعانى

أنا بعض حرفك فى اغتراب مكانى

أنا بعض حرفك قد أتاك مخضباً

فاعرف بـه دمـكَ الزّكى القانى

والمس بنـازف جرحـه متغرباً

بعُدتْ بـه سبلٌ وظلّ الـدّانى

عرفته كلّ موانئ الدّنيـا خطى

ضـاقت بهنّ مســاربٌ وموانى

حتى التقاكَ فكنتَ صحوة عمره

ومنارَ ما ضـاعت من الشّطـانِ

فإذا الجراح على شديد نزيفها

وعـدٌ يشيـع النّـور فى بغـــدانِ

وإذا بموضــع كلّ جرح كــوة

منها بصرتُ بروعة الأكوانِ

وعلمت أن « أبا فرات » فى دمى

فجرٌ أَبَى أن ينتهى لزمــانِ

ما ضاق ظلاً كى تقيس رحابه

شمسٌ تدور ولا صوى بمكان

هو مَلك كلّ الأرض ملك زمانها

فلكٌ بــلا أرضٍ ولا أزمــــانِ

دنياه مرمى أحرف ما رادها

زمنا ليصبح ساعــة وأوانى

النّاس عمرهمُ الزّمان مُقطّعاً

ما بين ساعات لهم وثوانِ

أمّا سناك فجلّ عن تلك الحدود

وجلّ عن عدٍّ وعن حسبانِ

الدّهر يسقط دونكم ميْتاً فما

ألوى بمرقكــم خنوعُ جبانِ

الدّهر يسقط دونكم

ما دام فى نبض الحروف غد يثورُ

وصوتُ مأثرةٍ ودفء أمانى

الدّهر يسقط دونكم

ما دام فى نبض الحروف يدٌ تشد

على يدٍ بتلهف وحنانِ

الدّهر يسقط دونكم

ما دام فى نبض الحروف مشاعل

عرف الضّياء بها دم الإنسان

يا شامخاً ما طاله نسر ولا

دانت ذراه مسالك العقبانِ

إنّى أكاد أمسّ صوتك هادراً

فى كل شبر من خُطَى أوطانى

فى عين ثائرةٍ يلوح حكاية

عما تقول الأرض فى البركان

ويطل من جبل تطاول فـانحنى

ظـلاً لجهـدٍ متعـبٍ وسنــانِ

وتراه فى الإنسان حيث تصلبت

أرضٌ فمـا زلّتْ بهـا قدمـانِ

وتراه حيث ترى الربيع مرابعـاً

مـرؤت فكـانت ملتقى ألـوانِ

من كل زاهيـة بثـوب أخضـرٍ

ولكلّ مزهـرةٍ بلونٍ قـــانِ

وإذا دجى ليلُ الخطوب وجدته

فجراً يضوءُ على شفير سنـانِ

فعرفت كيف تصير مفردة لظى

حيناً وكيف تصيرُ زهو مغـــانِ

وعرفتُ أنّ المجـد فى الحرف الأبىّ

إذا استظل بفيْئِـــه مجـــدانِ

عفـواً أبـا الشعـــراء إن شلت فمى

غصّص وكنتُ أريدهن أغانى

كيف الغناء وقد تألبت العــدى ؟

فى عرس زانيةٍ إلى شيطانِ

دلَفــت وقــد جن الظّلام فنصبت

فى بيتنا نصباً من البهتانِ

وتجمعت سـحبــاً على آفاقنــا

حُــبلى بنارِ جهمــةٍ ودخــانِ

حتى إذا سقط النصيف تململتْ

ذئباً وسُمّاً فى فم الثّعبــانِ

فإذا العراقُ وليمــة لجرادهــا

والدار نهب براثِنِ الغربــانِ

قُتلت بما تنوى فمثلك حلفة

برؤاك بالشّعر العظيم الشّانِ

إن نبذلن النّفس دون مُرادها

ونظلّ من كفيك وعد جِنانِ



الشَاعر .. أيها المنْبَعُ الظَمآنُ

بعظيم شعــرك يعظم الإنسانُ

وعلى يديك لكم تطــاول شـــانُ

وبمثل ما أعطت يــداك وأجزلــتْ

شِيـــدت دنًى وتفتحــت أكــوانُ

الفجرُ بعض مســار خطــوك فى

الحياة فحيثما حلّ استفاق زمانُ

يا زيتَ قنــديلٍ وشمعــةَ مــدلجٍ

فى غيهب ليستْ لــه شطـــانُ

بسواك يبقى القلب سغب مفازةٍ

مفعى يحــوم حولـــه ثعبـــانُ

والشعرُ ، كل الشّعر ورثة جاهل

يشتارها النخّاسُ والشّيطانُ

لولا هواك لكان ليلاً ألْيَلا

ما زانه قمر به يقظانُ

يترصد التاريخ عبر ضيائه

فجراً يحقُّ وظلمة تندانُ

لو لم يكن فى النّور معنى هدينا

للحق ما أسرى بنا وجدانُ

ولظلّ هذا اللّيل رغم نزوحه

ليلاً تتوه بعتمهِ عميانُ

ما أنصفوك وقد نظرت كرومهم

دهراً تحز ضلوعك الأشجانُ

وتآلفت عبر السّنين جنائناً

خضراً زها فيها هوى وأمانُ

حتى إذا ما أينعت وتقيّلوا

ظلا لها وتأودت أفنانُ

حرموك ما أملَت ·· يا لك واهبـــاً

دمـــه وفيـك المنبعُ الظَّمـآنُ

أوقفـــت عمــركَ مـــورداً لعطـاشهـــم

وإذا عطشت فوردك الحرمانُ

من أنتَ ·· ؟ ما علمتنا ··· ؟ ويْلهم

لو لم تقل كونوا لهم ما كانوا

النّاس ·· كلّ النّاس أنت ·· كبـارهم

وصغارهم والمجد والسّلطانُ

ولأنت موعـدنــــــا الكبيـر إلى غــــدٍ

تزهو بوافر جوده الأوطـانُ

يا شامخـــــاً مــا طالــــــه نســرٌ ولا

مست ذراه بطرفها العقبـــانُ

أكبرتُ فيـك الحزن ساعــــة شمتــــهُ

شمساً تطلّ وموعداً يزدانُ

وسحـابـــــة حبْلى بفيض مواســمٍ

أنّى أتت فجنـائنٌ وجِنـــــانُ

إن أمطرت هنا وجاد عطاؤهـا

عرفت سنابل جودها بغدانُ

أو أبرقت سُنت بلامع برقها

فى المشرقين صوارم وسنانُ

أو مدها وهج الظّهيرة خيمة

لاذت بها من لافح رُكبانُ

وإذا استبدتْ طغمـة فبجانحٍ

منها لظى وبجانحٍ طوفـانُ

دكّت صروح بغاتهم وطغاتهم

وتعثرت برءوسها التّيجان

فليهنك الجرحُ الغزير نزيفـه

فبما يجود يعرف الإحسانُ

واشمخ بفكرك رائداً ومُحلّقـاً

بك لا بغيرك يكبر الإنسانُ

■ **مركز ابن خلدون**
للدراسات الإنمائية

هو مؤسسة بحثية مستقلة مسجلة في جمهورية مصر العربية ويقوم المركز بالدراسات والبحوث التطبيقية في مجالات الثقافة والاجتماع والسياسة والاقتصاد والتربية وينشر نتائجها على أوسع نطاق ممكن في الوطن العربي والخارج بشكل مستقل أو بالمشاركة مع مؤسسات ثقافية عربية وعالمية لها نفس الأهداف التنويرية والتنموية .




مطابع
ت : ٩٣٢٧٠٦

